B

كتاب

الحرب الروحية

قد أُلحق به

كتاب سلامة النفس وسعادة القلب وبعض
تأملات في التوبة والموت



طبع في الموصل

في دير الاباء الدومنكيين

سنة ١٨٦٨

LE COMBAT SPIRITUEL

MOSSOUL

IMP. DES PÈRES DOMINICAINS.

1868

IMPRIMATUR

FR. NICOLAUS CASTELLS CAP.

ARCHIEP. MARCIANOPOLITANENSIS

DELEGATUS APOSTOLICUS

فاتحة

باسم الاب الذي هو النور . والابن الذي هو الحقّ . والروح الذي هو الحبّ . اله واحد في ثلاثة اقانيم . ثالوث مقدّس وغير منقسم . الذي يجازي الناس ذوي الارادة الصالحة المحاربين الحرب الروحيّة . ويعطيهم سلامهُ ورحمتهُ ونعمتهُ في الدنيا .
والاكليل وكمال المجد في
الآخرة

❀❀❀

❀

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الحرب الروحيّة للارواح . متجراً للارباح . وخصّهم في شوط هذا العمر على الجهاد والمصادمة والكفاح . بازاء الاعداآء الثلاثة الدنيا والجسد والشيطان الوقاح . ليحاربوا ابداً حرباً منزهة عن عُددٍ وسلاح . جداً يمنحنا النصر والنجاح . خلوًّا من كبوة ولا جناح . لنفوز باكليل الجهاد الذي يكلَّل به المجاهدون بحسب السنّة من غير ملل ولا براح * آمين *

وبعد فهذا كتاب عظيم الرشاد . قويم السداد . من افخر الكتب الروحيّة المختصّة بالكمال . وافضل التعاليم الادبيّة المنتسبة لتثقيف السيرة واصلاح الاعمال . قد مدحهُ جميع العلماء الروحيّين . واستضاء برشدهِ كثيرون من السالكين . قد حوى كلّ ما يخصّ السيرة الروحيّة واعظم مبادئ الانجيل وتعليم الديانة المسيحيّة . المحرضة المومن على احتقار نفسهِ والكفر بها . ورفض اقاراتها وقمع اهوائها والتجرد الكلّي من حبّ الخلائق والتعلق

المخلص بحب الخالق * وقد اختبر تعليمهُ اناس كثيرون فبلغوا
به الى فضل سامٍ . وكمال تامّ . منهم مار فرنسيس سالس
الذي حمل معهُ دائمًا هذا الكتاب الشريف مدّة عشرين سنة .
وبقرآءته بلغ الى قمّة القداسة والكمال . وكان يدعوهُ مرشدهُ الوحيد
ومعلّمهُ الفريد . محرّضًا تلاميذهُ على قرآءته . والمواظبة على
مطالعته : معتبرًا اياه كاعتبار كتاب الاقتدآء بالمسيح . بل
مفضلهُ على الكتاب المذكور نفسه * على انهُ وان كان هذان
الكتابان متجهين الى غرض واحد لا سواهُ . وهو الحث على
التجرّد الكلّي عن كلّ ما ليس هو الله . انّ هذا الكتاب من جهة
تاليفه يسمو على ذاك . لانّ ذاك الكتاب هو مجموع مضامين كثيرة
مفيدة الكمال والتهذيب . غير انّ اكثرها غير متصلة ولا متسقة
على الترتيب * واما هذا الكتاب فانّهُ يشتمل على معانٍ كاملة
الانتساق . ويتعلّق بعضها ببعض بغاية المناسبة وحسن الاتفاق
ويتعمّق في ايضاح ما يخص كمال السيرة الفضليّة والفضائل الادبيّة *
فهاكهُ اذًا كتابًا يبلغ بك الى اقصى غاية من الكمال الاسمى .
وسفرًا يحوي كلّ ما تحتاج الى معرفته من الوسائط المفيدة لاستيصال
الرذائل وامتلاك الفضائل العظمى * وقد دُعي حسب معنى
مضامينه السنيّة . كتاب الحرب الروحيّة : نسال الله ان ينفع

به مطالعيه . ويضرم بنار محبّة الكمال الروحيّ والتجرّد الكليّ قلب المتأمّل فيه. انّهُ على كلّ شي قدير . وبالاجابة جدير *

وامّا مؤلّف هذا الكتاب العجيب فقد اختلف فيه كثير من المعلّمين الذين اتّفقوا في مدحهِ * فزعم البعض (وهم رهبان مار بندكتس) انّ مؤلّف هذا الكتاب هو واحد من رهبانهم يدعى يوحنا كستانيسا من بلاد اسبانيا * وذهب اخرون (وهم الرهبان التياتينيّون) انّ مصنّف هذا الكتاب هو لورنتيوس سكوبلي من بلاد ايطاليا * وامّا ثيوفلس زينو المعلم المعتبر في الرهبنة اليسوعيّة فقد نسب هذا الكتاب الى راهب يسوعي يدعى اكيلس غلياردو وهو واعظ مشهور من بلاد اطاليا صديق القديس مار كرلوس برّماوس * قال الاب اليسوعي مستخرج هذا الكتاب : اما انا فلا اريد ان احكم في هذه القضيّة . بل ادع كلّ احد يتمسّك بالراي الذي يستحسنهُ : ولا ريب انّهُ سيكون حظّ هذا الكتاب كحظّ كتاب الاقتداء بالمسيح . اي انّهُ سيُقرا ويثمر دائمًا في كلّ مكان من غير ان يُعرَف مصنّفهُ على التحقيق *

كتاب الحرب الروحية

يشتمل على ستة وستين فصلاً

❋ الفصل الاول ❋

فيما يتوقف عليهِ الكمال المسيحي . وفي انه لا يمكننا
ان نكتسب هذا الكمال دون حرب وجهاد :
وفي ان الظفر في هذه الحرب لابد لهُ من
اربعة اشياء

قال الرسول الالهي : انهُ لا يتكلل احد ما
لم يحارب بمقتضى سنة الجهاد ❋ فان اردت
ايها المسيحي ان تبلغ الى قمة الكمال الانجيلي
وان تقترن مع الله اقترانًا يجعلك معهُ سبحانهُ
روحًا واحدة . ممتلكًا هذا الارب الذي لا يمكن ان
يصفهُ احد ولا ان يتصور اعظم منهُ . فينبغي

لك ان تعقل حسنًا حقيقة الحيوة الروحيّة وكمالها * على انّ البعض لا يلاحظونها الاّ من خارج فقط . فيخالون انّها قائمة في التقشّفات الخارجة المضمرة الجسد كالصوم والسهر ولبس المسح واستعمال اشياء اخر من الآلات المعذّبة والمولمة * والنسآء خاصّةً يخلن انّهنَ قد كملن في الفضيلة اذا ما اعتدن على تلاوة بعض صلوات لفظيّة مستطيلة . وعلى حضور قداديس كثيرة وان يمكثن في الكنيسة زماناً مديدًا . ويتناولن القربان المقدس بتكاثر * وقومٌ غير هولآء . حتّى بين الذين يعبدون الله في الرهبنة . يظنّون انّهُ يكفيهم لبلوغ الكمال ان يكونوا مواظبين الخورس بتقدمة الصلوات الفرضيّة وملازمين الاختلاء والصمت حافظين القانون الرهباني الخارج

بغاية التدقيق * وعلى هذا النحو ترى البعض
يرون الكمال في احدى هذه الرياضات. وغيرهم
في غيرها * الّا انهُ لمن المحقق انّهم كلّهم ضالّون
لانّ الاعمال الخارجة ليست سوى وسائط .
او استعدادات لبلوغ الكمال. او هي اثمار ناتجة
من القداسة الكاملة * ولذلك لا يجب ان
نجعل الكمال المسيحيّ والسيرة الروحيّة الحقيقيّة
في هذه الاعمال الخارجيّة * نعم انّ هذه كلّها وسائط
معينة جدًّا لاكتساب الكمال. ومن يستعملها
بحسن التمييز. يحصّل منها عونًا عجيبًا لتقوية
النفس المرتخية طبعًا نظرًا الى الخير والمنصبّة
دائمًا الى الشرّ. وكذلك ينال منها عونًا لمقاومة
الشيطان . وللنجاة من اشراكه ولنيل العون
الالهي الذي يحتاج اليهِ الابرار ولاسيّما المبتدئون

ثمّ انّ هذه الافعال الخارجيّة هي في ذوي الكمال ثمار فضيلة تامّة . لانّهم يؤلّمون اجسادهم تعذيباً لاجل تمرّدها السابق . او لكي يذلّوها ويخضعوها لخالقها . ويلازمون الخلوة والصمت . مبتعدين عن معاشرة العالم . لكي يصانوا من اخفّ الهفوات ويتردّدوا في السمآء مع الملائكة فقط * وهم يعملون اعمالاً صالحة تليق بخدمة الله : اي انّهم يمارسون الصلوة ويتامّلون في حياة السيد المسيح والآلامِ المقدسة . لا بروح البحث والتفتيش والتماس سلوى حسّيّة . بل لرغبتهم ان يعلموا جيّداً من احدى الجهات سموّ المراحم الالهيّة . ومن جهة اخرى قلّة شكرهم له تعالى : فيحثّون ذواتهم على حبّ الله . وبغض انفسهم . والاقتدآء بالسيّد المسيح حاملين صليبهُ . كافرين بارادتهم .

متناولين الاسرار الالهيّة بهذه النيّة فقط. وهي ان يكرموا الله ويقترنوا بهِ اشدّ اقتران. ويزدادوا قوّة بازآء قوّات الجحيم *

واما الناقصون الذين يجعلون عبادتهم في الاعمال الخارجيّة. فامرهم بخلاف ذلك * لانه يتّفق كثيرًا ان تكون لهم هذه الافعال سببًا للهلاك. وتضرّهم ضررًا اكثر ممّا تضرّهم الخطايا الظاهرة. ليس كانّ هذه الاعمال ليست بصالحة ذاتًا. كلّا. بل لانّهم يستعملونها استعمالًا رديًّا اذ انهم ينعلّقون بها تعلّقًا زائدًا. حتّى انّهم يتغاضون عن الاحتراس الواجب على حركات القلب ويطلقون لهُ العنان. ويتركونهُ ان يتبع ميله المنحرف: وهكذا يوهقونهُ في اشراك العدوّ * فاذا رآهم الشيطان على هذا الحال حائدين

عن الطريق المستقيم . يحرّضهم ويحثّهم على
مواظبة رياضتهم هذه الاعتياديّة بسرورٍ وابتهاج .
وليس هذا فقط . بل انّهُ يملأ قلوبهم صوراً وظنوناً
باطلة : فيتوهّمون انّهم قد حازوا تنعّم الفردوس .
وحصلوا على التردّد مع الملائكة وحظوا بمعاينة
لله . حتّى انّ الشيطان يقدّم لهم ايضاً في محلّ
الصلوة افكاراً سامية رقيقة بهجة . ليظنّوا بانفسهم
انهم قد تناسوا العالم والاشياء السفليّة . وارتفعوا
الى السمآء الثالثة * الّا انّنا اذا امعنّا النظر قليلاً
وفحصنا عن سلوكهم . نرى حالاً انّهم ضالّون
بعيدون عن الكمال الحقيقيّ بعداً شاسعاً : وذلك
لانّهم يطلبون التقدّم في كلّ شي . معتبراً كان
او دنيّاً : ولا ينقادون الّا لرايهم . ولا يفعلون سوى
ما يميل اليه هواهم * ومع انّهم عميان فيما يخصّهم

لا يزالون محدقين النظر الى غيرهم ليتابعوا افعالهم :
واذا ثلم احد ما يظنّون انهم امتلكوهُ من حسن
الصيت والسمعة في العالم . او اذا امرهم المرشد
الروحي بترك بعض رياضات روحيّة قد اعتادوا
عليها . فيضطربون حالاً اضطراباً عظيماً : واذا اراد
الله ان تصيبهم شدائد وامراض واضطهادات ممّا
لا يحدث الّا بامرهِ تعالى او بسماحهِ وذلك لمنفعتهم .
فترى حينئذٍ بواطنهم فاسقة بالكبرياء المستهلكة
اقصى مخادع قلوبهم : فلا يعرفون حينئذٍ ان
يطابقوا اراداتهم مع ارادة الله متّضعين تحت
يدهِ العزيزة الضابطة الكلّ . خاضعين لاحكامهِ
السرّية العادلة . مقتدين في ذلك بالسيّد المسيح
المتألم والمهان . محبّين اعداءهم الذين يستخدمهم
الجود الالهي ليمرّنهم على قهر اراداتهم . وبذلك

يعينهم لاكتساب الخلاص والكمال * ولذلك
يكونون على الدوام تحت خطر الهلاك. وذلك
لانهم يلاحظون انفسهم واعمالهم الصالحة بادين
متبرقعة بعمى محبّة نفسهم. فتاخذهم الكبريا.
فيتعظّمون متعجرفين. ظانّين بانفسهم باطلًا انهم
متساموون في الفضيلة. فيحتقرون القريب
ويلومونهُ * وقد تظاهم احيانًا كبرياؤهم حتّى انهم
يحتاجون الى نعمةٍ عظيمة غير مالوفة ليرتدّوا عن
هذا الضلال * ولذلك نرى بالتجربة انّ ردّ انسان
خاطئ عالم بشقاء حالهِ اسهل جدًّا من توبة
خاطئ يتستّر بحجاب الفضيلة تعمّدًا *
فينتج ممّا تقدّم واضحًا انّ السيرة الروحيّة
ليست بمتوقفة على الاشياء المذكورة اذا لاحظنا
تجرّد خارجها. بل انّما هي قائمة على معرفتنا جلال

جود الله وعظمة عزّتهِ الغير المتناهية . وعلى علمنا اليقيني بدناءتنا وميلنا الى الشر . وعلى حبنا لهُ تعالى وبغضنا لذواتنا . وعلى خضوعنا لهُ عزّ وجلّ . ولكل خليقتهِ حبًّا لهُ . وعلى الكفر الكلّي بارادتنا طاعةً لارادتهِ * بل اخصّ ما تتوقّف عليهِ السيرة الروحيّة هو ان نفعل هذه كلّها لمجد اسمهِ القدّوس فقط . متقصّدين رضاءهُ لا غير . ولهذا السبب فقط . وهو انّهُ تعالى يشاء ويستحق ان تحبّهُ خلائقهُ كافةً وتعبدهُ * فهذا ما يقتضيهِ منّا ناموس المحبّة المحرر في قلوبنا من الروح القدس . وبهذا نمارس ذلك الكفر بذاتنا الذي اوصانا بهِ سيّدنا يسوع المسيح في انجيلهِ المقدّس : وهذا هو الذي يجعل لنا نيرهُ تعالى نيرًا طيّبًا وحملهُ خفيفًا . وبهذا قائمة تلك

الطاعة الكاملة التي لم يزل معلّمنا الالهي يحرّضنا عليها بكلامهِ ويعلّمنا اها بقدوتهِ ❊

فعليك ايّها الاخ المرتاح الى اسمى درجة من الكمال بان تحارب ذاتك على الدوام ، باذلاً كلّ جهدك وجدّك في استيصال كلّ ما يوجد فيك من الاميال الرديّة مهما كانت خفيفة : ولذلك يلزمك ان تستعدّ لهذه الحرب بعزمٍ متين ونشاط بليغ ❊ لانّهُ ما من احد ينال الاكليل ان لم يحارب بموجب سنّة الجهاد ❊

واعتبر ايضًا انهُ لا توجد حرب اصعب من هذه الحرب الروحيّة ، من حيث انّهُ من يحارب نفسهُ تحاربهُ ايضًا نفسهُ ، وهكذا لا يوجد انتصار يؤتي الله سرورًا اكثر والمنتصر مجدًا اعظم من هذا الانتصار ❊ على انّ الذي يميت الامهُ واهوآءهُ ،

ويقمع ارادتهُ المتمرّدة • يعمل بذلك عملاً اعظم فضلاً عند الله من الذي يهمل هذه ويمزّق جسده بضرب السياط • ويذيبهُ بصوم اشدّ صرامةً من صوم السوّاح الاقدمين • ويردّ الى التوبة الوفاً من الخطاة * لانّ الله الذي يفضّل بالحقيقة ترجيع الخاطي الى التوبة على قهر الانسان هوى من اهوائهِ المنحرفة • يريد من كلّ احد ان يهتمّ بان يعمل ما يريدهُ تعالى منهُ * والحال انّ الشيء الذي يريدهُ تعالى على الخصوص وقبل كلّ شيء من الانسان • هو ان يجتهد في اماتة اهوائهِ : والله يُسرّ بهذا سروراً اعظم ممّا اذا عمل ذلك بقلب غير مقهور عملاً افضل اعتباراً * فها قد علمت ايّها المومن حقيقة الكمال المسيحيّ : فلا يمكنك ان تبلغ اليهِ بدون ان تحارب نفسك حرباً

متصلة * فابتدئ الآن بان تتسلّح باربعة من الاسلحة التي بدونها لا يمكنك ان تخرج من ميدان هذه الحرب الروحيّة منتصرًا * وهذه الاسلحة الاربعة. هي اليأس من ذاتك. والاتّكال على الله وحسن استعمال قوى نفسك وجسدك وممارسة الصلوة * وها نحن متكلّمون عنها بنعمة الله بوجه جليّ ووجيز في الفصول التالية *

الفصل الثاني

في يأس الانسان من نفسه

لعمري انّ يأس الانسان من نفسه ضروريّ لهذه الحرب الروحيّة جدًّا. حتّى انّهُ خلوًّا من هذه الفضيلة لا يمكننا البتّة ان نظفر باعدائنا

لا بل بادني هوى من اهوائنا ايضاً * وهذه
الحقيقة يجب ان تكون محرّرةً في قلوبنا
وعقولنا تحريرًا بليغًا . لانّ الانسان يعتبر
ذاتهُ ويظنّ دون كلّ حجّة وسبب انهُ شيء
ولو كان هو عدمًا محضًا * وهذه الرذيلة تتّلد من
فساد طبيعتنا . وذلك لانّها رذيلة طبيعيّة . فيعسر
علينا جدًّا تمييزها والاطّلاع عليها * والحال انّ
الله الناظر كلّ شيء يراها باستكراه لانّهُ يريد ان
نعتقد بانفسنا متيقّنين انّهُ لا يوجد فينا من الفضيلة
والنعمة سوى ما وهبهُ لنا تعالى وحدهُ . وانّهُ هو
عنصر كلّ خير . واننا بدونه لا يمكننا ان نفتكر فكرًا
مرضيًا لهُ عزّ وجلّ * وهذه الفضيلة اعني فضيلة
الياس من انفسنا وان كانت هبةً سمويّة يهبها
الله لاصدقائهِ تارةً بواسطة الالهامات المقدسة .

وتارةً باتعاب جزيلة وتجارب مستصعبة يعسر الظفر بها جدًّا ، او بوسائط اخر خفيّة عنّا . الّا انّهُ تعالى يريد منّا ان نفرغ كل جهدنا في اكتسابها . ولا ريب انّنا نكتسبها ان كنّا بالعون الالهي نستعمل الوسائط الاربع الآتي ذكرهنَّ استعمالاً جيّدًا ❊

اوّلاً يجب عليك ان تضع بازآء عيني عقلك افراط ضعفك متامّلاً في دنآءتك وعدمك ، وتعترف مصدّقًا انّك لا تستطيع بقوّتك الذاتيّة ان تعمل عملاً صالحًا يستحقّ اجرًا سمويًّا ❊ ثانيًا يجب عليك ان تطلب من الله باتّضاع وشوق واجتهاد ان يعطيك هذه الفضيلة الضروريّة ، التي لا يمكن ان تنالها الّا منهُ سبحانهُ ❊ فاعترف اوّلاً انّك خالٍ من هذه الفضيلة ، وعاجز بالكلّيّة

عن اكتسابها بذاتك . وهكذا اجث امام الرب الهك طالبًا اياها من جوده الغير المتناهي درّات كثيرة . راجيًا الاجابة رجاءً قويًّا اذا ما انتظرت بالصبر ثمرة صلاتك . وواظبتها بمقدار ما تشاء العناية الالهيّة ❊ ثالثًا روّض نفسك رويدًا رويدًا على اليأس من ذاتك . وعلى الخوف من خداع عقلك ومن شدّة انصباب طبيعتك الى الخطيّة . ومن كثرة الاعداء المحيطين بك لمحاربتك . ومن درايتهم ومكرهم وقوّتهم . اذ يتراءون بزيّ ملائكة النور . ولا يبرحون في كلّ مكان يكمنون علينا في طريق السماء ❊ رابعًا يجب عليك متى ما رأيت انهُ قد فرط منك ذنب . ان تختلي باطنًا وتعتبر حسنًا جزيل ضعفك وعجزك ❊ واذ كان الله انّما يسمح بزلّاتنا لكي نعرف نفسنا جيّدًا

معرفة دائمًا جديدة فينبغي ان نحتقر نفسنا ونشتهي
ان تحتقرنا الناس اشتهاءً حقيقيًا . لانّهُ خلوًا
من ذلك لاسبيل لنا ان نبلغ الى فضيلة اليأس
الذي يتأسّس على الاتّضاع وعلى معرفتنا
شقآءنا معرفةً اختياريّة * لعمري انَّ من يرغب
التقدّم الى الحقّ الغير المخلوق والدنوّ من معين
الانوار. ينبغي لهُ ان يعمل نفسهُ جيّدًا . ولا يكون
نظير المتكبّرين الذين لا ينتصحون الّا بزلّاتهم :
وبعد ان يتورّطوا بسقوط فظيع يبتدئون ان يفتحوا
اعينهم * وانما يسمح الله بذلك لكي يشعروا بضعفهم
وييأسوا من انفسهم : غير انّهُ تعالى لا يستعمل
غالبًا هذا الدوآء لمداواة جسارتهم الّا بعد ان يقدّم
لهم غير ذلك من الادوية السهلة الطيّبة بعد
ان يرى انّها لا تفيد شيًا اصلاً * وانّما يسمح الله

بسقوطهم على مقدار كبريائهم . فيسقطون سقوطاً
ثقيلاً او خفيفاً حسب ثقل كبريائهم وخفتها .
حتّى انّهُ لو وجد احد خالص من هذه الرذيلة
بمقدار ما كانت الجليلة مريم البتول خالصة
منها . لساغ لنا ان نقول انّ هذا الانسان لن يسقط
اصلاً ❊ فمتى ما سقطتَ واخطات فالتجئْ حالاً
الى معرفة ذاتك وسل الله باجتهاد ان يمنحك
نورهُ الحقيقي لكي تعرف بهِ نفسك كما هي امام
عينيه عزّ وجل ❊ فلا تعتمد بعد على قوّتك . والاّ
فانك تعود الى ما كنت عليه من الزلاّت .
وترتكب ما هو اعظم منها . وتزجّ نفسك في
الهلاك الابدي ❊

❊ الفصل الثالث ❊

في الاتكال على الله

انّ يأس الانسان من ذاته ضروريٌّ جدًّا في الحرب الروحيّة كما اوردنا بما تقدّم : الّا انّهُ اذا كان المحارب متّصفًا بهِ وحدهُ . وليس لهُ عون آخر . فانّهُ يفرّ من الميدان هاربًا سريعًا . او انّ العدوّ يسلب منهُ اسلحتهُ وينتصر عليهِ متغلّبًا ❊ فلابدّ من ان يقترن يأسنا من ذاتنا باتّكال عظيم على الله الذي هو معين كلّ خير . ومنهُ يجب ان نرجو الظفر ❊ واذ كنّا لسنا بشيءٍ من تلقاء نفوسنا فليس لنا ان نرجو من نفسنا سوى السقوط بزلّات مخطرة . ومن هذه الجهة لنا سبب داعٍ لان نيأس من نفوسنا ❊ الّا انّهُ ان كنّا نعلم

ضعفنا جيّدًا ونعتقد يقينًا . فلا شكّ في انّنا مع العون الالهي ننتصر على اعدائنا . لانهُ لا توجد واسطة اعظم واقوى لاكتساب النعم السموية من ان يتسلح الانسان بكلّ اتكالٍ على الله * ولنا اربع وسائط للبلوغ الى هذه الفضيلة * الواسطة الاولى . هي التماس هذه الفضيلة باتضاع من السيّد المسيح *

والواسطة الثانية . هي ان نتامّل بالتاني وبعين الايمان في قدرة الله الضابطة الكلّ وحكمتهِ الغير المتناهية . وانهُ تعالى ليس عندهُ شيء غير مستطاع او عسر . وانّ جودةُ الالهي لاحدّ لهُ . وانّهُ لفرط ما يحبّ عبيدهُ . يريد في كلّ ساعة وفي كلّ دقيقةٍ من الزمن ان ينعم بما يحتاجونهُ . لكي يصيروا اناسًا روحيّين . وينتصروا على

ذواتهم انتصارًا كاملاً * ولا يطلب منهم لذلك
شيئًا سوى ان يلتجئوا اليهِ باتّكال واطمئنان *
فهل يوجد شيءٌ اصوب من هذا * ليت
شعري كيف يمكن لهذا الراعي الصالح الحبيب
الذي لم يزل في مدّة ثلاث وثلاثين سنة يطلب
الخروف الضالّ سالكاً في سبل متعبة مشحونة
قرطبًا وحسكًا بعناء عظيم حتّى انّهُ تكلّف
بذلك دمهُ وحياته: اذا ما رأى خروفهُ راجعًا اليهِ
بنيّة حقيقيّة ليتبعهُ ويرتشد بهِ وحدهُ. ان لا ينظر
الى هذا الخروف بعين الرضى ولا يميل باذنيهِ
الى صراخهِ * بل كيف لا يقبلهُ ويحملهُ على
منكبيهِ . ويردّهُ الى حظيرتهِ . حتّى اذا كانت
ايضًا نيّتهُ هذه بعدها ضعيفة. فحقًّا بلا ريب يفرح
بعودهِ فرحًا لا يوصف ويامر ملائكتهُ بان يفرحوا

معهُ ايضًا ❊ لانهُ ان كان تعالى يطلب باجتهادٍ
لبيع الدرهم الانجيلي المرموز بهِ عن الانسان
الخاطئ. وان كان يقلب كلّ شي لكي يجده .
فهل يطرد من يراهُ كخروفٍ قد اخذهُ الضجر من
فقد راعيهِ وعدم معاينتهِ . ولذلك شرع يتهيّأ
للرجوع اليهِ ❊ وكيف يمكن لعروس انفسنا الذي
لا يبرح قارعًا باب قلوبنا . وشوقهُ الدخول اليـ
يشبه نارًا آكلة . وقد جعل تنعّمهُ في التردّد معنا
وفي اشراكهِ لنا في خيراتهِ . انّهُ اذا وجد الباب
مفتوحًا وراّنا نطلب ان يشرّفنا بافتقادهِ . يخيّب
امالنا ومرغوبنا ❊

والواسطة الثالثة لبلوغ هذا الاتحاد
الخلاصي . هي تذكر المومن مرّات كثيرة ما
تكرّر في الكتب المقدّسة في مواضع شتّى : من

يتّكل على الله لا يخزى ※

والواسطة الرابعة للحصول على اليأس من انفسنا والاتّكال على سيّدنا يسوع المسيح. هي ان ننظر اوّلاً الى ضعفنا كلّما قصدنا ان نعمل عملاً صالحًا او نقهر هوى من اهوائنا المتمرّدة. ثمّ نوجّه النظر الى قدرة الله وحكمته وجودته الغير المتناهية. وهكذا نصيّر الخوف الصادر من قبلنا معتدلاً بالطمانينة التي يقدّمها الله لنا ※ وحينئذٍ نلقي انفسنا بشجاعةٍ في اصعب ما يوجد من الاتعاب وارهب ما يكون من الحروب ※ بهذه الاسلحة المقترنة مع الصلوة. كما سنذكر ذلك فيما بعد. يمكننا ان نقضي اعظم الامور وننتصر على اقوى الاعداء ※ فان كنّا لا نتدرّب على حسب هذا النظام والترتيب. فغالبًا نكون

ضالّين منخدعين، ولو انّه تبيّن لنا انّنا متصرّفون بروح اتّكال حقيقي على الله * على انّ المجاسرة هي خلّةٌ غريزيّة ملتصقة بنا جدًّا، حتى انها تمتزج سرًّا بغير ان نشعر بها مع الاتّكال الذي نظنّ انّنا متّكلون بهِ على الله، ومع اليأس الذي نتوهّم انّنا بهِ يائسون من ذواتنا * ومن ثمّ لكي نبتعد عن هذه المجاسرة بمقدار ما يمكننا ونعمل اعمالنا بهاتين الفضيلتين المضادّتين هذه الرذيلة: فينبغي ان يتقدّم تأمّلنا في ضعفنا على تأمّلنا في قدرة الله الضابطة الكل، وان يسبق هذان التأمّلان جميع افعالنا *

❋ الفصل الرابع ❋

في السبيل الذي بهِ نعلم هل نحن حاصلون حقًّا على اليأس من انفسنا والاتّكال على الله

انّ الرجل الجسور يظنّ بنفسهِ انّهُ قد اكتسب فضيلة اليأس من ذاتهِ وفضيلة الاتّكال على الله سبحانه. الّا انّه لفي ضلال عظيم لا ينتبه عليهِ جيّدًا الّا حينما يسقط في الخطيّة ❋ وذلك لانّ الذي بعد سقوطهِ يضطرب ويتبجّس ويحزن وييأس من التقدّم في الفضيلة يظهر بذلك انّهُ قد بنى اتّكالهُ على ذاتهِ لا على الله: ويكون ازدياد اثمهِ في هذه الحال بمقدار ازدياد قلقهِ وحزنهِ: اذ كان الذي ييأس من ذاتهِ جدًّا، ويتّكل على الله جيّدًا، اذا اتّفق انّهُ يزلّ ويسقط لا يتعجّب

من ذلك مضطربًا، ولا يتحمّس ولا يحزن لذلك قلقًا. لعلمهِ انّ ذلك صادرٌ من ضعفهِ، ومن تهاونهِ في ابتناء اتّكالهِ على الله: بل انّ سقطتهُ تصيّرهُ ان يحسن اليأس من نفسهِ والاتّكال على عون الله القدير * نعم انّهُ يبغض خطيّتهُ فوق كلّ شي، ويرذل المهُ او الملكة الرديّة التي سبّبتهُ، ويتوجّع بقلبهِ توجّعًا شديدًا من جرى سيّئتهِ الى ربّهِ: الآن توجّعهُ الهادي وندامتهُ السكينة لا تصدّهُ عن الارتداد الى مباشرة وظيفتهِ ومقاومة اعدائهِ حتّى الموت *

فليتامّل هذا جيّدًا اولئك الذين يبتغون ان يُحسبوا روحيّين: وهم الذين اذا فرطت منهم زلّة، لا يستطيعون ان يهجعوا ولا يريدون ان يهدأوا، لكنّهم يطلبون مرشدهم بتلهوج لا بقصد حميد،

ل لينجوا ممّا نتعبهم به محبّة انفسهم مع انّه يجب عليهم ان يهتمّوا اولاً بتطهير ذممهم من الخطيّة بواسطة سرّ التوبة وتقوية انفسهم بسرّ القربان المقدس ※

※ الفصل الخامس ※

في ضلال كثيرين من الناس يعدّون الجبانة فضيلة

انهُ قد اخذ كثيرين ضلال جسيم · وهو ان ينسبوا الى الفضيلة الخوف والبجس اللذين يعتريانهم بعد فعل الخطيّة: لانّ هذا الاضطراب ولو كان ممتزجًا بندامة ما · الّا انهُ صادر عن الكبرياء وعن جسارة سرّيّة تتلد في الانسان من

اعتماده على قوّته * على انّ الذي يظنّ بنفسه انّهُ اصيل في الفضيلة • ويزدري بالتجارب • فهذا اذا ما عرف بالتجربة انّهُ ضعيف وخاطئ نظير غيره • يندهش من سقطته متحيّرًا من هدم مسناه • ويدع الحزن واليأس ان يقلقاهُ * فهذه الشائبة لا تعتري الانفس المتّضعة المستندة على الله فقط • لانّ المتّضع اذا ما زلّ وسقط لا يتعجّب من ذلك • ولا يضطرب: لانّهُ يعرف بنور الحقّ المضيء • انّ هذا مفعول طبيعيّ صادر من ضعفه وعدم ثباته *

❊ الفصل السادس ❊

في نصائح اخرى جزيلة النفع لاكتساب الانسان اليأس من ذاته والاتّكال على الله

لمّا كان كلّ ما لنا من القوّة للظفر بعدوّنا نستمدّهُ من اليأس من انفسنا ومن اتّكالنا على الله رأيتُ ان اورد ايضًا نصائح اخرى ضروريّة جدًّا لاكتساب هاتين الفضيلتين ❊ فاقول انه يجب ان يتحقّق كل واحد انّهُ لا الوزنات الطبيعيّة والمكتسبة . ولا المواهب المفاضة مجّانًا . ولا المعرفة بكلّ ما في الاسفار الالهيّة . ولا الخدم الجزيلة المقدّمة لله في مدّة سنين كثيرة . تستطيع ان تصيّرنا قادرين على تكميل ارادة الله وواجبات دعوتنا . اذا لم تسعفنا يد الله القادرة

تمدّنا بتاييدها متى ما احتجنا ان نعمل عملاً صالحاً
ونتصر على تجربةٍ ما . او ننجو من خطرٍ او
نحتمل شدّةً مرسلة لنا من العناية الالهيّة *
فيلزمنا ان نردّد في عقولنا هذه الحقيقة في كلّ
ايام حياتنا . بل في كلّ ساعةٍ وكلّ دقيقة لكي لا
ننساها ابداً . وبهذه الواسطة ننجو من رذيلة
الجسارة . فلا نركن الى قوّتنا *
ولكي يزداد اتّكالنا على الله تمكيناً . يجب
علينا ان نعتقد اعتقاداً لا شكّ فيهِ . انّ الانتصار
على كلّ نوع من الاعدآء . قليلين كانوا ام
كثيرين . اقوياء ذوي خبرة ام ضعفاء خالين
من كلّ دربة . هو لدى الله امر سهل على حدّ
سوى * فعلى مقتضى هذا المبدا احذر جدّاً
من ان ينقص اتّكالك على الله . او يفشل قلبك

آيسًا . وتهمل رياضاتك الروحيّة اذا ما كثرت عليك
الخطايا وتفاقمت . ورايت نفسك معتزلة بجميع
النقائص : واذا تبيّن لك انك الى الآن اجتهدت
باطلاً في استيصال رذائلك وممارسة الفضائل .
وشعرت كلّ يوم بازدياد الميل الى الشر . فاحذرن
من ان تيأس وتفشل . بل الاولى بك ان تزداد
نشاطًا في مقاومة العدو . لانه في هذه الحرب
الروحيّة لا يزال الانسان منتصرًا ما دام مسلّحًا .
وراجيًا كلّ شيءٍ من الله الذي لا يمسك عونهُ عن
الذين يحاربون عنهُ . مع انّهُ تعالى يسمح احيانًا
بان ينجرحوا في المعركة * فيلزمنا ان نحارب حتّى
المنتهى . لانّهُ في هذا يقوم الظفر : ومن يحارب
لاجل خدمة الله ويضع عليهِ سبحانهُ كلّ اتّكالهِ .
يجد دائمًا لجراحاتهِ دواءً حاضرًا شافيًا . ويرى

عدوة بغتةً تحت قدميهِ ساقطًا ❊

❊ الفصل السابع ❊

في حسن استعمال القوى • وفي انه ينبغي اوّلاً ان يكون العقل ناجيًا من الجهل وروح التفتيش

انه وان كنّا في هذه الحرب الروحيّة متسلّحين باليأس من ذواتنا والاتّكال على الله فقط نكون مع ذلك عاجزين عن الظفر باميّارتنا • وليس هذا فقط • بل نسقط ايضًا في نقائص كثيرة باهظة ❊ فلابدّ اذًا من ان نقرن مع ذلك حسن استعمال قوى النفس والجسد • وهذا هو الشيء الثالث المقدم ذكرهُ انفًا كواسطة ضروريّة لبلوغ الكمال ❊ فلنبتدئنّ اوّلاً باتقان العقل والارادة : على انه

يجب ان يكون العقل منزّهًا عن رذيلتين باهظتين قد يعسر النجاة منهما ❋

فالرذيلة الاولى . هي الجهل الذي يصدّ العقل عن معرفة الحقّ الذي هو موضوعهُ ❋ فيلزمنا ان نبدّد ظلامهُ برياضات مناسبة لهذا المقصود لكي يحصل متنوّرًا ويرى ما يجب عليهِ لتنقية النفس من اهوائها الغير المنتظمة وتزيينها بالفضائل ❋ والحال انّ هذا يتمّ بواسطتين: الواسطة الاولى هي الصلوة . وهي التي بها نطلب من الروح القدس النور الذي يُعطى لكلّ من يطلب الله حقًّا ويرغب قضاء ناموسهِ الالهي . ويخضع عقلهُ لرؤسائهِ في كلّ حين ❋ والواسطة الثانية . هي الفحص المتّصل باجتهاد ونيّة مستقيمة عمّا يقدَّم لنا . لكي نعلم أَجيّد هو ام رديّ: فلا نحكم

عليه نظرًا الى ظاهره وشهادة حواسّنا . ولا على حسب راي العالم . بل على حسب ما يرينا ذلك روح الله * وعلى هذا النحو نعلم جليًّا انّ الذي يرغبهُ العالم ويطلبهُ بافراط الرغبة هو باطل وضلاليٌّ . وانّ الكرامات واللذّات تعبر كخيال ومنام . واذا عبرت تترك النفس مفعمة حزنًا وندامةً: وانّ الاهانة والالم هما معين المجد والفرح: وانّهُ لا يوجد شيءٌ يصيّرنا شبيهين بالله اعظم من العفو عن اعدائنا والاحسان اليهم: وانّ احتقار الدنيا خير من السلّط فيها: وانّ الطاعة لاحقر الناس بحبّ الله هي افضل من الاستيلاء على الامرآء والملوك: وانّ معرفة الانسان نفسهُ المعرفة الاتضاعيّة خير من اسمى العلوم السامية: وانّ من يميت هواهُ في ادنى

الاشياء يستحق حمدًا افضل ممّن يفتتح مدنًا كثيرة وينتصر على عساكر جمّة بقوّة اسلحته. بل افضل ممّن يصنع العجائب ويقيم الاموات ايضًا ❊

❊ الفصل الثامن ❊

في ما من شانه ان يمنعنا عن تمييز الاشياء واستفادة الحكم فيها وفي ما يعيننا لادراك معرفتها على اتمّ الوجوه

انّ الذي يصدّنا عن تمييز الاشياء المتقدّم ذكرها وغيرها من الامور الكثيرة، هو انّهُ اذا تقدّمت هذه الاشياء بازآء عقلنا، نميل اليها بالمحبّة او ننفر منها بالبغضة: وهذان الالمان الكثيفان المتقدّمان الحكم العقليّ يريانِنا الاشياء متغيّرة عمّا هي عليهِ

تغيّراً شديداً حتّى انّها تستبين لنا بخلاف ما هي في ذاتها بالكلّيّة ❋ فمن اراد ان ينجو من هذا الخداع والضلال الكثير الوقوع والجزيل الخطر . فليسهر جيّداً على حفظ قلبهِ . ولا يترك فيهِ حركةً ما منحرفة نحو شيءٍ من الاشياء كافةً ❋

فاذا تقدّم لك امر من الامور . فدع عقلك ان يتامّلهُ مستفحصاً بتأنٍ : قبل ان تعزم الارادة على قبولهِ ان كان شهيّاً . او على رذلهِ ان كان مضاداً رديّاً ❋ على انّ العقل الذي يسبق حركة القلب يستطيع بلا مانع ان يميّز الحقّ من الكذب . ويفرز الشرّ المختفي تحت حجاب خيرٍ خياليّ من الخير المتبيّن بصورة شرٍّ حقيقي ❋ وبخلاف ذلك اذا ما اثّر الموضوع في الارادة واخذت ان تحبّهُ او تبغضهُ . فحينئذٍ يعود العقل

عاجزًا عن معرفتهِ الحقيقيّة . وذلك لانّ حسّ
القلب يحجب الموضوع . فيتصوّرهُ العقل
تصوّرًا كاذبًا: واذ يقدّمهُ للارادة ثانيًا على النوع
الكاذب المذكور. فيزداد حبّ الارادة او بغضها
لهُ ❊ على انها اذ تكون متحرّكة ومنعطفة الى
ذلك من قبل . يتضاعف فيها هذا الميل
والانعطاف . حتّى انهُ لا يعود يمكنها ان تحفظ
النظام وتقبل الصواب . وفي حال هذا التجسس
يزداد العقل ظلامًا . ولذلك يظهر ذلك الموضوع
للارادة امّا اشهى وامّا اكره ممّا كان يظهر قبلاً ❊
فمن لا يحفظ النصيحة الضروريّة التى اوردناها في
هذا الصدد . تكون فيهِ اعظم قوى النفس . وهما
العقل والارادة . غير مستقيمتين بل منخدعتين
على الدوام من ضلال الى ضلال ومن ظلمة

الى ظلمة ومن هاوية الى هاوية ❋ فالطوبى لمن لا يتعلّق قلبهُ بخليقة من الخلائق ، وقبل ان يحبّ يفحص باجتهاد عمّا يظهر لهُ محبوبًا ويحكم فيهِ بموجب الصواب ، وعلى الخصوص بموجب الانوار الفائقة الممنوحة لهُ من الروح القدس ، وذلك امّا بذاتهِ وامّا بواسطة الذين يرشدونهُ نيابةً عنهُ تعالى ❋

ولعمري انّ هذه النصيحة قد تكون احيانًا اكثر ضرورةً نظرًا الى بعض اعمال خارجيّة جيّدة في ذاتها ، ممّا تكون نظرًا الى افعال اخر اقلّ صلاحًا : لانهُ قد ينخدع الانسان في الاوّل باوفر سهولة ، ويميل مرّات كثيرة الى ممارستها بعزمٍ منحرف ❋ فلا يجب ان نمارسها بغير تمييز ، لانهُ قد يمكن ان يفسد كلّ شي باهمال عرضٍ واحد

من اعراض الزمان او المكان . وقد يمكن ان نزلّ زلّات ثقيلة . لانّنا لا نعمل اعمالنا بالوجه الواجب وبحركة الطاعة . كما تحقّق ذلك بمثال اناس كثيرين قد هلكوا بمباشرة الوظائف الاوفر قداسةً وممارسة الاعمال الاسمى كمالاً ❋

❋ الفصل التاسع ❋

في ايراد شي آخر يحتاج العقل الى التحفّظ منهُ لكي يستطيع ان يعقل جيّدًا ما هو الانفع لهُ

توجد شائبةٌ اخرى يجب ان يتنقّى العقل منها . ويكون منزّهًا عنها . وهي افراط التفتيش والبحث الباطل ❋ لانّ من يدع عقلهُ يمتلئ افكارًا باطلة سفيهة . يصيّرهُ بذلك غير قابل

ليعمل ما يفيدهُ اكثر فائدة لاماتة اهوائه الغير
المستقيمة لبلوغ الكمال الحقيقي * فلنميتنَّ اذاً
الاشيآء الارضيّة موتاً روحيًّا كليًّا . ولا نلتمسنّ منها
سوى ما هو كالي الضرورة . ولو كانت هذه الاشيآء
جائزة غير منهيّ عنها * ولا نطلقنّ العنان لعقلنا الّا
قليلاً . ولا ندعهُ يتشتّت باطلاً بالتفتيش على
اشيآء كثيرة . بل لنصيّرهُ على نوع ما ساهيًا نظرًا
الى المعارف الدنيويّة الباطلة * ولا نصغ ابدًا الى
الاخبار السائرة . ولنتجنّبنّ الذين يحبّون
المذاكرات عن امور الدنيا . ولنلاحظنّ حوادث
الارض وانقلاباتها كاضغاث احلام . حتّى الامور
السماويّة ايضًا يجب ان نلاحظها باعتدال * ولا
نرفعنّ افكارنا اكثر ممّا يجب . لكن لنقتنع بهذا
فقط وهو ان نضع بازآء اعيننا على الدوام سيّدنا

يسوع المسيح ونعلم حياته وموته وما يطلبهُ منّا ❊ وامّا ما بقي فلندعهُ جانبًا ❊ ولنجتهدنّ في ان نكون مقبولين لديهِ تعالى . على انّ تلاميذهُ الحقيقيّين هم الذين لا يرغبون ولا يطلبون منهُ سوى ما يفيدهم لخدمتهِ وللعمل بمرضاتهِ ❊ ولعمري انّ كل شيءٍ غير هذا وكلّ اشتهاءٍ وطلب . ليس هو شيئًا سوى حبّ الذات وكبرياء روحيّة وفخّ الشيطان ❊

فمن يتدرّب هكذا يمكنهُ ان ينجو من حيل الحيّة القديمة . لانهُ اخزاهُ الله اذا ما راى الذين يمارسون رياضات السيرة الروحيّة يفعلونها بنشاط وارادة ثابتة راسخة . يحاربهم حربًا تخصّ العقل . لكي يستولي بواسطتهِ على الارادة . ويمتلك هاتين القوّتين الروحيّتين : ولكي يخدعهما يقدّم

لهما في الصلوة افكارًا سامية وحاسّات عالية ، ولاسيّما الذين يميلون الى التفتيش والبحث عن الامور الدقيقة الرقيقة ، المنصبّون الى الكبرياء والعنيدون في تصوّراتهم العقليّة الوهميّة ❊ وانما قصدهُ بذلك ان يلهيهم بتفلسفات باطلة يجدون فيها لذّة حسّيّة ، فيرقدون رقادًا كاذبًا ظانّين بانفسهم انّهم يحظون بالله ، وهكذا يتغاضون عن تنقية قلوبهم وعن اكتساب معرفة ذواتهم ، وعن كسر الارادة الحقيقي ، فيعود عقلهم لديهم كصنم مكرم ، ولا يستشيرون في كلّ امر سوى رايهم متوهّمين انّهم لا يحتاجون الى مشير او مرشد ❊

ولعمري انّ هذا الداء داء عضال وخطر جدًّا: لانّ مداواة الكبرياء العقليّة وشفاءها اصعب جدًّا من علاج كبرياء الارادة وبرءها ❊ لانّ من اطلع

على كبرياء قلبه وتحققها، يستطيع ان يداويها بخضوعه الاختياري لاوامر من يلتزم بالطاعة له ❊ واما الذي يتخيّل في عقله ويعتقد بعناد ان رايه افضل من راي رئيسه، فلا يستطيع احد ان ينزع عنه الضلال ❊ لانّه من يعدّ نفسه افضل حكمةً ونورًا من غيره لا يقدر ان يطّلع على خداعه، ويعترف به ويخضع لارشاد غيره ❊ ثمّ انّ العقل الذي هو عين النفس، وهو وحده الذي يقدر ان يبصر انتفاخ القلب ويشفيه، ان كان ضعيفًا كفيفًا مفعمًا كبرياء، فمن يجد دواء لمرضه ❊ وان كان النور يتحوّل الى ظلام، والذي هو بمنزلة قياس بصير كاذبًا خادعًا، فماذا يكون من البقيّة ❊ فلنجتهدنّ في استيصال هذه الرذيلة الجزيلة الضرر سريعًا، ولا ندعها ان تفسد اقصى مخدع

نفسنا لكن لنمرّنّ ذواتنا على اخضاع راينا
لراي غيرنا: ولا نحبّ الترفّع في الامور الروحيّة
والتبهرج الباطل. لكن لنحبّنّ الجهالة والسذاجة
التي مدحها الرسول. وهكذا نصير حكماء
افضل من سليمن نفسهِ ❋

❋ الفصل العاشر ❋

في ارتياض الارادة وفي الغاية التي يجب ان نوجه اليها
افعالنا الخارجة والباطنة

بعد اصلاح رذائل العقل يلزمنا ان نصلح
رذائل الارادة. وذلك لكي نجحد ميلها الطبيعي
ونطابق مشيّة الله بالكليّة ❋ فاعتبر انّهُ لا يكفي
ان نحبّ ونفعل ما هو مقبولاً اكثر عند الله فقط.

بل مع ذلك يجب ان نريد ذلك ونفعلهُ بحركة نعمتهِ تعالى وقصد طلب رضاهُ * وفي هذا على الخصوص يلزمنا ان نقاوم طبيعتنا المرتاحة الى اللذة حتّى انّها تطلبها في كلّ شيء ، وقد تطلبها احياناً في الامور الروحيّة اكثر ممّا تطلبها في بقيّة الاشياء * وعلى هذا النحو تملك اربها ومرغوبها من اللذة المطلوبة بدون اضطراب الضمير وتوبيخهِ ، وذلك لانّها لا ترى في ذلك شرًّا البتّة * فمن اجل هذا السبب والميل الطبيعي ، اذا التزمنا بان نعمل عملاً ما صالحًا ، ننعطف الى عملهِ حالاً لا بمجرّد نيّة الطاعة للّه ، بل بحركة طلب لذّة نشعر بها في عمل ما يامرنا الله بهِ * ولعمري انّ هذا الضلال رفيع رقيق جدًّا ، وهو يزداد رقّة كلّما ازداد الموضوع الذي نتوق اليه ونتمنّاهُ صلاحًا

في ذاتهِ * فمن ذا يظنّ بحسب الذات انهُ مع كونهِ رذيلة يحثّنا على الاتّصال بالله وانّنا عند طلبنا التمتّع بهِ تعالى يتّفق مرارًا كثيرة ان نلاحظ فائدتنا الذاتيّة اكثر ممّا نلاحظ مجدهُ والعمل بارادتهِ عزّ وجل، مع انّ هذا اعني مجد الله والعمل بارادتهِ هو الشيء الوحيد الذي يجب على محبّيهِ ان يلاحظوهُ * فمن اراد ان يحيد عن هذه الصخرة المخطرة، وان يمرّن نفسهُ على ان لا يريد ولا يفعل شيئًا الّا بحركة روح الله وبخلوص نيّة اكرام الذي يريد ان يكون هو المبدا الاوّل لافعالنا كلّها، لا بل غايتها القصوى ايضًا: فليتدرّب على موجب التعليم الآتي ايرادهُ *

انّه اذا اقبلنا على مباشرة عمل ما صالح، ينبغي ان لا ندع قلبنا يشتهيهِ وينعطف نحوهُ قبل ان

نكون قد ارتقينا اوّلاً بالروح الى الله: لكي نعلم هل يريد منّا ان نعمل ذلك العمل * ولنفحص هل نشتهي نحن فعلهُ لاجل مجرّد رضاهُ تعالى * فان تقدّمنا ونظمنا ارادتنا هكذا بارادة الله: نميل حينئذٍ الى حبّ ما يحبّهُ سبحانه بنيّة رضاهُ وحدهِ لاغير * وهكذا يجب ان نفعل في الاشياء التي لا يريدها تعالى. اي انهُ قبل ان نرذلها ينبغي ان نرتفع بالروح الى الله لكي نعلم ارادتهُ. ويتحقق عندنا بوجهٍ من الوجوه اننا برذلنا هذه الاشياء نستطيع ان نرضيهِ *

ثمّ اعتبر هنا انهُ يعسر تمييز حيل الطبيعة الغاشة التي تحتجب بحججٍ تستبين لنا حسنة. وتلتمس ذاتها في كل امرٍ. وتجعلنا ان نعتقد اننا في افعالنا لا نرغب شيئاً سوى رضى الله * وهكذا

حينما نقبل شيئًا او نرذله بمجرّد قصد رضانا نظنّ بانفسنا انّنا نقبله او نرذله بمجرّد قصد رضى الله او حذرًا من ان نغيظه * فالدوآء الاكثر فاعليّةً لهذا الداء هو نقا القلب الذي يجب على كل من ينزل في ميدان هذه الحرب الروحيّة ان يجعله غايته بخلع الانسان العتيق . ولبس الانسان الجديد * امّا كيفيّة استعمال هذا الدوآء الالهي فهي قائمة في هذا : وهو ان تجتهد في ابتدآء افعالنا ان نطرح كلّ قصد ومرغوب يشوبه شيء طبيعي : فلا نحبّ شيئًا ولا نبغض شيئًا الّا اعتبارًا لمشيّة الله * وان كنّا لا نشعر بفاعليّة هذه الغاية في كلّ ما نفعله ولاسيّما في حركات القلب وفي افعال خارجيّة تعبر سريعًا . فلنجتهدنّ في ان تكون الغاية المذكورة موجودة افلها يكون بالقوّة .

حافظين في داخل النفس نيّةً حقيقيّة لطلب
رضى الله فقط * الّا انّهُ في الافعال المستطيلة لا
يكفي ان نوجّه نيّتنا الى هذه الغاية وحدها فقط :
بل يجب ايضًا ان نجدّدها ونربّيها في نقاوتها
ونشاطها : لانّهُ خلوًّا من ذلك نوشك ان تعمينا
محبّة الذات التي من عادتها ان تسحرنا وتصيّرنا
ان نفضّل الخليقة على الخالق . ونغيّر نيّتنا
وموضوع مرغوبنا بغير ان نشعر بذلك : حتى
انّهُ ان لم يحسن الرجل الصالح الحذر والاحتراس .
فانّهُ يبتدئ العمل طالبًا بمجرّد نيّة رضى الله .
ويتنازل رويدًا رويدًا الى طلب المجد الباطل .
ويتغافل عن طلب رضاهُ تعالى . ملتفتًا بمجرّد
ما يجد من اللذّة في عملهِ . ولا ينظر الّا الى فائدتهِ
او مجدهِ * ولذلك اذا كان متصوّرًا في عقلهِ انّهُ ينجح

في عمله على الوجه الاتمّ. واتفق انّ الله اعاقهُ عن تتميمهِ وذلك امّا بمرض او بمن صدّهُ عنهُ . فيعتريهِ الغمّ حالاً ويحرد تارةً على هذا. وتارةً على هذا . واحياناً على الله نفسهِ ❊ وبهذا يتّضح جليًّا. انّهُ لم تكن نيّتهُ مستقيمة. بل كانت صادرةً من مبدأ رديّ: على انّهُ من يباشر عملاً بحركة النعمة وبنيّة رضى الله فلا يميل الى رياضة من الرياضات الروحيّة اكثر من ميلهِ الى سواها: واذا اشتهى شيئًا من الاشيآء. فلا يقصد نيلهُ الّا كما يشآء الله وحينما يشآء . ولا يزال خاضعًا لاحكام عنايته ❊ ولذلك كيفما انتهت مقاصدهُ فلا يبرح راضيًا مسرورًا . لانّهُ يريد شيئًا واحدًا لاغير وهو مطابقة الارادة الالهيّة ❊

فليحتمل كلّ منا وليبذل كل جهدهِ في ان

يوجّه جميع اعمالهِ الى هذه الغاية السامية الشريفة ❊ واذا وجد نفسهُ على حال من يرغب فعل الخير حذرًا من عقاب جهنم او رغبةً في ربح الثواب السموي . فيمكنهُ ان يزيد على ذلك نيّة اخرى تكون هي نيّتهُ القصوى . وهي ان يطيع الله الراغب ان نربح السمآء . وان ننجو من جهنّم ❊ وهذه النيّة لا يستطيع احد ان يدرك سموّ عظمة قوّتها . لانّ ادنى الاعمال واحقرها اذا عملناهُ بها . اي من اجل الله وحدهُ . يكون افضل جدًّا من اعمال كثيرة مفعولة بنيّة اخرى مهما كانت صالحة فاضلة ❊ ولهذا السبب فالصدقة اليسيرة التي نعطيها لرجل فقير لاجل مجرّد مجد العزّة الالهيّة هي لديهِ تعالى مقبولةٌ اكثر من فعل من يغادر ارزاقًا كثيرة الثمن وجزيلة القيمة بنيّة اخرى .

ولو كانت رجاء الخيرات السموية : مع ان هذه النية حميدة ويحسن قصدها * ولعمري اننا في الابتداء نستصعب يسيرًا قضاء جميع اعمالنا لاجل رضى الله فقط : الّا انّ هذه العادة تصير لنا بتمادي الزمان سهلة لذيذة اذا ما اعتدنا على طلب الله من كل قلوبنا ، وارتحنا اليه عزّ وجل على الدوام ، ملاحظين انهُ تعالى هو خيرنا الاعظم الوحيد المستحق بذاته ان تبتغيه كل خليقة وتعتبره وتحبهُ فوق كل شي * وكلما زاد تاملنا في ان الله عظيم ومستحق المحبة ، تكون حركات قلبنا نحو هذا الموضوع الالهي اوفر لينًا وتواترًا * وبهذه الواسطة نحصل باوفر سهولة وسرعة على هذه الملكة التي بها نوجّه كلّ افعالنا الى مجده *

ولنا واسطة اخرى معينة لنا لقضاء كل عمل

بهذه النيّة الجليلة . وهي طلب هذه الموهبة والنعمة باجتهاد من السيّد المسيح : وتأمّلنا مرّات كثيرة في احساناته الينا الغير المتناهي عددها والغير المحدود سموها . التي حزناها من كرمه . ولا يزال منعمًا بها بمجرّد حركة حبّه لنا المنزّه عن كلّ طلب فائدة ذاتية تخصّهُ سبحانهُ ❋

❋ الفصل الحادي عشر ❋

في ايراد بعض اعتبارات من شانها ان تغري الارادة بان لا تريد سوى ما يريدهُ الله

انهُ لكي نمرّن ارادتنا باوفر سهولة على ان لا تشاء سوى ما يريدهُ الله ويجديه مجدًا . فلنتذكرنّ انّهُ عزّ وجل ارتضى بان يحبّنا ويكرمنا

قبلاً بانواع كثيرة مختلفة * فهو هو الذي اخرجنا
من العدم وخلقنا على صورتهِ : وخلق بقيّة
الاشياء كلّها لاجل خدمتنا * ولمّا رام ان يهب
لنا مخلّصًا : لم يرسل ملاكًا من الملائكة ، بل ارسل
ابنهُ الوحيد، فافتدانا لا بالفضّة ولا بالذهب
الفاسد: بل بدمهِ الكريم كلّهِ وبموتهِ الاليم * وهو
هو الذي يسترنا في كلّ دقيقة بازآء رجز اعدائنا
محاربًا عنّا بنعمتهِ ومقدّمًا لنا كلّ يوم جسد ابنهِ
على مائدتهِ المقدّسة * اليس هذه علامات
واضحة وادلّة ثابتة قد اظهر الله لنا بها عظم اعتبارهِ
ايّانا وحبّهِ لنا: فهل يمكن ان يدرك احد افراط
محبّة الله لنا نحن الخليقة الدنيّة الحقيرة * والى
ايّ حدّ يجب ان يتّصل شكرنا ومعرفتنا جميل
هذا المحسن الذي لا نظير لهُ في الجود والسخا *

فان كان عظماء الدنيا اذا اصابهم اكرام من اناس دونهم وادنى شرفًا منهم . يظنّون مع ذلك انّهُ من الصواب ان يكافئوا اوليك الذين اكرموهم بايّ وجه كان . فايّ اكرام يجب على دود الارض لربّ العالمين الذي اظهر لهُ جزيل اعتبارهِ ايّاهُ وغزارة حبّهِ لهُ على انواع متعدّدة ❊ حقًّا انّهُ يجب ان نتذكّر على الخصوص انّ هذه العزّة الغير المتناهية تستوجب منّا ان نعبدها بخلوص المحبّة النقيّة التي لا تطلب سوى رضاهُ تعالى ❊

❊ الفصل الثاني عشر ❊

في انه توجد في الانسان ارادات كثيرة يحارب بعضها بعضًا حربًا متصلاً

اعلم انَّهُ يوجد في الانسان ارادتان . احداهما تُدعى الارادة العليا والاخرى تُدعى الارادة السفلى ❊ فالارادة الاولى ندعوها غالبًا العقل . والارادة الثانية نسمّيها غالبًا شهوةً وجسدًا وحسًّا وهوى ❊ الّا انهُ اذا تكلّمنا على حصر الكلام فالانسان ليس هو انسانًا الّا من قبل العقل ❊ ولذلك من يميل الى شيءٍ من الاشياء بحركة اولى من حركات الشهوة الحاسّة . لا يكون قد اراد ذلك الشيء ان لم تمِل ليهِ الارادة العليا وتتعلّق بهِ معًا ❊ ولذلك تكون الحرب الروحيّة قائمة على هذا . وهو انّ الارادة

الناطقة ترى الارادة الالهيّة فوقها. والشهوة الحاسّة تحتها: وهي اعني الارادة الناطقة موضوعة في الوسط يحاربها الطرفان: لانّ الله من الطرف الاول. والجسد من الطرف الآخر يجتذبانها على الدوام: وكلّ منهما يبذل المجهود في ان يعطفها الى غرضهِ ※ ولذلك نرى الذين قد اعترتهم في حداثتهم ملكات رديّة . ويريدون بعد ذلك ان يصلحوا سيرتهم ويقمعوا جسدهم ويرذلوا العالم ليتعبدّوا للسيّد المسيح تعبّدًا كليًّا . يصعب عليهم ذلك جدًّا: لانّ الارادة الالهيّة والشهوة الحسّيّة يصادمان الارادة العقليّة بعزمٍ شديدٍ ※ فالى ايّ جهةٍ التفتت لا تستطيع ان تقاومهم الّا بتعب جزيل وعناء جسيم ※ وهذه الحرب لا تحدث في الذين اعتادوا على الفضيلة او على الرذيلة

منذ زمن مديد . وعزموا عزمًا ثابتًا على ان يعيشوا دائمًا كما عاشوا قبلاً: من حيث انّ الانفس التقيّة تطابق ارادة الله. وبعكس ذلك الانفس الفاسدة بالرذيلة تتبع ميل الحواسّ والشهوات * ولكن لا يظنّنّ ظانٌّ انهُ يستطيع ان يكتسب الفضائل الحقيقيّة . ويعبد الله كما يجب دون العزم الثابت على اغتصاب ذاته بذاته. والظفر بالصعوبة الموجودة في جحود لذّات الدنيا كلّها. عظيمةً كانت او دنيّة اللذّات التي التصق قلبهُ بها التصاقًا رديًّا * فهذا هو السبب الذي من اجلهِ قليلون هم الذين يبلغون الى درجةٍ سامية من الكمال . لانّهم بعد ان يكونوا قد انتصروا على اعظم الرذائل وكابدوا اشدّ الاتعاب تفشل قلوبهم ويعجزون عن الظفر

بذواتهم، مع انّهُ لم يكن قد تبقّى عليهم سوى
حربٍ خفيفة ، لكي يهدموا القليل المتبقّي من
ارادتهم الذاتيّة ويستاصلوا امارات خفيفة كثيرة
من شانها اذا ما تقوّت ان تمتلك قلوبهم تملّكاً
كلّيّاً ❊

فترى كثيرين من هولاء حقًّا لا يختلسون
مال غيرهم، الّا انّهم يحبّون مالهم جدًّا جدًّا : ولا
يستعملون وسائط رديّة في طلبهم الكرامات
العالمية، ولكنهم مع كونهم لا يرذلون هذه الكرامات
الباطلة كما يجب عليهم ، يرتاحون اليها مرارًا
كثيرة ، ويجتهدون في تحصيلها بوسائط تستبين
لهم جائزة : ثمّ انّهم يحفظون الصيامات المفروضة ،
الّا انّهم يحبّون تنعّم الاكل والشرب ولذيذ الاطعمة :
وهم غير غير مبتعدين عن اللذّات الشهوانيّة ،

غير انّهم لا يمتنعون عن لذّات اخر تعيقهم جدًّا
عن اتقان رياضات السيرة الروحيّة وعن كمال
الاتّصال بالله * فاذ كانت هذه الاشيآء مخطرة
لكلّ احد ولاسيّما للذين لا يخشون من نتائجها ·
وجب على الجميع ان يبذلوا جهدهم كلّهُ في ان
يتحرّسوا منها · لانّهُ بدون ذلك لا يمكن الانسان
ان لا يعمل اكثر اعمالهِ بروح الفتور · والّا يمتزج فيها
شيء كثير من حبّ الذات والاعتبار الباطل
وغير ذلك من النقائص الخفيّة * فالذين يتهاونون
في هذه القضيّة لا ينمون اصلاً في طريق الخلاص ·
لا بل يرتدّون الى الورآء متقهقرين : ويوشكون ان
يعودوا الى رذائلهم القديمة · لسبب انّهم لا يتمسّكون
بالفضيلة الراهنة · ولا يشعرون كما يجب بعظمة
النعمة التي انعم الله بها عليهم · حينما انقذهم من

اسر الشيطان • ولا يعقلون شرّ الحال الحاصلين هم عليها: وهكذا يستمرّون في حال سلامة وطمانينة كاذبة ❊

ويوجد ضلال آخر يجب اعتبارهُ هنا ايضًا: وهو مخطر جدًّا من حيث انّهُ يعسر الاطّلاع عليهِ ❊ وذلك انّ كثيرين من الذين يمارسون رياضات السيرة الروحيّة، المحبّين ذواتهم بافراط (ولستُ ادري هل يجوز ان يدعى هذا الحبّ حبًّا) يختارون من الرياضات ما يستحلونهُ ويتركون التي لا تناسب ذوقهم • بل تضادّ ميلهم الطبيعي • ومن شانها ان تميت شهواتهم البهيميّة ألتي ينبغي ان يفرغوا كلّ جهدهم بمضادّتها في هذه الحرب الروحيّة ❊ فهؤلاء يجب على المرشد ان يحثّهم كثيرًا على ان يحبّوا التعب الموجود في انتصار

الانسان على نفسه لانه في هذا قائم كل شيء • وكلما ازدادوا شجاعة من قبل ظفرهم باوائل صعوبات الفضيلة ، يكون انتصارهم اكثر سرعة وتاكيدًا ❋ فان قصدوا تعب هذه الحرب فقط وتمسّكوا بها بكلّ عزمهم • فلا ريب انهم يبلغون مقصودهم باوفر سهولة وافضل طمانينة ❋

❋ الفصل الثالث عشر ❋

في الوجه الذي به ينبغي ان نحارب الشهوة الحسيّة • وفي الافعال التي يجب ان تبرزها الارادة لكي تكتسب ملكات الفضائل

اذا شعرت في ذاتك بالتنازع على امتلاك قلبك من قبل الله والجسد اذ يجتهد كلّ منهما

بامتلاكه ، فاستعملنّ الوسائط الآتي ايرادها ❊ فاقول اولاً. انهُ اذ تبتدي الشهوة الحاسّة ان تتمرّد على العقل، فاسرع انت في قمع حركاتها الاولى لئلّا تتنازل الارادة الناطقة فتقبلها ❊ ثانيًا بعد سكون هذه الحركات يفيدك ان تدعها تبرز ثانيةً، وذلك لكي تستطيع ان تقاومها باجتهاد اشدّ من الاوّل ❊ ثالثًا يحسن ايضًا ان تردّها الى ميدان المعركة مرّةً ثالثة: وذلك لكي تتمرّن على مقاومتها بازدراء شجاعيّ ، وهذا حسن ومفيد في حرب جميع الامارات النفسانيّة، ماعدا ما يخصّ الحركات اللحميّة: لانّهُ لا يجوز للانسان ان يحرّك في نفسهِ اماراتهِ نظرًا الى الحركات المذكورة اصلاً ، وهذه سنتكلّم عنها في محلّ آخر ❊ رابعًا يجب عليك كثيرًا ان تمارس افعالاً مضادّة للملكات الرديّة

لتي ترغب استيصالها · ولنوضح ذلك بمثل ❊
فنقول انك ربّما تتحسّس بحركات الحدّة
النزاقة · فيجب حينئذٍ ان تختلي في نفسك ·
تلاحظ كلّ ما يحدث في باطنك ❊ فلا ريب انك
ترى الضجر قد تولّد في الشهوة الحاسّة · وانهُ
يجتهد في ان يصعد من هذه الشهوة السفلى
الى الارادة · ويسكن في قسم نفسك الاعلى : فحينئذٍ
يجب ان تفعل ما ذكرناهُ في النصيحة الاولى · اي
ان تبذل كلّ جهدك في ضبط هذه الحركات وقهرها
لئلّا تتنازل الارادة الى الارتضاء بها ❊ واحذر من
ان تكفّ عن الحرب قبل ان تكون اسقطت
عدوّك والزمتهُ بالخضوع للعقل ❊ وهنا يجب
ان تتأمّل في جزيل خباثة الروح الشرير · لانهُ اذا
ما رآك تقاوم بشجاعة هوى من اهوآء الحدّة · فانهُ

يكفّ حينئذٍ عن تحريك ذلك الهوى في قلبك :
وليس هذا فقط، لكن خزاة الله اذا ما راى قلبك
محرّكًا بهذا الهوى فانه يبذل جهدهُ في تسكينهِ ايضًا
الى زمن : وقصدهُ بذلك ان يصدّك عن امتلاك
الفضيلة المضادّة لهُ بواسطة مقاومتك الجليلة .
وان يصيّرك تفتخر متعجرفًا قائلًا لك او مصوّرًا
في عقلك ، بانّك جنديّ باسل ، قد ظفرت
بعدوّك في زمن يسير * فالخليق بك ان تنزل
الى ميدان الحرب ثانيةً ، مردّدًا في عقلك الافكار
التي سبّبت لك الحدّة والضجر والنزاقة : واذ
تنشو عن هذه الافكار بعض حركات في القسم
الادنى من النفس اي في الشهوة الحاسّة ، فافرغ
حينئذٍ كلّ قوة الارادة في ضبطها وقمعها * ولانّهُ
يتّفق مرّات كثيرة انّك بعد هذا الاجتهاد الكلّي

تنجو من الخطر . فمن ثمّ يجب عليك ان تعود
في الميدان ثالثةً . لكي تحارب الرذيلة التي
تقصد ابادتها . فتبغضها لا بل تحتقرها وتستقبحها
جدًّا ❊ واقول اخيرًا . انهُ لكي تزيّن نفسك
بالفضائل وتكتسب ملكاتها . يلزمك ان تمارس
افعالاً كثيرة من الفضائل المضادّة لاماراتك
المنحرفة فان رمت مثلاً ان تكتسب حلمًا كاملاً
في الاتفاقات المسبّبة الحنق والنزاقة . اي حينما
يهينك الناس ويفترون عليك . فلا تظنّ انهُ
يكفيك ان تستعمل من الاسلحة الثلاثة الانواع
المقدّم ذكرها للظفر بالتجربة . بل ينبغي ايضًا
ان تحبّ الافتراء الذي اصابك . وتشتهي ان
يُفترى عليك هكذا مرّات كثيرة من قبل الذين
افتروا عليك انفسهم . وتقصد ان تقبل ما هو

اعظم من ذلك * على ان السبب الذي من اجله
لا يمكن ان تحصل على الكمال في الفضيلة دون
ممارسة هذه الافعال المضادة للرذائل المقصود
اصلاحها. هو ان بقيّة الافعال. مهما كانت جزيلة
الفاعليّة وكثيرة العدد. لا تستطيع ان تستاصل
الرذائل المذكورة من اصولها * ولذلك وان كنت
لا ترضى بحركات الحدّة والنزافة حينما يُفترَى
عليك كما قلنا في المثل السابق . بل تقاومها
بكلّ الانواع التي اوردناها . فليكن محقّقًا عندك
انك ان لم تتعوّد على حبّ الافتراء والسرور به.
فلا يمكن ان تستاصل من قلبك رذيلة الحدّة التي
تتولّد من افراط خوفنا من ان يفتري الناس علينا.
ومن الشوق المتزايد الى الكرامة * فما دام هذا القلق
في نفسك فلا ريب انّهُ ينبت دائمًا . فتضعف

ضيلتك: وربّما بتمادي الزمان تجد نفسك عارية
من كلّ فضيلة، وحاصلة على خطر السقوط في
كلّ دقيقة والارتداد الى شرورك الاولى: فلا ترجُ
ان تبلغ الفضائل الراهنة ان لم تمارس افعالها
مرارًا كثيرة ولتبيد بها الرذائل التي تضادّها. وقلتُ
انّه يجب ان تمارس هذه الافعال مرارًا كثيرة: لانّه
كما انّ الملكة الرديّة تتكوّن بخطايا كثيرة، هكذا
الملكة المقدّسة الغير القابلة الاقتران بالرذيلة،
تقتضي افعالاً كثيرة من الفضيلة: بل انّ هذه
الملكة تحتاج الى افعال من الفضيلة اكثر عددًا
ممّا تحتاجه الملكة الرديّة من افعال الخطايا، لانّ
فساد الطبيعة من شانه ان يقوّي الواحدة ويضعّف
الاخرى على الدوام *

ثمّ اعلم ايضًا انّه ان كان لا يمكنك ان تكتسب

الفضيلة التي تريدها من دون ممارسة بعض افعال خارجة مطابقة الافعال الباطنة كما يحدث في الصبر: فلا يكفيك ان تتكلّم بروح المحبّة والحلم مع من افترى عليك: بل يجب ان تزيد على ذلك كلّ ما يمكن من الخدم لهُ * فاذا وجدت هذه الاعمال الخارجة والباطنة ضعيفة جدًّا، ورايت نفسك تعملها بقهر واغتصاب، فايّاك ان تهملها: لانّها مع كونها ضعيفة، تجديك في الحرب قوّة وتعينك جدًّا في اكتساب الظفر * فاسهر على باطنك، ولا تكتفِ بان تقهر اشدّ حركات اماراتك فقط، بل احتقر اصغرها ايضًا: لانّهُ قد تكون هذه بمنزلة استعدادات لتلك الحركات الشديدة التي منها تتولّد الملكات الرديّة * وقد تحقّق ذلك بالتجربة عن اناس كثيرين اهملوا

تقهر انفسهم في اشيآء خفيفة مع انّهم قد كانوا قهروها في امور باهظة ثقيلة، فطرقتهم تجارب اشدّ من السالفة، من قبل اعدآء لم يظفروا بهم ظفرًا كاملاً *

وانّي لانصحك ايضًا نصيحةً جزيلة الاعتبار، وهي ان تقهر نفسك ايضًا في الاشياء الجائزة الغير الضروريّة: لانّك بهذا تربح ربحًا وافرًا، وتنتصر على نفسك في اشيآء اخر بأوفر سهولة، وتتشدّد قوّتك وتزداد دربتك في مقاومة التجارب، وتحصل مقبولاً اكثر عند السيّد المسيح * فلا تهملنّ عمل هذه الرياضات المقدّسة التي اوردتها لك، الضروريّة لاصلاح باطنك: لانّك بها تنتصر سريعًا على نفسك انتصارًا مجيدًا، وفي زمن يسير تنمو في الفضيلة نموًّا عظيمًا، وتكون انسانًا

روحيًّا لا بالاسم فقط، بل بالفعل والحقيقة ايضًا * لانّك ان سلكت طريقة اخرى ، ولو تبيّنت لك جيّدة، ووجدت فيها لذّة روحيّة عظيمة ، ورايت انّك قد حصلت بها على الاتّصال بالله، فليكن موكّدًا عندك انك لاتكتسب اصلاً فضيلة ما راهنة ، ولا تعلم ابدًا حقيقة السيرة الروحيّة، التي كما تقدّم القول عنها في الفصل الاول ليست بقائمة في رياضات حلوة طيّبة الطبيعة، بل في التي تصلب الطبيعة مع شهوتها واهوائها المنحرفة * فهكذا يتجدّد الانسان باطنًا بواسطة الفضائل المكتسبة ، ويتّصل بخالقه ومخلّصه المسمّر على الصليب اتّصالاً عظيمًا * ومن المحقّق الذي لايشوبه ريب ، انّه كما انّ الملكات الرديّة تتكوّن فينا بافعال كثيرة بارزة من الارادة

المغلبة للشهوة الحسّية . هكذا تكتسب الفضائل المسيحيّة بافعال كثيرة بارزة من الارادة المطابقة لارادة الله . الذي يحث النفس تارةً على هذه الفضيلة ، وتارةً على غيرها * فكما انّهُ من الممتنع ان تحصل الارادة مذنبة ، ولو اجتهدت الشهوة الحاسّة في افسادها ، اذا لم تذعن هي اعني الارادة لها : هكذا من المحال ان تحصل مقدّسة متّحدة بالله ولو كانت النعمة التي تجتذبها قويّة ، اذا لم تسعَ هي معها ، لا بافعال باطنة فقط ، بل بافعال خارجة ايضًا ، اذا دعت الضرورة الى ذلك *

❊ الفصل الرابع عشر ❊

فيما يجب فعلهُ حينما تتبيّن لنا الارادة مغلوبة وعاجزة عن مقاومة حركات الشهوة الحسيّة

اذا تبيّن لك احيانًا انّ ارادتك ضعيفة عاجزة عن مقاومة الشهوة السفلى . ورايت اعداءً آخرين مجتهدين في ان يستولوا عليها : فاحرص مجتهدًا بان لا تبرح مصطفًّا امامهم ❊ واياك ان تخرج من ميدان الحرب يائسًا . وان كنت لا تشعر في نفسك بشجاعة وعزم متين كافٍ للظفر بهم : لانهُ يجب ان تظنّ بنفسك انك حاصل على الانتصار . ما دمت لا يظهر لك انك قد غُلبت بالكلية ❊ لانهُ كما انّ ارادتك

تحتاج الى ارتضاء الشهوة السفلية لكي تختار ما تريده . هكذا تحفظ على الدوام استعمال اختيارها مهما كانت مستجيبة متعوبة من قبل هذا العدو . حيث ان الخالق المتعالي قد وهب لها سلطاناً مطلقاً عظيماً جداً . حتى انه ولو اصطفت لمحاربتها الحواس كلها مع كل الشياطين والخلائق كافة . لم تستطع ان تمنعها عن ان تفعل ما تشاؤه . او ان لا تفعل ما تشاؤه . وذلك في اي مرة واي زمن وباية نية وجه تريد اولا تريد . وان اشتدت التجربة اشتداداً حتى يتبين لك انك عديم القوة الكافية للمقاومة . وذلك لفرط ما ضعفت ارادتك وقاربت الانغلاب : فاياك مع ذلك ان تفشل يائساً . وتلقي الاسلحة مستسلماً : بل اصرخ وحارب قائلاً للمجرب : اغرب عني يا شيطان . لاني

سماعوت الف مرّةٍ افضل من ان اقبل وساوسك القبيحة ❋ وشبّه نفسك بانسان يتحارب مع خصم قويّ الدّ : فانهُ اذا لم يمكنهُ ان يضربهُ بحدّ سيفهِ ، يضربهُ بقفاه ، وكيفما امكنهُ ❋ ثمّ لاحظ كيف يجتهد في تخليص نفسهِ من بين يديهِ ، وكيف يتوارى قليلًا ، ثمّ يرجع اليهِ ليضربهُ ضربة الموت ❋ فتعلّم من هذا المثال ان ترتدّ مرارًا كثيرة الى باطنك ، وتعتبر انّك من ذاتك لست شيئًا وغير قادر على شي ، لكي تتقوّى بعد ذلك بحسن الاتّكال على قدرة الله الضابطة الكلّ ، وتحارب بنعمتهِ الهوى المستولي عليك ، وتنتصر عليهِ ❋ وقل حينئذ : اعنّي ايّها الربّ الالهي ، اعنّي يا يسوع المخلّص ويا مريم سيّدتي ، لا تهملا عبدكما ، ولا تسمحا بان انغلب للتجربة ❋

واذا امكنك في حال شدّة التجربة فاستدعِ العقل الى عون الارادة ، وشدّدها باعتبارات مختلفة مناسبة لتقويتها على الحرب * فان كنت مثلاً مضطهداً ظلماً ، او متضيّقاً على نوع آخر ، وحصلت من ذلك في حزنٍ عظيم ، وشعرت بحركات شديدة تسوقك الى الحدّة والنزافة ، وتصيّرك غير قادر على الاحتمال ، او لا تريد ان تحتمل : فابذل حينئذٍ جهدك في ان تشجّع قلبك * واعتبر جيّداً ما نذكرهُ الآن وما يماثلهُ * فانظر اولاً لعلّك مستحق ما اصابك : فان كان الامر هكذا ، فيقتضي الصواب ان تحتمل بالصبر جرحاً قد سبّبتهُ انت بيدك * ثانياً ان لم ترَ ذاتك مذنباً في هذا الامر ، فوجّه نظرك الى خطاياك السالفة التي لم يعذّبك العدل الالهي

بعد لاجلها، اولم توفِ بعد عنها بتوبة مناسبة لها ❊ وبعد تاملاتك في رحمة الله الذي يبدّل العذاب المستوجب لك، الذي كان يجب ان يكون امّا مستطيلاً في المطهر او ابدياً في جهنّم، وانّهُ قد بدّلهُ بعذاب اقصر واخفّ جدًّا: فاقبلهُ بصبر، لابل بسرور وتقدمة الشكر ايضًا ❊ ثالثًا ان خلت باطلاً انّ ذنوبك قليلة، وانّ ما قدّمته عنها من الافعال الوفائيّة كثيرٌ: فتذكّر انّهُ من المستحيل ان يدخل الانسان ملكوت السماء الّا من الباب الضيّق باب الشدائد والمحن ❊ رابعًا اعتبر ايضًا انّهُ وان امكنك ان تدخل السماء من باب آخر. فمجرّد فرض المحبّة الخالصة ينبغي ان ينزع عنك هذا الفكر والاشتهاء، من حيث انّ ابن الله وجميع القدّيسين ذهبوا الى السماء حاملين

عليهم سائرين بطريق مفروش بالشوك ❊
خامساً انّ الشي الذي يجب عليك ان
تعتبرهُ هنا وفي كلّ امر اعتباراً خصوصيّاً . هو
مشيّة الله الذي يحبّك جدًّا ويسرّبك سروراً
عظيماً اذا رآك ممارساً اعظم افعال الفضيلة ومكافياً
بهذا محبّة لك ❊ واعلم انّه كلّما زاد اضطهاد عدوّك
لك ظلماً وجفاءً وصعب عليك احتمالهُ . زاد
الله اعتباراً لشجاعتك : لانّك في حين الشدّة تسجد
لاحكامهِ . وتخضع لعنايتهِ . اذ يحوّل اشرّ الحوادث
الى خيرنا . ويستخدم بعض اعدائنا لخلاصنا ❊

❋ الفصل الخامس عشر ❋

في بعض نصائح اخرى جزيلة المنفعة لنعلم ان نحسن هذه الحرب ونعرف الاعدآء الذين ينبغي ان نحاربهم والطريقة التي بها نظفر بهم

قد علمت كيف ينبغي لك ان تحارب لكي تنتصر على نفسك وتكتسب الفضائل ❋ الّا انهُ ان رمت ان تظفر بالغلبة بسهولة وسرعة . فلا يختلجنَّ في فكرك انّهُ يكفيك ان تحارب بشجاعة مرّةً وحدة فقط : بل يجب ان تعلم انّهُ يلزمك ان تعود الى القتال ايضًا . وتحارب على الخصوص حبّك لذاتك الى ان تحصل على هذه الحال . وهي ان تحسب الذين يفترون عليك باشنع الافترآء احبّآء واصحابًا لك ❋ وقد يتّفق مرارًا كثيرة كما

لنا بما تقدّم . انّ التهاون في هذا القتال يصيّر
الانتصار اكثر صعوبة واقلّ كمالاً وعددًا ودوامًا *
حارب بعزمٍ كلّي . ولا تعتذر بضعفك الطبيعي :
ال ان كنت عادم القوّة . فاطلبها من السيّد
المسيح الذي لا يمسكها عنك * وافتكر انّهُ ان كان
رجز اعدائك شديدًا عليك جدًّا . او انّ كثرتهم
تفوق العدد . فمحبّة الله لك هي اعظم . وعدد ملائكته
المرسلين لحفظك والقدّيسين المتضرّعين عنك
يفوق على عدد اعدائك كثيرًا جدًّا * فبمثل
هذه الاعتبارات تشجّعت نسوة ضعيفات . وبها
انتصرن على كلّ حكمة العالم ولذّات الجسد
ورجز الشياطين * فالخليق بك ان لا تحزن ولو
تبيّن لك الانتصار مستصعبًا . وانّ القتال لا ينتهي
الّا بانتهاء حياتك . وانّ مخاطر الهلاك قد احاطت

بك من كل ناحية ❋ لانه يجب عليك ان تعلم انه لا قوة اعدائك ولا حيلهم جميعًا تستطيع ان تضرك دون اذن الله الذي انت تحارب اكرامًا له ❋ ومن حيث انه تعالى يحب هذه الحرب جدًّا ، ويحرض الجميع عليها كثيرًا : فلذلك لا يسمح لاولئك الذين قصدوا هلاكك ان يبلغوا اربهم بك لانه حلّت عنايته يكافح عنك ، ويظفرك بهم اولًا او آخرًا ، ولو اخر ذلك الى آخر يوم من حياتك ❋

فالشيء الذي يريده تعالى منك هو ان تحسن شجاعتك في هذا القتال فلا تلقي اسلحتك ، ولا تخرج من المعركة موليًا ، ولو نزلت بك جروح كثيرة ❋ ولكي يتشدد قلبك اذكر انه لا بد عن هذا القتال ، وان الضرورة تضطرك اليه ، وبدونه لا نجاة لك من الهلاك : لان الاعداء المحدقين بك

يجدّون على اهلاكك بعزم شديد ، حتّى انّهُ لا يمكن البتّة ان يرتضوا بالصلح اصلاً ❊

❊ الفصل السادس عشر ❊

في انّهُ يجب على الجنديّ المسيحيّ ان يستعدّ للحرب منذ صباحهِ

انّهُ عند انتباهك من النوم صباحًا ينبغي لك قبل كلّ شيء ان تفتح عيني نفسك ، وتصوّر ذاتك بذاتك في ميدان القتال مصافقًا عدوّك ومضطرًّا بمحاربتهِ ان اردت ان تنجو من الهلاك الابدي ❊ فاجعل هذا العدوّ تجاه عينيك ، اعني به الرذيلة التي تجتهد منذ زمانٍ في استئصالها : وتصوّرها كوحش شرس آتيًا اليك ليثب عليك ويفترسك ❊

ثمّ تصوّر السيّد المسيح قائدك المظفّر واقفًا من عن يمينك مع الجليلة مريم والدته وخطّيبها الطاهر مار يوسف وصحبتهم جمّ غفير من الملائكة والقدّيسين ولاسيما القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة ❋ وتصوّر من عن شمالك ابليس مع جنوده الشياطين مستعدّين لحفظ هذه الرذيلة وتمكينها فيك بكلّ اجتهادهم ❋ واخيرًا تصوّر ملاكك الحارس يخاطبك ويقول لك : انّهُ ينبغي لك اليوم ان تنتصر على هذا العدوّ . وعلى كلّ الذين عزموا على هلاكك . فليتقوَّ قلبك . ولا يفشل يائسًا من قبل خوفٍ باطلٍ . او اعتبارٍ ما من جميع الاعتبارات : لأنّ ربّ القوّات يسوع قد وقف ههنا بقربك مع صفوف اجناده السماويّين ليقاتل اعداءك ولا يدعهم ان يقووا عليك ❋ فكن في

القتال ثابتًا مطمأنًا مغتصبًا نفسك غير منقطع
عن الاستغاثة بالله من صميم قلبك ، طالبًا المعونة
من يسوع ومريم وجميع القدّيسين ❊ وبعد ذلك
لا تشكّ في انك تفوز بالظفر : لانه مهما وجدت
نفسك ضعيفة ، وتبيّن جيش اعدائك هائلًا لكثرتهِ
وقوّتهِ ، فلا يجب ان تجزع البتّة : لانّ الجيش
المنحدر من السمآء لمعونتك اكثر عددًا وقوّة من
الذين اطلقهم الجحيم لهلاكك ❊ انّ الاله الذي
خلقك وافتداك هو الضابط الكل ، وهو يحبّك
ويعضدك : ورغبتهُ تعالى في خلاصك هي اعظم
بما لا يقدَّر من رغبة الشيطان في هلاكك ❊
فحارب بشجاعةٍ ، ولا تبرح من ان تميت نفسك
لانك بالمواظبة على محاربة اماراتك المنحرفة
تفوز اخيرًا بالظفر ، وبهِ تدخل ملكوت السمآء

حيث تبقى النفس متّصلة بالله الى الابد ❊
فابتدئ الآن الحرب باسم الربّ يسوع : وليكن
سيفك وترسك اليأس من ذاتك والاتّكال على
الله وحسن استعمال قواك الروحيّة ❊ فهذه هي
الاسلحة التي يجب ان تقاتل بها عدوك . اعني
به ذلك الهوى المتسلّط عليك الذي تقصد ان
تستاصلهُ وتبيدهُ . وذلك امّا بان تزدري به
بشجاعة . وامّا بان تقاومهُ مقاومةً شديدة او تعمل
اعمالاً مضادّة لهُ . او تستعمل غير ذلك من الوسائط
التي يريكها الله لانتزاع شاوشه من قلبك ❊ فلا تبرح
مجتهداً الى ان تكون قد قهرت هواك واستاصلتهُ
كلّيًّا . وهكذا اي بثباتك في الحرب تستحقّ ان
تنال الاكاليل من الديّان العظيم الذي يكون
حاضرًا معك مع كلّ الكنيسة المنتصرة في وقت

حربك * واكرر عليك قولي هذا وهو احترس من ان تضجر من هذه الحرب. لكن اعتبر هذا فقط: وهو انه يجب على الجميع ان يعبدوا الله ويرغبوا رضاه. وانه لابدّ من الحرب لانك ان هربت من المحاربة فلا بدّ من ان تخاطر بنفسك. وانك اذا تمردت على الله واحتقت العالم واطلقت العنان لهواك فلا تنجو من التعب. لان شهوة الجسد والكبرياء تسببان للنفس والجسد اتعابًا كثيرة * فيا لغباوة من لا يخاف من ان تدركه في هذا العالم اتعاب شديدة تعقبها عذابات مؤبدة.

ومن يخاف من تعب يسير
يُجازَى بسعادة خالدة
والتمتع بالله الى
الابد *

❊ الفصل السابع عشر ❊

في النظام الذي يجب حفظهُ على من يحارب اماراتهِ ورذائلهُ

انّهُ ليجب عليك جدًّا ان تعقل جيّدًا بايما نظام ينبغي لك ان تحارب اماراتك ورذائلك ، لئلّا تكون كاعمى يضرب الهوآء عبثًا ، كما يفعل اناس كثيرون يخسرون بهذا اكثر اثمار اتعابهم ❊ فابتدئ بان تختلي بنفسك باطنًا لتفحص باجتهادٍ ما هي الافكار والحركات التي تتردّد في عقلك وقلبك غالبًا ، وما هو الهوى المتسلّط عليك اشدّ تسلّط ❊ وهذا الهوى هو عدوّك الاخصّ والاعظم الذي يلزمك على الخصوص ان تقاتلهُ ❊ واذا شرع الروح الخبيث ان يحاربك من جهة اخرى ،

مقتصدًا بذلك ان يلزمك بترك محاربة هذا الهوى: فوجّه حينئذٍ الحرب الى حيث ترى الخطر اعظم: ثمّ عُدْ سريعًا الى مقصودك الاول *

* الفصل الثامن عشر *

في مقاومة الحركات الرقيقة الصادرة من امارتنا

ان كنت بعد غير معتاد على احتمال الازدرآء والافترآء من قِبل الناس، وبقيّة صعوبات هذه الحيوة كما يجب. فانك ستعتادها اذا ما سبقت وعلمت بورودها، واعددت نفسك قبلاً لقبولها *

فيجب عليك اوّلاً ان تفحص نفسك جيّدًا لتعرف يقينًا ما هو الهوى المتسلّط عليك اشدّ تسلّطٍ: ثمّ تلاحظ الذين تعاشرهم والاماكن التي

يكثر ترددك اليها. لتعلم من هذا ما يمكن ان يحدث بك
من المكاره* فان حدث لك شيء على غفلة
ام تكن سبقت وشعرت به . فيفيدك جدًّا
استعدادك السابق لمثل هذه الحوادث المرّة *
ومع ذلك فانّي اقدّم لك الآن واسطة تسهل
عليك احتمال هذه المصيبة * فاقول انهُ حينما
تشعر بغليل من السجس من سبب ما اصابك
بغتةً من الافتراء او غيرهِ من الخزيات . فاحذر
جدًّا من ان تطلق العنان للحزن: بل ليأتِ
عليك حالاً الى الله معتبرًا انّ هذه الحادثة والمصيبة
منحدرة من السماء . وانّ الله الاب الجزيل صلاحهُ
هو نفسهُ ارسلها اليك كواسطةٍ لتنقية نفسك .
وانهُ عزّ ذكرهُ يُسَرّ جدًّا اذ يراك قابلاً بسرورٍ
اصعب الشدائد حبًّا لهُ * ثمّ بعد ذلك التفت

ذاتك وبكّت نفسك بحقّ قائلاً هكذا: يا ايها
نسان الفشل استحِ خجلاً من انّك لا تقدر ان
تحمل صليبًا قد اتاك لا من هذا الشخص ولا من
ك . بل من ابيك الذي في السموات * ثمّ
التفت الى الصليب نفسه واقبله بالرضى
الخضوع . لا بل بالسرور والابتهاج ايضًا . قائلاً
نحوه هكذا : ايها الصليب الذي هيّأته لي العناية
الالهيّة قبل ان آتي الى العالم . انّ حبّي لسيّدي
يسوع المصلوب يصيّرك لي اشهى واعذب
من كل لذّات الحواسّ : وانّي لارغب ان استمرّ
عليك لكي استطيع بك ان اتّصل بمن افتداني
بموته مسمّرًا عليك *

وان سحّبك الهوى في الابتداء حتّى
انّه لا يدعك ان ترفع نفسك الى الله . بل

يؤثّر في ارادتك فيثلمها يسيرًا : فاحذر حينئ
جدًّا من ان تدعهُ ان يبلغ الى اكثر من ذلك
لكن مهما تستحِسّ قلبك وتالّم من قبلهِ . فافرغ
جهدك في قهرهِ والانتصار عليهِ . وذلك بالتماسك
المعونة من السماء بحرقة ونشاط ※ الّا انّ الواسطة
الفضلى لقهر هذه الحركات الاولى النفسانيّة
هو الاجتهاد في استيصال اسبابها ※ فان رايت انّ
علّة احتدادك ونزاقتك هي التصاق قلبك بشيءٍ
من الاشياء وانّهُ هو الذي يصيّرك ان تحتدّ متخلقًا
كلّما قاوم احد الناس ميل نفسك . فانبذ هذا
الميل والالتصاق . فتحصل على راحة راهنة ※

غير انّهُ ن كان التحسّس الذي تشعر بهِ ليس
هو مسبّبًا عن حبّ منحرف لموضوع ما شهيّ
تشتاق اليهِ . بل عن كراهية واشمئزاز طبيعيّ من

خص ما لا تجد فيهِ سوى ما يغيظك حتّى انك
ستصعب ادنى اعمالهِ وتستثقلها : فالدواء
عظيم لهذا الداء، هو ان تجتهد في ان تحبّ هذا
شخص، لا من اجل هذا السبب فقط، وهو انهُ
خليقة نظيرك جبلتها يد الله خالقك، واقتداءً
بيسوع المسيح ربّك بدمهِ الكريم، بل من اجل
هذا السبب الآخر ايضاً، وهو انّك اذا
احتملت نقائصهُ بحلمٍ وصبرٍ،
تستطيع ان تتشبّه بالآب
السماوي، الذي يعامل
الجميع مطلقاً
بجودهِ ومحبّتهِ

※ ※ ※

※

❊ الفصل التاسع عشر ❊

في الوجه الذي بهِ ينبغي ان تقاوم رذيلة الفساد
اي الشهوة

اعلم انّهُ يلزمك ان تقاوم هذه الرذيلة على
نوع خصوصي . وباجتهاد اعظم ممّا تقتضيهِ مقاومة
بقيّة الرذائل ❊ ولكي تحسن هذا العمل ينبغي
ان تلاحظ ثلاثة ازمنة مختلفة . اعني الزمن الذي
يتقدّم التجربة . والزمن الذي تكون فيهِ التجربة
والزمن الذي بعد انقضاء التجربة ❊

فقبل ورود التجربة يجب عليك ان تبذل
جهدك كلّهُ في ان تصدّ نفسك وتمتنع من كلّ
اسبابها . متجنّبًا كلّ شخص يوجد في معاشرته
ادنى خطر ❊ واذا مسّتك الضرورة للتكلّم مع
من هو هكذا . او لمعاملتهِ او لقضاء شغل معه

...اقض ذلك باكثر ما يمكنك من السرعة. واوفر
...ما تستطيع من احتشام الوجه وهيبة التكلّم .
...الصرامة المنافية البشاشة والدالّة * واياك من
...ن تعتمد بتجاسر على انّك مكثت في العالم سنين
كثيرة ولم تشعر بنخز الجسد اصلاً: لانّ شيطان
الدنس قد يفعل في ساعة واحدة ما لم يفعله في
...مدة سنين كثيرة، واحياناً يصرف زماناً مديداً في
استعداد الاسباب والوسائط . وحينئذٍ تكون
ضرباته اشدّ عزماً وجرحه اعظم خطراً * لانه
اخزاه الله يعرف ان يخفي حيله . ويتقل حينما
...تملّق. حتّى انّ الخطر الاعظم الذي يحقّ له
الاعتبار الجزيل . وقد تحقّق بالتجربة اليوميّة .
هو اذ يبتدئ الانسان صحبةً ما او يربّيها . ولا
يتبيّن له في ذلك شرّ ما اصلاً. لكونها مؤسّسة

على حجج تستبين حميدة كحجة القرابة او حسن
الوفاء او غير ذلك مما يقتضيه الصواب . او على
صلاح الشخص المحبوب وفضائله * ولعمري
ان المحبة الدنسة تداخل سرًّا هذه الاصطحابات
بواسطة الافتقادات المتكاثرة والمذاكرات
المستطيلة والدالة المتجاوزة الحدّ . الى ان يتّصل
السمّ الى القلب . ويعمي العقل حتى انّه يعود
مستخفًّا بنظرات منحرفة عن الاحتشام والفاظ
ليّنة حلوة ولذّة المؤانسة والمجالسة وما شاكل ذلك
من الامور التي تتولّد منها تجارب يعسر الظفر بها
جدًّا جدًّا *

فاهرب قبل كلّ شيء من اسباب التجربة
لانّك بمنزلة تبن قريب من نار عظيمة * ولا
تركن الى فضيلتك . ولا تعتمد على انك عزمت

ان تموت ولا تخطى * لانهُ مهما كانت ارادتك جيدة صالحة: فان المحبة اللحمية التي من شانها ان تتقد في هذه المذاكرات الحلوة المستطيلة تزداد اضطراماً حتى يعود خمودها واطفاؤُها غير مستطاع * ولفرط ما يتوق قلبك لاشباع شهوته، تسد اذناك عن نصائح احبائك، وتنتزع منك مخافة الله: ولا تبالي من اتلاف عرضك وفقد حياتك، حتى ان ذكر النار الجهنمية لا يستطيع ان يطفئ لهيب النار الدنسة المضطرمة فيك *

فاطلب خلاصك بالهرب، والا فتخدع لا محالة، ويكون عقاب جسارتك الموت الابدي * ثم عليك ببغض البطالة وبالاعتناء بواجبات دعوتك والاجتهاد في تاديتها * اطع رؤساءك بسرور من دون مقاومة، واصنع بسرعةٍ كلّ ما

يامرونك بهِ ❊ واختر باشدّ رغبةٍ ما تنفر منهُ طبعاً وتكرههُ اعظم كراهية : واحذر من ان تدين قريبك باطلاً ، ولا سيما في امر باهظ ❊ وان سقط احد سقطةً فظيعة مشتهرة ، فلا تحقرنهُ ، ولا تحتدّ عليهِ تخلّفاً ، بل احزن من جرى ضعفهِ وانتصح منهُ متضعاً امام الله ، معترفاً انك تراب وطين وعدم محض ❊ وزد حينئذٍ احتراسك وصلواتك ، واحسن هربك من كلّ معاشرة مخطرة ، ولو كان الخطر خفيفاً : لانّك اذا ما اسرعت في دينونة القريب يسمح الله ان تسقط فيما دنتهُ بهِ تاديباً لك وتعليماً ❊ ولكي تطّلع بهذه الاهانة على كبريائك وعدم فطنتك وتلتمس لهما دواء لكي تنجو ان امكن من مثل هذه السقطة الفظيعة : فمع ذلك يجب ان تعتقد متيقناً انك بالمواظبة على دينونة القريب

والشكوك الباطلة فيه، تكون على الدوام حاصلاً على خطر عظيم لان تسقط سقوطاً فظيعاً *

واذا رايت نفسك في حال الافراح الروحيّة ولست بمتخذ منها سروراً ما صادراً من حبّ ذاتك، فمع ذلك لا تظنّ انك قد بلغت قمّة الكمال وانّ عدوك عاجز عن مضرّتك، لسبب انّه يتبيّن لك انك تحتقره وتستقبحه مستكرهاً: بل تيقّن متحقّقاً انّه بدون الاحتراس الجزيل يعسر عليك الخلاص من السقوط في احبولته *

ولنتكلّمن الآن عمّا يخصّ زمان التجربة * فنقول: انّه ليجب عليك ان تفحص اوّلاً عن علّتها، وتنظر اهي باطنة ام خارجة * والمراد بالعلّة الخارجة تفتيش العينين والاذنين على اشياء حائدة عن الاحتشام، والتزخرف

بالملابس الفاخرة الناعمة . والصحبة الحلوة
والمذاكرات اللينة ذات الدالّة المخطرة * وهذا
الداء يداوى بالادب والاحتشام . اللذين
يغمضان العينين . ويسدّان الاذنين بازاء كلّ
ما يمكن ان يدنّس المخيلة * الّا انّ الدواء الاعظم
هو الهرب كما تقدّمنا فقلنا * امّا العلّة الباطنة .
فتصدر من صحّة مفرطة اي من البطر . او من
كثرة افكار رديّة ناتجة من ملكات سيّئة . او
من وساوس الخبيث * ودواؤها ان تضايق
الجسد المعتاد على تنعّم المعيشة وتقهرهُ بالصوم
والجلد ولبس المسح والسهر وبكلّ ما يمكن من
انواع التقشّفات بغير ان تتجاوز حدود التمييز
والطاعة *

امّا من جهة الافكار النجسة فمن ايّة علّة

كانت فيمكن ان تنجو منها اوّلاً بحسن الاعتناء بالرياضات الدينيّة المناسبة دعوتنا ❊ وثانياً بواسطة الصلوة اللفظيّة والعقليّة ❊ فالصلوة اللفظيّة يجب ان تمارسها هكذا : حالما تداهك هذه الافكار السمجة وتبتدئ بان تشعر بتاثيرها ، اختل بنفسك باطناً ، والتجئ الى يسوع المصلوب ، وقل له تعالى هكذا مبتهلاً : يا يسوع الحلو اسرع لمعونتي ، لئلّا تسقط نفسي بين ايدي اعدائي ❊ واحياناً اعتنق ايقونة ابن الله المصلوب ، وقبّل الف مرّة جروحه المقدّسة قائلاً : يا ايّتها الجروح المسجود لها الجليلة القداسة ، لترتسم صورتكنّ في قلبي المفعم نجاسة لتطهّره وتنقذني من الخطيّة ❊ امّا من جهة الصلوة العقليّة ، فلستُ اشير

عليك بما تحث عليه بعض الكتب الروحية

اي ان تستعمل في حين اشتداد التجربة بعض

اعتبارات في قباحة خطية الفساد . متاملاً

مثلاً انّ هذه الرذيلة القطيعة غير قابلة الاكتفاء .

وانهُ تلحقها احزان كثيرة : واحيانًا فقد الاموال

والصحّة والحيوة والصيت والتجرّا * والسبب

في انّي لا اشير عليك بهذه الاعتبارات هو انها

ليست وسائط معينة جدًّا لانقاذنا من الخطر .

بل انها احيانًا كثيرة توغلنا فيه توغيلاً اكثر *

لانّه وان كان العقل من احدى الجهات يطرد

هذه الافكار الرديّة : الّا انّه من جهة اخرى

يلقي الارادة دائمًا في خطر قبولها * فتكون افضل

الوسائط للخلاص من هذه الافكار هي ان نبعد

عن فكرنا تلك الموضوعات الدنسة . لا بل

لافكار التي تضادّها ايضًا : لانّنا اذا ما اجتهدنا
ي رذلها باعتبارات مضادّة لها ، يدوم فينا ذكرها
سرًا وقهرًا ، وتبقى صورها فينا رغمًا عنّا واغتصابًا :
ا كتف بتامّل حياة السيد المسيح وآلامه * وعند
ذا التامّل اذا داهمتك ايضًا هذه الافكار واشتدّ
عليك السجس من قبلها (وقد يحدث ذلك) ، فلا
شغل قلبك ولا تترك التامّل ، ولا تبذل جهدًا
شديدًا في طردها ، بل ازدر بها كازدرائك بما ياتي
ن الشيطان لا من قلبك * وكن مواظبًا بكلّ ما
كنك من الاصغاء على التامّل في موت مخلّصك :
لانّه لا يوجد شيء اكثر قوّة وافضل فاعليّة من
ذلك لطرد الروح النجس ، ولو عزم على محاربتك
على الدوام * ثمّ اختم تامّلك بهذه الصلوة
و بصلوة اخرى نظيرها قائلًا : يا ايها الاله خالقي

وخلاصي اضرّع اليك بحق جودك الغير المتناهي
وبجاه آلامك المقدّسة ان تنجّيني من اعدائي
وعندما تصلّي هذه الصلوة احذر من ان تفتكر
في الرذيلة التي تجتهد في النجاة منها . لان
تصوّرها ولو كان خفيفاً يسيرًا يكون مخطرًا جدًّا
واحذر على الخصوص من ان تخاصم نفسك
مستفحصًا . ارتضيت بالتجربة ام لا : لان
هذا الفحص هو خديعة يخترعها العدوّ . وبه
يقصد بوجه خير وهميّ وحجّة التزام باطل ان
ينجّسك ويصيّرك تستلذّ بنوع ما بتردّد تلك
الاشباح الدنسة في عقلك ✻

فمتى لم يتضح لك جليًّا انّك ارتضيت بالشر
يكفيك ان تورد لابيك الروحي ما تعرفهُ بكلمات
وجيزة . واقتنع بما يقولهُ ويحكم بهِ ✻ وليسترح

عقالك ولا تعدْ تفتكر في هذا الامر اصلاً * الّا انه
يجب عليك ان تكشف له لبّ قلبك بصدق *
لا يصدّك عن ذلك الحياء الذميم . ولا حجّة
اخرى : لانّ الاتّضاع الذي تحتاج اليهِ لكي
تنتصر على اعدائك مطلقاً . تحتاج اليهِ هنا
احتياجاً مخصوصاً لكي تظفر بهذه الرذيلة . التي
قد تكون خالباً هاجمة الكبرياء * واخيرًا اذا ما
انتهت التجربة . ورايت ذاتك قد حصلت
على سلامة عظيمة . وظننت انك قد بلغت
الى حال الطمانينة . فمع ذلك ينبغي لك ان
تهرب من الاشياء التي سبّبت لك التجربة .
وان لا تدعها ان تدخل في عقلك بوجهٍ من اوجه
الفضيلة او من وجه غير آخر وهيّ : لانّ مثل
هذه الحجج هي حيل الطبيعة الفاسدة واحبولة

الشيطان الذي يتراءى بزيّ ملاك النور لكي
يجتذبك ويزجّك معهُ في الظلمات البرّانية
الجهنميّة ※

※ الفصل العشرون ※

في الوجه الذي به ينبغي ان نحارب رذيلة الكسل

انهُ ليجب علينا جدًّا ان نبذل جهدنا في
محاربة هذه الرذيلة. اي رذيلة الكسل. التي تصدّنا
عن السلوك في طريق الفضيلة. لا بل تسلّمنا ايضًا
بايدي اعدائنا ※ فان اردت ان تحارب هذا
الداء جيّدًا. فابتدي بتجنّب كلّ انواع البحث
الباطل والالتهاء. وجرّدنّ نفسك من محبّة
الاشياء الدنيوية: وابتعد عن كلّ امرٍ وشغلٍ لا
يليق بدعوتك ※ واجتهدن في ان تذعن بنصوح

الالهامات السموية: وتمتثل اوامر روسائك، وتفعل كل شيء في الوقت والوجه الذي يرسمونه ❊ ولا تتباطأ دقيقة واحدة من الزمن في قضاء ما أُمرت بهِ: واذكر ان الابطاء الاول في العمل يجتذب وراءهُ ابطاء آخر: وهذا يجتذب غيره ايضًا، وهكذا تكون مرتدًّا الى الوراء على الدوام ❊ لانّ الخوف من التعب يزداد يومًا فيومًا: وكذلك حبّ الراحة يزداد وينمو بمقدار ما تذوق حلاوتها: فتعود اذا اقترحت بعمل ما امّا ان تؤخّرهُ بمقدار ما يمكنك، وامّا ان ترذلهُ بالكليّة لفرط ما تشمئزّ من التعب ❊ وعلى هذا النحو تتكوّن فيك ملكة الكسل ويعسر عليك استيصالها، ان لم يستحوذ عليك الخجل من قبلها، ويصيّرك فيما بعد ان تعزم على قضاء الاعمال بنشاطٍ جزيل ❊

فاعتبر هنا أوّلاً انّ الكسل هو سمّ يمتدّ الى قوى
النفس كلّها: وهو يفسد الارادة مصيّرها ان تبغض
التعب . لا بل يفسد العقل ايضاً ويعميه . حتى
انّه لا يرى انّ مقاصد الكسلان تكون بلا فعل
غالباً . وانّ الذي يجب ان يفعله في حينه امّا لا
يفعله اصلاً . وامّا يؤخّره الى حين آخر * ثمّ اعتبر
ثانياً انّه لا يكفي ان نفعل سريعاً بلا ابطاء ما يجب
علينا فعله . بل انّه ينبغي ايضاً ان نختار له الزمن
المناسب لحقيقة العمل . وان نعمله باجتهاد
بليغ . لكي يبلغ كل كماله الممكن * على انّ عمل
الانسان ما أُمر به بسرعة من غير مبالاة بان يتقنه .
ليس هو بنشاط حقيقي : بل هو ضرب من الكسل
الخفيّ الرقيق ورغبة بان يتخلص منه عاجلاً . ويجد
زماناً اوفر للراحة * وسبب هذه الشائبة هو انّنا لا

نعتبر كما يجب جزيل ثمن العمل الذي نعمله في حينهِ ولا نظفر بكلّ صعوباتهِ التي من شان الكسل ان يعيق بها المبتدئين في الحرب الروحيّة ❊

فاعتبر مرارًا كثيرة ان تنهدة من تنهدات النفس او تلفّظ الفم بكلمة ما من الابتهالات الوجيزة الروحيّة او ركعة واحدة او ادنى فعل الاحترام لعزّة الله: هو شيء افضل اعتبارًا من كلّ كنوز الارض . وانهُ كلّما قهر الانسان نفسهُ في شيء تنحدر الملائكة من السماء ويقدّمون لهُ اكليلاً جزاء عن انتصارهِ على ذاتهِ ❊ واذكر ايضًا انهُ بعكس ذلك يسلب الله نعمهُ رويدًا رويدًا من الفاترين المتهاونين في استعمالها . وانهُ تعالى يهبها بوفور غزير للنشيطين المجتهدين في تحصيل اثمارها ❊

وان كنت في الابتداء لا تشعر بقوّة كافية

لاحتمال جميع اتعاب السلوك في طريق الكمال
وصعوباته . فاحتمل بدربة روحية مقدسة ان لا
تظهر لك تلك الصعوبات : وذلك لكي تجده
اخف وايسر مما يتصورها ذووا الكسل * فاذا م
التزمت لاجل اكتساب فضيلة ما ان تمارس
افعالاً كثيرة من افعالها . وان تواظب على
ممارستها اياماً كثيرة . وتقاوم اعداءً اقوياء كثيرين
في العدد يجدّون في صدّك عن قضاء مقاصدك
الصالحة . فابتدئ بممارسة هذه الافعال كانه
قليلة . وباشر عملك كانه ينتهي سريعاً . وحارب
اعداءك واحداً بعد واحد كانهم واحد فقط * وكن
واثقاً انك بنعمة الله تقوى عليهم . وبهذه الواسطة
تنجو من رذيلة الكسل . وتكتسب الفضيلة
المضادة لها * وهكذا افعل في الصلوة : فان كانت

تقتضي ساعة من الزمان ولذلك تستطولها .
فاقصد ان تصلّي مدّة نصف ربع ساعة فقط .
ومن ذلك انتقل الى نصف ربع آخر . وهكذا
يسهل عليك البلوغ الى انتهاء الصلوة * وان
وجدت نفسك في ربع هذا الزمن او في ثلثه
مستثقلاً الصلوة بافراط ومستصعبها . فلا تدع
ذلك يبلغ بك الى الاستكراه الكلّي . بل كفّ
قليلاً عن الصلوة . فانهُ لا ضرر بذلك ان عدت
اليها بعد زمن يسير * واصنع هكذا انظراً الى الافعال
الخارجة الجسديّة : فان ظهرت لك كثيرة عسرة
زيادة . وصيّرك الفشل ان تضجر منها كارهاً .
فابتدئ العمل الاوّل . وتغاضَ عن بقيّة الاعمال .
وباشر ذلك العمل بكلّ ما يمكنك من الاجتهاد *
لانك اذا اتقنت هذا تستطيع ان تقضي ما بقي

بسهولة أكثر ممّا تظنّ * وهكذا تتقدّم واسبق كلّ
الصعوبات: ولا تفرّ من التعب اصلاً. بل احذر
جدًّا من ان يشتدّ عليك الكسل . ويصيّر لديك
الاتعاب المتعلّقة بالرياضات الاولى من رياضات
الكمال ثقيلة غير محتملة . فتشمأزّ منها قبل
ورودها * وقد يحدث ذلك للنفس الفشلة الجزوعة:
لانّها تجزع دائمًا من العدوّ ولو كان ضعيفًا بعيدًا:
وتخاف في كلّ ساعة من ان تؤمر باشياء متعبة
مضنية * وخوفها هذا يسجّسها في حال راحتها *
فاعلم انّهُ يوجد في هذه الرذيلة سمّ رديّ يخنق اوّل
بدار الفضيلة. لا بل يبيد الفضائل الراهنة ايضًا *
واعتقد متحقّقًا انّ رذيلة الكسل تفعل في الحيوة
الروحيّة ما يفعلهُ الدود في الخشب : وانّهُ تد
اعتاد الشيطان ان يلقي اكثر الناس بهذه الواسطة

في فخاخه . ولا سيّما الذين يرتاحون الى الكمال ❊ فكن اذًا متحذّرًا . ومارسنّ الصلوة العقلية والاعمال الصالحة بنشاط مجاهدًا . واعدّ الآن لنفسك ثوب العرس : ولا تاخّر اعداده الى الحين الذي ينبغي ان تكون به متردّيًا لتذهب الى لقآء الختن الالهي ❊ واذكر كلّ يوم انّ الذي حفظك الى الصباح لا يعدك بان يحفظك الى المسآء . وانه اذا احبّ ان يحفظك الى المسآء لا يعدك ايضًا بانّك تحيا الى الغد ❊ فاصرف جيّدًا كلّ ساعة من نهارك كانّها السّاعة الاخيرة . وافزع دائمًا من الحساب الدقيق الصارم العتيد ان يُطلَب منك عن كلّ دقائق زمن حياتك ❊

وها انا اقدّم لك نصيحةً اخرى وجيزة فاصغِ اليها معتبرًا ❊ وهي انه يجب عليك بعد ان

تكون نصبت وتعبت كثيرًا وقضيت امورًا جزيلة
ان تعتقد متيقنًا انك اضعت النهار جزافًا ،
وتعبت تعبًا باطلاً ، ان كنت لم تنتصر على
امارتك مرارًا كثيرة ، او اهملت تقدمة الشكر
لله على احساناته ولا سيما على ذلك الاحسان
العظيم الذي به احب ان يموت من اجلك ،
وان كنت لم تقبل بالرضى ما انزله بك هذا
الاب الرحوم من العذاب لكي تفي به عن
خطاياك ❊

الفصل الحادي والعشرون

في حسن استعمال الحواس الخارجة وخصوصًا التأمل في الاشياء الالهية

انهُ بلا اجتهاد واحتراس متصل لا يمكننا ان

ظم حواسنا الخارجة • وذلك من حيث ان الشهوة
نجاسة التي تصدر منها كلّ حركات الطبيعة
لفاسدة تحبّ اللذّة وترغبها بافراط جزيل * ولانّها
تستطيع بذاتها ان تشبّع ميلها : فلذلك تستخدم
لحواسّ لتجتذب اليها الموضوعات التي تشتاق
اليها • وترسل صورها وتوصلها الى العقل الذي هو
ينبوع اللذّة الشهوانية : وبواسطة الاشتراك الذي
بين الروح والجسد تندفق اوّلًا في كلّ الحواسّ
القابلة ايّاها • ثمّ تعدي كثيرًا وبايّ الى القوى
الروحيّة • وهكذا تفسد الانسان كلّه * فلذلك
تكون الادوية المفيدة لعلاج هذا الداء العظيم • ان
لا تطلق العنان كثيرًا لحواسك • ولا تستعملها الّا
لغاية حيّة • ولشيء مفيد • او ضروريّ • لا من اجل
اللذّة * وان هي زاغت على غفلة • وحادت

عن هذه الحدود التي يرسمها العقل ، فردّها سريعاً
الى حالها الواجبة ، ورتّبها بنظام عظيم: حتى انه
عوضاً عن ان تتعلّق كعادتها باشياءَ باطلة ملتمسة
منها لذّة ما كاذبة ، تتخذ من تلك الاشياء عينها
عوناً جسيماً مفيداً لخلاص النفس وكمالها * فتحتاج
النفس باطناً ، وبواسطة معرفة الاشياء المخلوقة
ترتقي الى تأمّل الكمالات الالهيّة * ويمكننا ان
نعمل هذا على الاسلوب الآتي شرحه *

اذا تقدّم تجاه حسّ من حواسّك موضوع
ما شهيّ ، فلا تلاحظنّ ما يوجد فيه من الاشياء
المادية الهيولية ، بل لاحظه بادين الروح * فان
رايت فيه ما يلذّ حواسّك ، فتأمّل انه لم يتخذ
ذلك من ذاته ، بل انه قد اخذه من الله ، وانه تعالى
هو الذي خلقه واتقنه هكذا بيد غير منظورة ، واعطاه

كل ما تجد فيهِ من جيّد وحسن ❊ ثمّ ابتهج من
ـه تعالى هو وحده مصدر جميع هذه الصفات
الجليلة التي تبهجك في الخلائق ، وانّهُ حاويها
بذاتهِ على نوعٍ فائق كل كمال مخلوق بما لا
يدرَك: وانّ اجلّها واكثرها كمالاً ليس هو شيئًا
بالنسبة الى كمالاتهِ الغير المتناهية ❊
وهكذا اذا تفرّست في عمل ما جميل من اعمال
الخالق : فتذكّر انّهُ بذاتهِ ليس هو سوى
العدم ، ووجّه الفكر الى من صنعهُ ❊ وابتهج به
تعالى وحده قائلاً : يا الهي يا موضوع كلّ اشواقي
عنصر سعادتي ، ما اكثر ما تُسَرّ نفسي عند تأمّلي
انّ كلّ ما يوجد من الكمال في الخلائق ليس
هو شيئًا سوى صورة كمالك ، وانك انت مصدره ❊
واذا نظرت الى الاشجار والزهور وما يضاهيها من

النبات . فافتكر ان هذه الحيوة التي تنمو بها ا
تتّخذها من ذاتها . بل انما قد اخذتها من ذلك الرو
الضابط الكلّ الذي لا يُرى . وانّه هو وحده الذي
يحييها * ثمّ قل لهُ سبحانه هكذا : يا ايّها الاله الحي
يا سرور نفسي الوحيد وبهجتها . انت هو الحيو
العظمى . ومنك وفيك وبك يحيا كلّ شيء وينم
على الارض * واذا شاهدت شيئًا من الحيوانات
فرقِّ عقلك وقلبك الى من يعطيها الحسّ والحركة
وقل لهُ باحترام ومحبّة هكذا : اللهمّ المحرّك كل
شيء في العالم وهو غير متحرّك : انّي لمبتهج من
انّك ثابت على حال واحدة منزّه عن قبول التغاير
والزوال * وان اثر فيك جمال الخلائق . فافرز حا
ما تراهُ . ممّا لا تراه . ودع الجسم جانبًا وتعلّق بالروح
واعتبر انّ كل ما تجدهُ جميلاً . يصدر من علّة واحد

غير منظورة وهي البهآء الغير المخلوق * وقل حينئذ في نفسك: ها هوذا جداول صغيرة جارية من ذلك البحر العظيم الذي منه تنبع جميع الخيرات: فيا لعظم ما تبتهج نفسي عند تأملها ذلك البهآء الازلي علّة كل بهآء مخلوق * وهكذا اذ ترى انساناً حكيماً عادلاً جواداً او متصفاً بغير ذلك من الصفات الحميدة ميّز ايضاً ما له من تلقآء ذاته ومّا اتّخذه من السمآء * وقل نحو من هو علّة كلّ خير هكذا: الهي ربّ الكمالات وينبوعها. انّي اسرّ سروراً غير موصوف حينما اتأمّل انّه منك يصدر كلّ خير. وانّ جميع كمالات الخلائق ليست هي شيئاً بالنسبة الى كمالاتك: وتشكرك نفسي الف مرّة على ما احسنت به الى قريبي والي * فارحمني يا ربّ وتحنّن على فقري. وانظر كم انا محتاج الى

الفضيلة الفلانيّة * ثمّ اذا عملت عملاً ما جيّدًا ،
فاعتبر انّ الله هو علّته الاولى وانّك الآلة التي
استعملها لقضآء ذلك العمل * فارفع الحاظك
الى العلي ، وقل لهُ: يا ربّ العالم والمولى العظيم
المطلق : انّني اعترف مصدّقًا ومتهلّلاً معًا بانّني
لا استطيع بدونك ان اصنع شيئًا * واذا ما تناولت
طعامًا لذيذًا ، فتذكّر انّ الله وحدهُ هو الذي خلق
فيهِ ما يلذّك ، فاجعل فيهِ تعالى كلّ تنعّمك ،
وخاطب ذاتك بذاتك قائلاً: ابتهجي يا نفسي
من انّهُ خارجًا عن الله لا يوجد سرور حقيقي ، وانّهُ
فيهِ تعالى يوجد الخير الاعظم * واذا استنشقت
رائحة ذكيّة فلا تدع قلبك يلتصق بلذّتها : بل
ارتفع بالروح الى السمآء: ولعلمك الوكيد بانّ الله
هو مصدر هذه الرائحة فسبّحهُ لذلك عزّ وجلّ:

ولانّهُ هو مصدر كلّ حلاوة اسالهُ ان يجرّد نفسك من كلّ لذّة، وان يجعل ان لا يعيقها شيء عن ان ترتقي اليه على الدوام كارتقاء دخان بخور لذيذ ، واخيرًا اذا طرقت سمعك نغمات لذيذة والحان مطربة مبهجة فقل في مناجاتك الله هكذا : حقًّا يا ربّ اني ابتهج متهلّلًا عند تاملي في كمالاتك الالهيّة، التي تبهجك وتبهج ملائكتك ، وتفرح بها السماء والارض *

الفصل الثاني والعشرون

في انّ الاشياء المحسوسة تساعدنا في تعقّل اسرار حياة سيّدنا يسوع المسيح والآمه المقدّسة

انّي قد اوردتُ لك كيف يمكنك ان ترتفع من اعتبار الاشياء المحسوسة الى التامّل في العظائم

الالهيّة ❊ فتعلّم الآن ان تستعمل هذه الاشياء عينها
لكي تردّد بها في عقلك اسرار حياة سيّدنا يسوع
المسيح وآلامهِ المقدسة : لانّهُ ليس شيء في العالم
لا يقدر ان يجدّد فيك ذكرها ❊ فاعتبر الآن هذا
فقط ، وهو انّ الله كما قلنا آنفًا هو مصدر كلّ شيء ،
وانّ جميع الخلائق حتّى اعظمها اتّخذت من كرمهِ
الوجود والحسن وكلّ ما لها من الكمالات ❊ ثمّ
تعجّب مندهلاً من جلال جود هذا المولى العظيم
الذي ارتضى واحبّ ان يتنازل الى هذا الحدّ :
حتّى انّهُ تجسّد ومات من اجل خلاص نفسك
موتًا فظيعًا ، وسمح بان تتعصّب خلائقهُ عليهِ
لتصلبهُ ❊ وان اردت ان تلاحظ مفصّلًا اتعابهُ
واوجاعهُ ، فالى اينما وجّهت نظرك تشاهد رموزها
ظاهرةً في كلّ مكان ومن كلّ ناحية ❊ فاذا رايت

مثلاً اسلحةً او مخاصر او حبالاً او اشواكاً او قصباً
او مسامير او مطارقاً . فتذكّر حينئذ وتصوّر تلك
التي كانت آلات آلامهِ المقدسة ❊ وكذلك اذا
رأيت بيتاً فقيراً حقيراً . فتذكّر ذلك الاصطبل
الذي وُلِد فيهِ تعالى . والمذود الذي وُضع فيهِ ❊
وهكذا القطر المنحدر من السمآء على الارض
ينبّهك على قطرات ذلك الدم الالهي الذي بهِ
سقا بستان الزيتون ❊ وكذلك مشاهدة الصخور
تصيّرك ان تفتكر بتلك الصخور التي تشقّقت
عند موتهِ ❊ واذا نظرت الى الشمس والارض .
فتذكّر انهُ عند موتهِ المحيي الارض تزلزلت .
والشمس انكسفت ❊ وعند مشاهدتك المآء .
تامّل ذلك المآء الذي جرى من جنبهِ الاقدس ❊
وهلمّ جرّاً ❊

وان شربت خمرًا او غيره من الاشياء الحلوة اللذيذة. فتذكر الخلّ والافسنتين اللذين قدمهما له اعداؤه ليشرب * وحينما تتردّى بأثوابك. فتأمّل انّ ابن الله تردّى بناسوتنا ليكسونا لاهوته * وعند خلع ثيابك تصوّره تعالى متعرّيًا في حين جلده وصلبه. مستعدًّا للموت من اجل خلاصك * واذا سمعت ضجيجًا وصراخًا. فتذكّر تلك الاصوات الهائلة التي بها كان الشعب اليهوديّ يطلب موت مخلّصنا قائلاً: ارفعه ارفعه. اصلبه اصلبه * واي وجع نزل بك من الاوجاع. او شاهدته في غيرك فتيقّن انه كلا شيء بالنسبة الى تلك الاوجاع التي عذّبت السيّد المسيح في جسده ونفسه في وقت آلامه *

❊ الفصل الثالث والعشرون ❊

في وسائط اخر لاتقان استعمال الحواس الخارجة في اوقات مختلفة

اذ قد اوردنا لك كيف ترتقي بالروح من الاشياء الهيولية المحسوسة الى الاشياء الالهية الغير المحسوسة ، والى تامل اسرار حياة سيدنا يسوع المسيح ، فوجب الآن ان نرشدك ايضاً الى وسائط اخر تستطيع بها ان تتخذ من هذه الاشياء المحسوسة مادةً لتاملات مختلفة ، يجد بها الجميع ما يناسب عباداتهم ، ولو كان ذوق كل واحد مختلفاً عن ذوق الآخر ❊ ويستفيد بهذا العاميون من الانام ، لا بل الذين تساموا في الفضيلة ايضاً ❊ حيث انه ليس الجميع يسيرون الى الكمال بطريق واحد ، وليسوا

بقابلين على حدّ سوى للاعتبارات السامية ❊
فلا تخف من انّ هذه الرياضات الكثيرة المختلفة
تسبّب لك سجساً ❊ غير انّي انصحك ان تستعملها
بافراز، وتستشير في استعمالها مرشداً ماهراً
مسلّماً نفسك بين يديهِ بحسن الاتّضاع
والطمانينة . وذلك لا نظراً الى ما اوردهُ هنا
فقط، بل نظراً الى كلّ ما سنوردهُ فيما بعد ايضاً ❊
فاقول انّهُ يجب عليك اذا ما شاهدت
شيئاً ممّا يعجبك ويعتبرهُ العالم . ان تعتقد
متيقّناً انّهُ بذاتهِ حقير نظير الطين : وانه ليس
هو بشيء بالنسبة الى خيرات السماء التي يجب
عليك ان تتوق اليها على الدوام . محتقراً كلّ
ما هو دونها ورذلاً له ❊ وحينما تنظر الشمس فاعتبر
انّ نفسك حال كونها مزيّنة بالنعمة هي اكثر

بهاء ولمعاناً من كل النجوم . وانها حال كونها مقعرة من النعمة هي اكره من ظلمات جهنم * وعند تفرسك في السماء التي تجاهك . اصعد بالروح الى اعلى السموات . واستقر هناك متاملاً ان هذا الوطن السعيد هو وطنك الابدي اذا ما عشت بالبر والدياسة * وحينما تسمع نغمات الطيور . فتذكر الفردوس السماوي . حيث لا تزال الملائكة والقديسون يترنمون بتسابيح الله . واطلب منه تعالى ان يجعلك اهلاً لان تسجد مع الارواح السموية الى الابد * واذا بهرك جمال الخلائق . فتصور الحية الجهنمية مختفية تحت هذا الحجاب البهي . وانها تطلب ان تنهشك وتلسبك لتعدمك حياة النعمة * فقل لها بغيظ مقدس هكذا : اغربي عني ايتها الحية الملعونة انك باطلاً تختفين

لكي تنزل بي ما تبتغيه من الضرر * ثم التفت
الى الله ، وقل له تعالى : مبارك انت ايها الرب
الذي لانك اريتني عدوي : ونجيتني من كيده *
ثم اختر في ملجأ جروح مخلصك ، واشغل عقلك
بتأمل ما كابده من الاوجاع الفادحة في جسده
الاقدس ، لكي ينجيك بذلك من الخطية
ويصيرك ان تبغض كل لذة دنسة *

وهناك واسطة اخرى معينة لحفظ نفسك من
خداع الجمال المخلوق ، وهي ان تعتبر ماذا يكون
بعد الموت من هولاء الاشخاص المتصفين الآن
بالجمال والبهاء * وحينها تسير ماشيًا ، فافتكر
انك بكل خطوة تقرب من الموت اكثر فاكثر *
واذا رمقت مرور طائر بطير ، او جريان نهر عابر
فتصور سرعة مرور ايامك * وهكذا الزوابع التي

تتقلب كلّ شيء • والرعد المخيف المرعب تظهر لك هول اليوم الاخير يوم الدينونة العظيم • وتقول لك بلسان حالها : انهُ ليجب عليك ان تجثو ساجدًا للديّان العادل وتطلب منهُ باتضاع ان يعينك بنعمتهِ لكي تستعدّ سريعًا للظهور امام عزّتهِ استعدادًا واجبًا *

وان اردت ان تنتفع من حوادث هذه الحيوة الكثيرة المتنوعة • فاشعر عليك بهذا : وهو انهُ اذا اتفق مثلاً ان يصيبك الحرّ او البرد او ما يشبه ذلك • او اذا استحوذ عليك الحزن والوجع : فتأمّل رسم العناية الالهيّة الغير القابل التغيير الذي بهِ رام بارئك لفائدتك وخيرك ان تصيبك الآن هذه البليّة • وهو يعرف ان يصيّرها مناسبة لقوتك * وبهذه الواسطة ستعلم محبة

الله الجليلة الابويّة لك * وقد يريكها حينما يجعلك في حالٍ تستطيع ان تعبدهُ فيها على نوعٍ يرضي عزّتهُ * فاذ تكون قد حصلت على هذه الحال حال البليّة التي يمكن ان تصيّرك مقبولاً اكثر لديهِ عزّ وجل . فقل حينئذٍ هكذا : آلان الآن تكمل فيّ ارادة الله الذي بحركة رحمتهِ رسم قبل كلّ الدهور ان تصيبني هذه المصيبة : فليكن اسمهُ مباركاً الى الابد * ومتى خطر لك فكر حميد : فاعتقد يقيناً انهُ مفاض من قبل الله . واشكر من كلّ قلبك ابا الانوار * وعند تلاوتك كتاباً روحياً : تصوّر انّ الروح القدس هو الذي يخاطبك . وهو الّف معاني الكتاب * وحينما تتفرّس في الصليب المقدّس لاحظهُ كراية ابن الله قائدك الالهي : واعلم انك اذا تباعدت عن هذه الراية

ولو يسيرًا ، تسقط في ايدي اعظم اعدائك * وبخلاف ذلك اذا اتّبعت هذه الراية المقدسة ، تدخل ملكوت السمآء حاملاً نخل الانتصار في يدك * واذا نظرت الى ايقونة مريم العذرآء القدّيسة فقدّم حينئذ قلبك لامّ الرحمة ، وافرح لها وهنّئها ، لانها عملت على الدوام بمشيّة الله بكمال الاجتهاد والصدق ، ولانّها ولدت مخلّصك وغذته من لبنها : واشكرها على انها تعين كل من يستغيث بها في حروب مع الشيطان * وهكذا جميع ايقونات القدّيسين تجدّد فيك ذكر اولئك الجنود الشجعان جنود السيّد المسيح الذين حاربوا جدًّا حتّى الموت ، ومهدوا لك الطريق الذي يلزمك ان تسلك فيه لكي تبلغ المجد الابدي * وعند قرع الناقوس

لتلاوة بشارة الملاك يمكنك ان تتامّل تاملًا يسيرًا او تعتبر اعتبارًا في الكلمات التي تقال قبل السلام لك * فعند المرّة الاولى اشكر الله الذي شرّف العذرآء بهذه الرسالة الجليلة التي بها ابتدأ فداؤنا : وفي المرّة الثانية هنّئ العذرآء من حيث انّ الله رفعها الى هذا الشرف الوسيم جزآءً عن اتّضاعها العظيم : وفي المرّة الثالثة اسجد لابن الله المتجسّد حديثًا ، وقدّم لوالدته المجيدة وللملاك جبرائيل الاكرام الواجب : ويحسن بك ان تحني راسك بروح الاحترام عند كل قرعة ولاسيّما الاخيرة *

وهذه الافعال كلها تُفعَل في كل حين على حدٍّ سوى * والآن اقدم لك افعالًا اخر تناسب بعض ازمنة اكثر مناسبة ، وهذه الازمنة هي المسآء

والظهر والصباح : والافعال المناسبة لها ، هي
الافعال الملاحظة اسرار آلام سيّدنا يسوع المسيح *
على انه يجب علينا ان نذكر دوات كثيرة ما
قاستهُ مريم العذراء حين الام ابنها الالهي ،
ولعمري ان اهمال هذه الرياضة هو ضرب من
الكفران بالجميل قبيح جدًّا وعدم وفاء غير محتمل *
فاعتبر عند المساء ما حصلت عليهِ هذه السيّدة
من التألم حينما عرق ابنها دمًا في بستان الزيتون ،
ومن قبل مسكه تعالى . وكل ما كابدهُ في تلك
الليلة من الاوجاع الباطنة *
ثمّ اعتبر صباحًا ما حصلت عليهِ من الحزن
لمّا قبض اليهود على ابنها الحبيب ، وساقوه
باهانة عظيمة الى بيلاطس وهيرودس ، وحُكم
عليهِ بالموت ، وأمر بحمل صليبهِ * وعند الظهر

ردّد في عقلك سيف الوجع الذي طعن قلب
هذه الامّ الحزينة حينما صلبوهُ تعالى امامها ، واس
وحده على الصليب ، وطعنوا جنبهُ بعد موته بحربة
فاستعمل هذه الاعتبارات الخشوعيّة في اوجا
العذرآء الجليلة منذ مسآء يوم الخميس الى ظهر
يوم السبت ❊ واما بقيّة الاعتبارات فاستعمله
في الايّام الاخر مجتهداً ان تستشير بروح عبادتك
الخصوصيّة حسب انفعالك بتلك الاشيآ
الخارجة وتاثيرها في نفسك ❊ واقول بالاجمال : انّ
لكي تحسن استعمال حواسّك ، فيجب ان تدبّر
على هذا النحو : ان لا تدع قلبك يحبّ او يبغض
ما تقع عليه حواسّك حبّاً او بغضاً طبيعيّاً : بل
انظم كلّ حركات قلبك على حسب الارادة
الالهيّة ❊ فلا تقبل ولا ترذل سوى ما يريد الله ار

تقباه او ترذله *

ثمّ يجب ان تعلم انني لا اريد منك ان تجعل اعتناءك الخاص بكثرة هذه الرياضات المختلفة التي اوردتها هنا لتثقيف نظام حواسك * لانه يجب عليك ان تكون غالبًا مختليًا في باطنك ملتصقًا بالله ، وان تحارب رذائلك وتستعمل افعالاً كثيرة من افعال الفضائل المضادّة لها المقصود هاهنا ، هو ان تستعمل هذه الرياضات حينما تحتاج اليها : لانّ التمسّك بكثرة من الرياضات الروحيّة ليس هو واسطة مفيدة للنموّ في الحيوة الروحيّة * على انّ هذه الرياضات المتعدّدة وان كانت جيّدة ذاتًا ، اذا استعملناها بلا نظام وترتيب ، فانّها تبلبل الروح ، وتربّي محبّة الذات وتنشئ روح التقلّب والتغيّر وعدم الثبات ،

وتفتح بابًا لتجارب العالم ❊

❊ الفصل الرابع والعشرون ❊

في اتقان تدبير اللسان

انّ اللسان البشري يحتاج الى الضبط جدًّا
لاننا نحبّ طبعًا ان نتكلّم عمّا تستلذ به حواسنا
وهذا الانصباب المنحرف الى التكلّم . يتولّد ذا البـ
من نوع من انواع الكبريا يجعلنا ان نظنّ في انفسـ
انّنا ذوو معرفة وخبرة اكثر ممّا نحن عليه حقًّا
ومن ثمّ نتعجّب من افكارنا متعجبين . ونخبر بها
متجرفين . ونترآس في المذاكرات متطاولين
ونريد ان يصغي الينا الجميع خاضعين ❊

ولعمري انّهُ من المستحيل ان نحري بكلا
وجيز كلّ الشرور الكثيرة الناتجة من هذ

الرذيلة المعقوتة * ويسوغ لنا ان نقول على وجه العموم . بانها هي سبب البطالة . ودليل جهل جسيم وجهالة كثيفة . وانها تجتذب وراءها النميمة والكذب . وتخمد حرارة العبادة . وتقوّي الامارات الغير المنتظمة . وتعوّد اللسان على التكلّم باشيآء باطلة لا فائدة بها البتّة * فاصغ الآن الى ما اشير عليك لمداواة هذا الدآء * لا تتكلّم بافراط امام الذين لا ينبسطون من كلامك لئلّا يضجروا . ولا بحضرة الذين يُسَرّون بحديثك لئلّا يتفق من قبل اطالة الحديث ان تنطق بما ليس هو جيّداً * واحذر من ان ترفع صوتك بافراط او تتكلّم كرجل ذي سلطة : لانّ هذا يصعب على السامعين . ولا يخلو من روح العجب والمباسرة * لا تتكلّم اصلاً عن نفسك . ولا عن اقربائك . ولا عمّا صنعت اذا

لم تلجئك الضرورة الى ذلك * وحينئذٍ يجب ان
تجتهد في اقتصار الكلام. في ان تحسن الحذر من
ان تتجاوز حدود الاحتشام * وان وجدت من
يتكلّم عن نفسهِ كثيراً فلا تتنفر لذلك: ولكن لا
يليق بك ان تماثلهُ. ولو انه لا يتكلّم الا عمّا من شانه
ان تظهر بهِ عيوبهُ. ويشملهُ من قبلهِ خجل * لا
تحدّث عن القريب وعمّا يخصّهُ الّا يسيرًا ان
اضطررت الى ذلك: يجب عليك ان تتكلّم عنه
بالخير * احبب التكلّم عن الله والاسماع عن محبّته
للبشر. ولكن بخوفٍ من انك لا تتكلّم عن ذلك
حسناً * احبب ان تصغي للذين يتكلّمون عن
ذلك اكثر من ان تتكلّم: واجتهد ان لا تنسى كلامهم
امّا الكلام عن الامور الدنيويّة الباطلة . فانّهُ اذ
اتصل الى اذنيك . فلا يجب ان تدعهُ يبلغ الى

لبك الذي يجب ان يكون لله بالكلّيّة * واذا
ضطررتَ بالاصغاء اليهِ لكي تجيب عنهُ . فانظر
حياناً الى السمآء حيث يملك الاهك . وحيث
لا تزال عزّتهُ تعالى ناظرة الي مذلّتك : وافحص
جيّداً ما انت عتيد ان تنطق به * واحسن
حتراسك في ذلك على قدر ما يمكنك . لانّك تجد
ي ذلك على الدوام اشيآء كثيرة يجب الصمت
عنها * وبعد ان تكون اخترت ما تجد التكلّم بدِ
واجبًا . اقتصر منهُ على جزء : لانّك في انتهاء
الخطاب تجد انك قد افرطت فيهِ * واعلم انّ
الذين يحفظون الصمت يستفيدون جدًّا في
الحرب الروحيّة . ويفوزون من قبلهِ بالظفر لا
محالة * ومن ثمّ ترى اكثرهم يائسين من ذاتهم .
واضعين اتّكالهم على الله . متفرّغين لرياضة

الصلوة العقليّة . ممارسين باوفر سهولة جمي
رياضات الفضيلة ❋

فلكي تحبّ فضيلة السكوت حبًّا واجبً
ينبغي ان تعتبر عظمة الخيرات الصادرة عنها
وكثرة الشرور الناتجة من عدم ضبط اللسان
بل انّي ازيد على ذلك واقول: انّهُ لكي تمرّن نفسك
على اقتصار الكلام ينبغي ان تسكت دائمًا، حتّ
حينما يكون لك سبب للتكلّم . اذا كان سكوتك
لا يلحق ضررًا بك ولا بقريبك ❋ تجنّب على
الخصوص المذاكرات الدنيويّة الباطلة . وفضّل
مفاوضة الله والملائكة والقدّيسين على مذاكرات
البشر ❋ افتكر في الحرب الروحيّة التي ابتداتها
على انّ هذا الامر يقتضي منك كلّ زمنك . ولا
يدعك ان تلتهي بمذاكرات باطلة ❋

الفصل الخامس والعشرون

بيان ان من تجنّد للسيّد المسيح وعزم على مقاومة اعدائهِ والانتصار عليهم . يجب عليهِ ان يتحرّس بمقدار ما يستطيع من كلّ ما يمكن ان يسجسهُ ويبلبل سلامة قلبهِ

اذا سُلب منك هدوّ القلب وسلامتهُ . فابذل كلّ جهدك وجدّك في ارتداد هذه السلامة واكتسابها * واعلم ان كلّ ما يمكن ان يحدث في العالم مهما كان عظيمًا . لا يستطيع ان يختلسها منّا او يقلقها او يسجّسها قسرًا ورغمًا عنّا * فحقًّا يلزمنا ان نتوجّع نادمين على زلاتنا : الّا انّ هذا التوجّع ينبغي ان يكون هادئًا معتدلًا كما قرّرنا ذلك مرّات كثيرة مما تقدّم * وهكذا حقًّا يجب علينا ان نحنو على الخطاة . وان

نحزن اقلّها يكون باطنًا على هلاكهم : ويجب
ايضًا ان يكون توجّعنا عليهم ليّنًا متعطفًا . الّ
انّه ينبغي ان يكون منزّهًا عن كل غيظ وحنّ
لكونه فعلاً صادرًا من خلوص المحبّة * وامّا من
جهة الشدائد والبلايا المشحونة منها حياتنا
كالامراض والجرحات والموت وفقد اقربائنا
واصدقائنا . وحلول الطاعون والحرب والحريق
وغير ذلك من الكوارث التي تفزع منها الناس
وترهب . لكونها مضادّة للطبيعة المشمأزّة دائمًا
من التعب والآلام : فيمكننا مع التوفيق الالهي
ان نقبلها كلّها من يد الله بالرضى لا بل بالسرور
ايضًا اذا لاحظناها كعذابات خلاصيّة للخطاة
او كفرص مقدّمة للابرار لربح الاجر عند الله *
ولعمري انّ هذين الاعتبارين يصيّران الل

نفسهُ ان يسرّ بتعذيبنا * ولمن المحقّق انهُ ما دامت ارادتنا خاضعة لله تعالى ، تبقى على حال الهدو والسكينة فيما بين امرّ الشدائد * ويجب ان نعتقد متيقنين انّهُ عزّ ذكرهُ يرذل كلّ سجس : لانهُ اعني السجس لا يخلو على الدوام من نقصٍ ، ويصدر دائمًا من المحبّة الذاتيّة * فاسبق وانظر من بُعد ما يمكنهُ ان يسجسك ، واستعدّ سريعًا لقبولهِ واحتمالهِ بالصبر *

اعتبر انّ الشرور الحاضرة مهما ظهرت لنا هائلة مفزعة ، فليست هي بشرور حقيقيّة ، ولا تقدر ان تعدمنا الخيرات الراهنة الحقيقيّة : والله يرسلها او يسمح بورودها لاجل الحجج التي اوردناها آنفًا ، او لاسباب اخر محجوبة عن معرفتنا عادلة كلّها * فان حفظت عقلك هكذا في حال السكينة عند

وورود نوائب هذه الدنيا المختلفة، فستنمو في الفضيلة
جدًّا ❊ وخلوًّا من ذلك لا تستطيع ان تقضي
رياضاتك جيّدًا: ولا تنتفع منها اصلاً ❊ بل مادمت
حاصلاً على حال السجس، توشك ان تقع في
شرك العدوّ منغلبًا، ولا يمكنك ان تدرك طريق
الفضيلة والكمال، الطريق الامين المستقيم ❊ وانّ
الشيطان يفرغ كلّ جهدهٍ في تبديد السلام من
قلوبنا: لانّهُ اخزاهُ الله يعلم انّ الله ساكن في السلام،
وانّهُ في السلام يصنع العجائب العظام: ومن
ثمّ يحرّك كلّ حيلةٍ ويستعملها لكي يسلب منّا
السلام ❊ وربّما لقصدهِ ان يملك اربهُ منّا ويخدعنا
بسهولةٍ، يتقدّم الينا بتظاهر كاذب، ويقدّم لنا بعض
مقاصد تستبين لنا جيّدة، مع انّها رديّة حقًّا ❊ ويمكن
ان نتوكّد ذلك بدلائل كثيرة، وخصوصًا لانّها

تبلبل سلامة القلب وتسجّسه * فلكي تداوي هذا الدآء المخوف يجب ان تقتدي بما اوردهُ لك الآن من النصائح * اذا اجتهد العدوّ ان يحرّكك الى قصد جديد، فلا تفتحنّ لهُ قلبك في الحال، لكن ينبغي اوّلًا ان تجحد كلّ حركة صادرة من حبّ ذاتك : وان تقدّم لله هذا القصد الجديد طالبًا منهُ باجتهاد ان يكشف لك : أمِنهُ تعالى هو ذلك، ام من الشيطان * واستشِر ايضًا مرشدك * فاذا تأكّد عندك انّ ذلك القصد هو من روح الله : فمع ذلك لا يجب ان تسعى في قضائهِ قبل ان تكون قهرت حدّة شوقك وارتياحك الى ذلك، لانّ العمل الجيّد الذي يتقدّمهُ هذا القهر يزداد كمالًا وقبولًا عند الله * ويتّفق مرارًا كثيرة انّ الله يسرّ بهذا القهر افضل جدًّا ممّا يسرّ بالعمل

الجيّد نفسهِ ❊ فاذا طردناهكذا كلّ شوق منحرف
وقضينا المقاصد الحميدة بعد جحودنا كلّ حركات
الطبيعة ، نستطيع ان نحفظ قلبنا على حال سكون
تامّ ❊ ثمّ انّهُ لبلوغ هذا الارب المفيد ايضًا ، اعني
حفظ سلامة القلب ، يجب عليك ان تستخف
بتبكيت من ضميرك يتبيّن انّهُ صادر من الل
لسبب انّهُ يبكّتك على نقائص حقيقيّة ❊ وذلك
لانّهُ قد يمكن ان يكون هذا التبكيت صادرًا عن
الروح الخبيث نفسهِ : وهذا يُعرَف من مفعولاته
ونتائجهِ ❊ فان كان هذا التبكيت يعيننا في الفضيلة
اي يصيّرنا ان نتّضع ونزداد نشاطًا في ممارسة
الافعال الصالحة ، ولا ينقص اتّكالنا على رحمة
الله : فينبغي ان نقبلهُ بشكر ، لانّهُ انعام الاهيّ ❊
وبعكس ذلك ان سبّب لنا سجسًا اوفشلًا وفزعًا

او كسلًا في تادية واجبات دعوتنا : فينبغي ان نعدّهُ من وساوس العدوّ · وان نثبت على عمل كلّ شيءٍ بحسب عادتنا غير مبالين منهُ ❊

وما عدا ذلك فمن حيث انّهُ يتّفق غالبًا انّ حسّنا يتألم من بلايا هذه الحيوة · فلذلك يلزمنا للنجاة منهُ امران ❊ اوّلهما ان نعتبرها الذي يمكن ان تبيدهُ فينا هذه البلايا وتنزعهُ منّا · أَحُبّ الكمال ام حبّ الذات ❊ فان كانت انّما تبيد فينا محبّة الذات لا غيره فلا يجب ان نشكو من هذه البلايا · لانّ حبّ الذات هو عدوّنا المميت · بل يجب علينا ان نقبلها بسرور وشكر على انّها نعم منحدرة من الله ❊ وان كانت هذه البلايا تصدّنا عن الكمال · وتصيّرنا ان نشمئزّ من الفضيلة · فمع ذلك لا يجوز ان يفشل قلبنا من

قبلها ، ونخسر سلامتنا ، كما سنوضح ذلك بعد
قليل ❊ ثانيًا ينبغي ان نرتقي بالروح الى الله ،
ونقبل بالرضى كلّ ما ياتينا من قبلهِ على حدٍّ
سوى ، لعلمنا اليقينيّ بانّ البليّة نفسها المرسلة
لنا من قبلهِ تعالى تكون لنا معين خيرات
وافرة لا نفتكر بها الآن لانّنا لا نعرفها ❊

الفصل السادس والعشرون

فيما يجب علينا فعلهُ اذا جُرحنا في حربنا الروحيّة

اذا شعرت بجرح نزل بك في حربك الروحيّة ،
اي بذنب ارتكبتهُ امّا بمجرد الضعف البشري
او بغيافة وخبائة ، فلا تدعْ ان يستحوذ عليك
لذلك حزن مقلق او سجس مفرط : بل التفت

حالاً الى الله . وقل له بروح اتّكال اتضاعي هكذا :
انّي اليوم يا ربّ قد علمتُ من انا . لانهُ لا يُرجى
من خليقة عمياء ضعيفة مثلي سوى الضلال ❊
ثمّ تانَّ يسيرًا في هذا الاعتبار . لكي تخجل
بنفسك باطنًا وتندم على ذنبك ندامة شديدة
متوجّعًا ❊ ثمّ دع عنك كلّ تحسّس . ووجّه غيظك
كلّهُ نحو الامارات المتسلّطة عليك . ولا سيّما
تلك التي سبّبت خطيّتك ❊ وقل : يا ربّ
لو لم تَصُنّي وتحفظني جودتك الغير المتناهية
لتورّطتُ باعظم ما تورّطتُ بهِ ❊ ثمّ قدّم من
الشكر الوافر لهذا الاب الرحيم . واحبّهُ حبًّا اشدّ
ممّا كنت تحبّهُ قبلاً : لانه عوضًا عن ان يصرف
عنك وجههُ مغضبًا لسبب خطيّتك يمدّ لك
يدهُ منعمًا لئلّا تزلّ وتسقط ثانيةً ❊ واحسن اتّكالك

عليهِ وقل لهُ : ارِني الآن يارب من انت ، اظهر رحمتك لانسانٍ خاطي متضع ، اغفرلي جميع خطاياي ولا تسمح ان انفصل منك ، ولا ان اتباعد عنك ولو يسيرًا ، واجعلني بنعمتك ان لا اغيظك ابدًا ❋

وفي غضون ذلك لا تشرع ان تفحص هل غفرلك الله، لانّك بهذا تتعب باطلًا، وتصرف الزمان عبثًا ❋ ويوجد في هذا الفحص كبرياء جسيمة وخداع عظيم ، لانّ العدوّ يريد بهذا ان يقلقك ويتجسك ❋ فالخليق بك ان تسلّم ذاتك لرحمة الله، وتواظب على ممارسة رياضاتك بهدوّ وسكينة كانّك لم تجترم ذنبًا ❋ حتّى ولو اغظت الله مرارًا كثيرة في يوم واحد فلا يجب ان يزول ولا ان يضعف اتّكالك عليه ❋ بل يجب ان تفعل

ما قلته لك في كلّ مرّة ، كما فعلته في المرّة الاولى ❊ واحسن احتقار نفسك وبغضك الخطيّة والاحتراس على نفسك ❊ فهذا النوع من أنواع محاربتنا الشيطان يغيظهُ جدًّا ، لعلمهِ بان الله يسرّ بهِ كثيرا ، وبه يلتحف بشعار الخزي والخجل ، اذ يحصل بهِ مغلوبًا لمن كان قد تسلّط عليهِ في اتفاقات اخر بسهولة ❊ فلهذا يجتهد بكلّ حيلهِ بان لا نحاربهُ هكذا : وقد يملك اربهُ مرارًا كثيرة لاجل نقص احتراسنا ، وضعف احتفاظنا على باطننا ❊ فيجب عليك ان تبذل كلّ جهدك في ان تنتصر على نفسك نظرًا الى هذا الامر ، ولو تبيّن لك عسرًا مستصعبًا ❊ فلا يكفيك ان تعمل هذه الرياضة المقدّسة مرّةً واحدة : بل يجب ان تعملها مرارًا كثيرة ، ولو لم تجد نفسك مذنبة الا بخطيّة واحدة ❊

فان اتفق ان زلّةً واحدةً سببت لك سجسً
ومالت بقلبك الى الفشل ، فاعتنِ قبل كلّ شي
في ان تحصل على سلامة القلب والاتكا
على الله: ثمّ ارتقِ بالروح الى السمآء ، واعتقد يقي
انّ حزننا على ما فرط منّا لا يلاحظ غالبًا الاسآء
الى الله: بل سببهُ الخصوصيّ هو العذاب الذي
استوجبناهُ بالاساءة ونخشاهُ اكثر ممّا سواهُ * والحا
انّ الواسطة المعينة لاكتساب هذا السلام الشهي
الضروريّ هي اهمال الافتكار في خطاياك وتوجي
التأمّل الى جود الله المستعدّ في كلّ حين، الراغب
على الدوام ان يغفر اقبح الخطايا لاعظم الخطاة
المجتهد في ردّهم اليهِ بالتوبة، وتقديس انفس
في هذه الحيوة، وايصالهم الى السعادة الابديّة * فبع
ان يهدأ قلبك بهذه الاعتبارات او بما يشاكله

ارتدّ الى ملاحظة خطيّتك. وافعل حسبما ذكرنا قبلاً ❀ ثمّ انه في سرّ الاعتراف الذي احتاك الى تناوله مراراً كثيرة. يجب ان تضع بازآء عينيك جميع زلّاتك. وتوردها لابيك الروحيّ معترفاً. مجدّداً الندامة عليها والعزم على الفرار منها ❀

❀ الفصل السابع والعشرون ❀

في انّ الشيطان اعتاد ان يجرّب ويطغي الذين عزموا على السلوك في طريق الفضيلة. والذين هم مستغرقون بعد في الرذيلة

انهُ لمن المؤكد انّ الشيطان لا يزال مفتكراً مجتهداً في هلاك البشر: وانهُ لا يحاربهم بنوعٍ واحدٍ. بل بانواع كثيرة ❀ ولايراد بعض حيلهِ. نصوّر لك انواعاً مختلفة من الانام حاصلة على احوال مختلفة ❀ فالبعض منهم اسرى مستعبدون للخطيّة. لا

يفتكرون في قطع اغلالهم * والبعض يشتهون
الخلاص من هذا الاسر ، الّا انّهم لا يفعلون شيئاً
ممّا يقتضيه خلاصهم * وقوم يظنّون عن نفسهم انّهم
سالكون في طريق البرّ والصلاح ، وعلى الحقيقة
هم عنها مبتعدون * وآخرون بعد وصولهم الى درجة
سامية من الفضيلة يتساقطون سقوطًا اعظم خطرً
من سقطاتهم الاولى * وها نحن نتكلّم عن هذه
الانواع كلّها في الفصول التالية *

* الفصل الثامن والعشرون *

في الحيل التي يستعملها الشيطان ليقضي بها هلاك الذين
اسقطهم في الخطية

انّهُ اذا ملك الشيطان اربهُ ، واسقط نفسًا في
الخطيّة ، يفرغ حينئذ كلّ حيله وجهده في ان

يضاعف عماها . ويصدّها عن كلّ فكر يظهر لها
شقاء حالها ❊ ولا يكتفي بان يبيد منها كلّ الافكار
المقدسة التي يقدّمها لها الله، وبان يقدّم لها افكارًا
رديّة تضادّها : بل اخزاه الله يجتهد ايضًا في
اجتذابها الى اسباب الخطيّة . فينصب لها اشراكًا
كثيرة ليعرقلها بها . ويورّطها ثانيةً في خطيتها
الاولى او في خطايا اخر اكثر جرمًا ❊ ولانّها حينئذ
تفقد الانوار الالهيّة . فتكثر زلّاتها . وتتمكّن في الشر .
ومن ثمّ لا تزال منطرحة من لجّة الى لجّة ومن
ظلمة الى ظلمة . ومبتعدة اكثر بعد من طريق
الخلاص بتكثير خطاياها . الى ان يعينها الله بنعمة
خصوصيّة غير اعتياديّة ❊

فالدواء الافضل لهذا الداء هو قبول الالهامات
الالهيّة بغير مقاومة . اعني الالهامات التي يدعوها

التي يدعوها الله بها من الظلمة الى النور، ومن الرذيلة الى الفضيلة * فيجب على النفس ان تصرخ حينئذ بنشاط بليغ قائلة: اللّهمّ أَدنّي، واسرع الى اغاثتي: اخرجني عاجلاً من ظلّ الموت والخطيّة * ويجب على هذه النفس ان تكرّر مرّات كثيرة هذه الطلبات او غيرها ممّا يماثلها. وان تذهب حالاً الى ابيها الروحي لتعلم منهُ ما يحسن لها فعلهُ، وتطلب منهُ اسلحةً لمقاومة العدوّ المجتهد في هلاكها * وان لم يمكنها الذهاب الى مرشدها حالاً، فلتلتجئ الى ايقونة المصلوب المقدّسة، ولتجثُ امامهُ محنية راسها الى الارض، مستغيثة احياناً بملكة السماء ملتمسة عون رحمتها: ولتعتقد ان الانتصار قائم في هذه السرعة كما سنوضح ذلك في الفصول التالية *

❋ الفصل التاسع والعشرون ❋

في ما يخترعهُ الروح الخبيث ويستعملهُ ليصدّ بهِ عن التوبة التامّة الذين تحقّقوا شقاء حال انفسهم · وعزموا على التوبة عزمًا · وما الذي يصيّر غالبًا اشواقهم الصالحة باطلة

انّ الذين يطّلعون على سوء حال ضمائرهم · ويتوقون الى النجاة منها · ينخدعون غالبًا من الشيطان لتوهيمهِ لهم انّ السنين المتبقّية لهم من حياتهم كثيرة بعد : وانّهُ لاخطر في تاخير توبتهم : وانّهُ يجب عليهم قبل كلّ شيء ان يقضوا الدعوى الفلانيّة · ويخلصوا من الامر الفلاني المهمّ العسر : وانّهُ خلوًّا من ذلك لايستطيعون ان يدخلوا طريق الفضيلة ويسيروا بهدوّ في السيرة

الروحية * ولعمري انّ هذا فخّ قد تعرقل فيه
كثيرون . والآن ايضًا يتعرقل فيه كثيرون * وسبب
ذلك ليس هو شيئًا سوى تهاون جزيل في اعظم
الامور: اعني امر الخلاص ومجد الله * فلا يقل احد
في الغد في الغد ، بل ليقل: الان ، ليكن الآن
لماذا التاخير الى الغد ، من اين لي علم بانّي
اعيش الغد * فلنفرض انّ هذا موكد: ولكن كيف
بتاكد انّي اريد الخلاص حقًا ، اذ كنتُ لا ازال
اوخّر توبتي: كيف اريد الانتصار ، وها انا ارتضي
بقبول جرحات جديدة * فمن الموكّد انّه من
اراد ان ينجو من هذا الخداع ، والخداع الذي
اوردناهُ في الفصل السابق ، فلا بدّ لهُ عن قبول
الالهامات الالهيّة والعمل بها سريعًا *
ولعمري انّي بقولي سريعًا ، لستُ اعني اشواقًا

مجرّدة ومقاصد ضعيفة خاوية غير مثمرة . من شانها ان تخدع اناساً كثيرين لاسباب كثيرة ❊ اوّلها لانها ليست بمؤسّسة على اليأس من الذات والاتّكال على الله : ومن ثمّ تمتلئُ النفس بها كبرياء خفيّة . وتعمى بها عماوة حتّى انّها تحسب فضيلة راهنة ما ليس لهُ سوى ظاهرها ❊ فالدوآء الشافي لهذا الدآء . والنور الضروري لمعرفتهِ . انّما ياتي من الجود الالهي الذي يسمح بان نسقط لكي نستنير ونتصحح بسقطاتنا . فننتقل من الاعتماد على انفسنا الى الاتّكال على نعمتهِ . ومن الكبرياء الخفيّة الى معرفة مذلّتنا ❊ فلا يمكن ان تكون المقاصد الجيّدة فاعلة مثمرة اذا لم تكن راهنة ثابتة . ومن المحال ان تكون راهنة ثابتة دون الاعتماد على اليأس من ذاتنا والاتّكال على الله ❊

وثانيها اي السبب الثاني الجاعل هذه
الاشواق والمقاصد خادعة غير مثمرة، هو ان من
لهُ هذه الاشواق لا يلاحظ سوى بهآء الفضيلة
وكمالها ❊ وهذا من شانهِ ان يقتضي ارادةً ضعيفة
للفضيلة، ولا يعتبر الاتعاب الضرورية لاكتسابها
فيجعل النفس المرتخية تشمأزّ وترتدّ عن مقصودها
سريعًا، اذا شعرت بادنى صعوبة ❊ فلذلك يجب
عليك ان تمرّن نفسك على ملاحظة الاتعاب
الموجودة في اكتساب الفضائل اكثر من ملاحظة
الفضائل، وان تلاحظ هذه الاتعاب مرارًا كثيرة
معدًّا نفسك للظفر بها على مقتضى الاوقات
المختلفة ❊ واعلم انّه كلّما زدت شجاعةً في قهر
ذاتك ومقاومة اعدائك، تخفّ عليك الصعوبات
وتجدها سهلة ❊

والسبب الثالث هو انّنا في مقاصدنا الحميدة نلاحظ الفضيلة ورضوان الله اقلّ من ملاحظتنا فائدتنا الذاتيّة : وهذا يتّفق غالبًا حينما تتكاثر علينا التسليات الروحيّة : وخصوصًا في زمن الشدّة * لانهُ من حيث انّنا لا نجد حينئذٍ على الارض علاجًا لاحزاننا نعزم على التعبّد لله بالكلّية وعلى ممارسة رياضات الفضيلة لا غير * فلذلك ان رمنا ان لا نزلّ ونخطي من هذه الجهة . فيجب ان نحذر جدًّا من ان نستعمل النعم السمويّة استعمالاً منحرفًا * ولنحسن الاتّضاع والافراز في مقاصدنا الصالحة . ولا نتبع حركات حرارةٍ محتدّة بافراط منحرف تحثّنا على ان ننذر نذورًا نعجز عن وفائها * فاذا حصلنا في حال حزن وضيقة . فلنقصد هذا لا غير . وهو ان نحمل صليبنا جيّدًا

كما يريد الله: ونجعل فيهِ مجدنا مرذليين كل تسلية
تاتينا من الناس * ولنمتنع احيانًا عن اقتبال
التسليات التي تاتينا من الله ايضًا ، غير طالبين
ولا راغبين سوى ان تعضدنا يد الله الضابطة الكل
في بليّتنا وشدّتنا : وان نحتمل بنعمتهِ بالصبر كلّ
ما يريد ان يرسلهُ الينا من الشدائد *

* الفصل الثلثون *

في خداع قوم من الناس يظنّون في انفسهم انّهم ساعون في طريق الكمال

اعلم انّ عدوّنا وان غلب في المعركة الاولى
الثانية ، لا يرتدّ عن غيّهِ وخبثهِ ، بل يعود الى
محاربتنا ايضًا : باذلًا جهدهُ في ان ينسينا الرذائل

والشهوات المتسلطة علينا . ويصوّر لنا مقاصد باطلة تميل بنا الى كمال وهميّ قد علم اننا لا نبلغ اليه ابدًا * ويحدث من هذا اننا تصيبنا ضربات وجرحات مميتة في كلّ ساعة . ونهتمّ في مداواتها . لانّ هذه الاشواق والمقاصد الخيالية تبين لنا كمفعولات حقيقية : وكبريائنا الخفية تجعلنا نظنّ في انفسنا اننا قد ارتقينا الى كمال سامٍ * مع اننا لا نطيق ادنى ما يكون من الافتراء واخف ما يمكن من التعب . نلتهي في محلّ الصلاة العقلية مخترعين مقاصد عظيمة لاحتمال اشدّ العذابات وعذاب المطهر نفسه حبًّا لله * وسبب ضلالنا هذا هو انّ القسم الادنى اي ميلنا الشهواني لا يخاف كثيرًا من الاتعاب والشدائد المتخيلة . ولهذا نساوي انفسنا مع الذين يكابدون حقًّا اتعابًا

جزيلة بكمال الصبر ❊ فان اردنا ان ننجو من هذ
الفخ المخطر. فلنعزمنّ على الحرب. ولنحاربن
حقًّا الاعداء الكثيرين المحدقين بنا والمقاومين
ايانا. وبهذا سنعلم أَكانت مقاصدنا حقيقيّة
شجاعيّة. ام كانت خياليّة جزوعيّة: ونسير حينئذ
حقًّا في طريق الكمال الذي مهّدهُ لنا القديسون

فمن جهة الاعداء الذين لا يحاربونا الّا نادرًا
يجب ان لا نعتني كثيرًا في مقاومتهم. الّا اذا سبقنا
وعلمنا انهم سينهضون علينا بعد زمانٍ قليل في
اوقات توافقهم ❊ لانّهُ ان اردنا ان نوجد مستعدّين
لمحاربتهم. ينبغي ان نسبق ونتشدّد بعزم متين
على الظفر بهم ❊ غير انهُ مهما كان هذا العزم قويًّا
فلا يجب ان نعدّهُ انتصارًا. حتّى ولو تروّضنا زمانًا
في العمل بالفضائل ونمونا فيها نموًّا معتبرًا ❊ ولكن

يجب ان نستمر على الاتضاع . مواظبين . مزوعين من ضعفنا . يائسين من ذواتنا . وواضعين اتكالنا على الله وحدهُ : سائلينه مرارًا كثيرة ان يقوّينا في المعركة . وينجّينا من كل خطر : وعلى الخصوص ان يخنق فينا كلّ حركة صادرة من المجاسرة والاعتماد على انفسنا . وبهذا نستطيع ان نرتاح الى اسمى ما يمكن من الكمال ولو صعب علينا جدًّا اصلاح بعض عيوب خفيفة قد يسمح الله ان تستقر فينا : وذلك لكي نتّضع ونحفظ على هذا النحو ما ربحنا من الفضل الفايق بافعالنا الصالحة ❊

الفصل الحادي والثلاثون

في الحيل التي يستعملها الشيطان ليردّنا بها عن طريق الكمال

اعلم انّ الحيلة الرابعة التي من عادة ابليس
ان يستعملها ليخدعنا بها حينما يرانا ساعين
في طريق الكمال المستقيمة . هي انّهُ يقدّم لنا في
وقت غير واجب مقاصد حسنة . لكي نترك
الرياضات الروحيّة المفيدة لنا : وعلى هذا النحو
نتنازل الى الرذيلة * فاذا راى عدوّ خلاصنا
انساناً محتملاً مرضهُ بصبر، يخاف حينئذٍ من
انّ المريض يكتسب بهذا ملكة الصبر: ولذلك
يقدّم لهُ اعمالاً حسنة كثيرة قد كان يمكنهُ ان يباشرها
في حال اخرى : ويصوّر لهُ انّهُ لو كان متعافياً

لكان يخدم الله خدمة جليلة ، وينفع نفسه والقريب نفعًا اوفر ۞ فاذا قدر اللعين ان يضرم في هذه النفس شوقًا باطلاً الى الشقاء ، ياخذ في ان يرقي فيها هذا الشوق وينميه الى ان يجعلها تتضيق من انها لا تستطيع ان تملك مرغوبها ، ويزداد تحسّسها بمقدار ما يزداد اضطرام شوقها ۞ ومع ذلك فان هذا العدو الرديّ لا يقف عند هذه الحدود ، بل يتقدم ايضًا الى ما قدامه ۞ لانه اخيرًا يجعل النفس تجدّ متشازقة وتتضجر من مرضها بانطة ، لتصوّرها انها باطلاً وانما تقاصدها الزهيد التي تشتهي اشتهاءً مفرطًا ان تقتنيها بوجه خير اعظم ۞ واذا بلغ بها الى هذا الحدّ فيمحو حينئذٍ ويبيد من فكرها ذكر هذه الافعال الصالحة التي قصدتها باطلاً ، ولا يترك لها من جميع اشواقها سوى الارتياح

الى النجاة من مرضها ، حتّى انّهُ اذا بقي الدآء زماناً
اكثر ممّا تشاء ، تغرص في الغمّ والكآبة : وهكذا تسقط
رويدًا رويدًا من الفضيلة التي كانت تمارسها ،
الى الرذيلة المضادّة لها ❊

فلكي تنجو من هذا الخداع احذر جدًّا اذا
حصلت في حال شقّة مهما كانت ، من ان تشتهي
ان تعمل عملًا صالحًا ان كان الوقت غير مناسب
له ❊ لانّهُ من حيث انّك عاجز حينئذٍ عن عمله
فلا شكّ انّهُ يصير لك سبب سجس وحزن ❊ فتيقّن
بحركة روح الاتضاع والتسليم انّهُ لو خلّصك الله من
هذه الحال لكانت كلّ مقاصدك هذه الحياة
تعود باطلة ، ولضعف فضيلتك تعجز عن قضائها
ويجب ان تعتقد انّ الله بتدبير سرّيّ من عنايته
بك او تعذيبًا عن خطاياك ، لا يريد ان تتسلّى

بعمل هذا الشيء ، بل يرغب منك ان تخضع للارادته وتتواضع تحت يد الضابطة الكل ❊

وافعل هكذا كلما التزمت لامر مرشدك ، او لسبب آخر واجب ، ان تترك رياضاتك الروحية ، حتى ان تمتنع عن تناول القربان المقدّس ايضًا الى زمن : فلا يستحوذنّ عليك الفشل ، بل اكثر باطنًا بارادتك الذاتيّة ، وطابقها مع الارادة الالهيّة قائلاً : انّ الله الفاحص قلبي والعارف بكلّ ما فيه ، لو لم يجد فيه نقائص كثيرة ونكرانًا وقلّة وفاء ، لما كنتُ الآن عادمًا تناول السرّ الالهي : فليكن اسمه مباركًا الى الابد ، لانّه اراني عدم استحقاقي وشقاني ❊ اني اومن يا ربّ انك بكلّ الشدائد المرسلة اليّ من قبلك لا ترغب منّي شيئًا سوى ان احتملها صابرًا بنيّة ان ارضي عزّتك : واقدم

لك قلباً خاضعاً لتدبيرك على الدوام • ومستعد
في كلّ وقت لقبول افتقادك • لكي تسل
بالتسليات الروحيّة • وتصونهُ بازآء قوّات الجحيم
المجتهدة في اختطافهِ منك * فاصنع بي يا خالق
وخلاصي ما يكون لديك افضل لقبولك : ولتكن
ارادتك الالهيّة مسندي وقوّتي الآن وعلى
الدوام * انني انّما اطلب منك شيئاً واحداً لا غير
وهو ان تتطهّر نفسي من كلّ ما لا يرضيك • وتتّصف
بجميع الفضائل • لكي تستطيع ان تقبلك وتأدّي
كلّ ما تامرها بهِ * فحقّاً انّ الذين يفعلون هكذا
اذا ما شعروا بحسّ في قلوبهم يسوقهم الى عمل بغوق
قوّتهم • سواء كان هذا الحسّ طبيعيّاً فقط • ام من
الشيطان القاصد بذلك ان يرغّبهم عن الفضيلة
ام من الله الممتحن بذلك طاعتهم • فلهم ان يرجعوا

انهم يجدون على الدوام في هذا العارض سبباً لينموا في الفضيلة ، ويخدموا الله بالوجه المقبول اكثر لديه ✽ وهذا هو الذي تتوقف عليه العبادة الحقيقية ✽

اعتبر ايضا انه اذا استعملت للشفاء من المرض ، او للنجاة من الشدة ، وسائط جايزة ذاتاً مستعملة عند القديسين ، فينبغي ان تحذر جداً من التهوج ، ولا تتوق بشوق مفرط ان تنتهي الامور على حسب مرامك ✽ بل كن مستعداً لكل حال ، ولا تلاحظ غير ارادة الله ، لانك لا تعلم أبهذه الوسائط قصد الله ان ينقذك من ضيقتك ، ام باخرى افضل منها ✽ فان فعلت بخلاف ما ذكرناه ، فلا ترج سوى الضرر لانك ربما لا تملك ما ترغبه رغبةً مفرطة : وحينئذ تفقد الصبر ، وتستحوذ

عليك الحدّة والنزاقة : وان قدرت ان تصبر
فتشوب صبرك نقائص كثيرة تصيّره اقلّ قبو
عند الله واضعف استحقاقًا ❊

والآن ها انا اكشف لك حيلة اخرى خفيّ
يخترعها الانسان لحبّ ذاته ويستعملها
وبها يغفل مرارًا كثيرة عن عيوبه ولو كانت
كثيفة واضحة ❊ فترى البعض اذا مرض ، وتضيّق
جدًّا من علته ، لا يرى انّ ذلك لعدم صبره ، بل
يريد ان يجعل تضيّقه المفرط غيرة لخير ما ، وهو
على حسب رايه حزن واجب : على انّ مرض
انّما هو عذاب خطاياه ، او حمل ثقيل على الذين
يعيشون معه ، وتعب جزيل لاخوته الذين
يخدمونه ❊ وهكذا الرجل الراغب الكرامة ترا
يشكو من انّه لم يحصل على الرتبة التي يرغبها

ولا يبالي ان حزنهُ وغيظهُ مسبَّب عن عجز فقد بل ينسب ذلك لاشيآء اخر لم يكن يبالي بها قبلاً * ونرى انهُ اذا تعافى ذلك المريض الذي كان يحزن جدًّا على تعب الذين كانوا يداورونهُ . لا يحزن على ما يقاسونهُ من التعب بخدمتهم لغيره من المرضى * وهذا دليل واضح على انّ سبب ضجره وعدم صبره لم يكن استثقالهُ من تعب خادميه بل استكراهه ما يضادّ ارادتهُ * فمن اراد ان ينجو من هذه الشوائب . يجب عليهِ كما قلنا آنفًا ان يعزم عزمًا ثابتًا على كلّ شدة تصيبهُ في هذه الدنيا من اية علة كانت *

الفصل الثاني والثلاثون

في الحيلة الاخيرة التي يستعملها ابليس لكي تصير لنا الفضائل سببًا للسقوط في الخطيّة

ان الحيّة القديمة تجد في فضائلنا واسطة
لتجربتنا. فتصيّرها اعني فضائلنا سببًا لسقوطنا في
الخطيّة * وذلك انه اخزاه الله يصيّرنا ان نعتبر
ذواتنا ونستلذّ بها. اذ يرفعنا الى علاء عظيم جدًّا
حتّى اننا لا يمكن ان لا نتشامخ متعجرفين * فلذلك
يلزمك ايها العابد ان تلازم المواظبة على
الحرب. ثابتًا في معرفة عدمك. مفتكرًا كل
ساعة انك لست بشيء من تلقاء ذاتك. وانك
لا تعرف شيئًا ولا قوّة لك على شي. وانك
مجموع الشقاء والعيوب ولست بمستحق شيئًا

سوى الهلاك الابدي * ولتكن هذه الحقيقة العظيمة
موضوعة بازآء عينيك على الدوام . واتخذها كملجا
امين لا تخرج منه ابداً * وان ازعجتك فكرةٌ او حركة
تهوى من المجاسرة والعجرفة . فاطردها كطردك
اضرّ الاعدآء العازمين على هلاكك * وان رمت
ان تعرف ذاتك معرفة كاملة . فافعل ما اوردهُ
لك الآن * كلّ مرّةٍ تلاحظ ذاتك او افعالك . فلا
تحدق نظرك الّا فيما هو منك : ولا تمزج فيهِ ما هو
من الله وما تملكهُ بنعمتهِ . لكن يجب ان تؤسّس
اعتبارك لذاتك على ما لك من قبل ذاتك لا غير *
فان نظرت الى الزمن الذي سبق مولدك .
فترى انّك لم تكن شيئًا في مدى الازل كلّهِ .
وانّك لم تفعل شيئًا . ولم يكن في طاقتك ان تفعل
ما تستحق بهِ الوجود * واذا تاملت الزمن الحاضر

الذي تحيا فيه بمجرّد رحمة الله ، فمن المعلوم ا
لولا احسان الله الذي حفظك في الوجود لما كنت
الآ العدم المحض ، وانّك لو لم تحفظك تلك ال
الضابطة الكلّ التي خلقتك لعدت الى الع
الذي منهُ أُخرجت * فهو من المحقّق الذي
يشوبهُ ريب ، انّك نظرًا الى ما لك في الوج
الطبيعي لا يجوز لك ان تعتبر ذاتك ، ولا ان تته
ان تعتبرك الناس ، وكذلك نظرًا الى الوجود الفائ
الطبيعة وجود النعمة ، ونظرًا الى قضاء الاعم
الصالحة ، ليس لك سبب للتكبّر اصلاً ، لانّ
بدون العون السموي لا يمكنك ان تستحقّ ش
او ان تفعل خيرًا * ثم ان لاحظت بعد ذلك ك
الخطايا التي ارتكبتها ، والتي قد كان يمكن ا
ترتكبها لو لم يصُنك الله منها ، تجدها ممّا لا يحص

عدده . وما لاحدّ له . وانّك لولا صيانة الله لكنت
حصلت شبيهًا بالشياطين انفسهم * فهذه
الاعتبارات من شانها ان تجعلك تحتقر نفسك
في كلّ يوم اكثر فاكثر . مطّلعًا على عظم التزادك
الغير المتناهي للجود الالهي . وتفهم كم يجب عليك
ان لا تختلس شيئًا ممّا يحقّ له من المجد * وحينما
تحكم هكذا على نفسك . فاحذر من ان يمازج شيء
من الصلف في حكمك : لانّه وان كنت مطّلعًا
على شقائك . وتعرفهُ افضل ممّا يعرف شقاءه
من نظام عقلهُ محبّتهُ لنفسهِ . تكون نظرًا الى الارادة
اعظم منهُ ذنبًا . واهلًا لعذاب اوفر ان كنت مع
معرفتك عيوبك تريد ان تعدّك الناس قدّيسًا *
فان شئت ان تنجو من العجرفة بواسطة هذه
المعرفة . وان يسرّ بك ابو المتضعين وقدوتهم . فلا

يكفيك ان تحتقر نفسك وتعتقد انك لا تستحق
خيرًا وانك اهل لكل شرّ . بل يجب عليك ايضًا
ان تتمنى ان تحتقرك الناس : وان تبغض المدح
وتحبّ الاهانات وتباشر بسرور احقر الوظائف
مستغفًا بظنّ الناس فيك لمشاهدتهم اياك متمسّكًا
باحقرها : وتعتني بهذا فقط . وهو ان تباشر هذه الامور
بروح التواضع . لا بحركة الكبرياء . ولا بشجاعة
طبيعية من شانها ان تحتجب تحت ازار الشجاعة
المسيحية . وتجعلنا ان نزدري بكلام الناس
ونحتقر رايهم * واذا اظهر لك احد محبة او اعتبارًا
وامتدحك لصفات حسنة قد اخذتها من فوق
فاختل في الباطن سريعًا . وخاطب الله في قلبك
على موجب الاصول الحقيقية العادلة التي
اوردناها انفًا . قائلًا لهُ هكذا : لا تسمح يا ربّ بان

اختلاس مجدك مخصّصًا لقوّتي الذاتيّة ما هو فعل صادر من مجرّد نعمتك، فليكن لك المجد والمديح، ولي الاهانة والخزي * ثمّ التفت الى من يمدحك، وقل في مخدع قلبك: لماذا يمدحني هذا وايّما صلاح او كمال وجدهُ فيّ: انهُ لا صلاح ولا كمال الّا في الله وحدهُ، وليس عمل كامل سوى اعماله الالهية * وهكذا اتّضع بنفسك مخصّصًا ما لله لله * فانّك بذلك تنجو من العجرفة، وتستحقّ كلّ يوم نعمًا اوفر عددًا وسموًّا * فان كان تذكرك اعمالك الصالحة يسبّب لك حركة من حركات الكبرياء، فاخمدها حالًا، واقهرها بتأمّلك انّ هذه الاعمال الصالحة عينها ليست هي منك، بل من الله * وقل بخلوص الاتّضاع نحوها هكذا: انّي لست ادري كيف حُبل بكنّ في قلبي، وكيف خرجتنّ

من عمق لجتر فساد خطاياي: آنكنّ لم تاخذن
الوجود مني. بل الله هو الذي اصدركنّ وحفظكنّ
بعد صدوركنّ: فهو مصدركنّ الاخصّ. وهو
الذي يجب عليّ ان اشكره. ولذ ينبغي ان اقدّم
جميع المدائح المقدّمة لي ※

ثمّ اعتبر انّ جميع ما عملتهُ من اعمال التقوى
لم تعملهُ بحسب وفور الانوار والنعم التي اعطاكها
الله لاتمام عملها: بل انهُ قد داخلتها عيوب كثيرة
ولا توجد فيها نقاوة النيّة وجزيل النشاط والاجتهاد
الواجب ※ ولعمري انّك اذا فحصت عنها جيدًا
فلا ترى ان تفتخر بها. بل ان تخجل من قبلها
عند نظرك النفع القليل الذي اجتنيتهُ منها
ونظرك عكس تصرّفك بالنعم الالهية ※ ولا سيّ
انّك ان قابلت بعد ذلك افعالك مع افعال

القدّيسين المعظّمين ، ومع اتعاب ابن الله الذي
قد كانت حياته كلّها حمل الصليب ، تستحيي
من الاختلاف الموجود بين هذه وبين افعالك :
حتّى انّك لو لم تلاحظ فيه تعالى جلال عظمة
اقنومه الالهيّ ، بل اعتبرت عظامة اتعابه فقط ،
وجزيل طهارة النيّة التي احتمل بها تلك الاتعاب ،
لاعترفت اضطراراً انّك لم تفعل شيئاً وان تكابد
ما يشبهها * واذا رفعت الحاظك الى فوق ،
واحدقت بنظرك الى عزّة الله الغير المتناهية
المستحقّ ان يُخدم بكمال غير متناهٍ ، علمت
حينئذٍ جليّاً انّ اعمالك الصالحة هي سبب كافٍ
لك ، لان تخشى ، لا لان تتكبّر من اجلها * فاذاً
مهما فعلت من الخير يلزمك ان تقول دائماً
بروح اتّضاع عميق : ارحمني يا ربّ انا الخاطئ *

ثمّ احذرنّ من ان تشهر بسهولة النعم التي وهب
الله لك: لانّ السيّد المسيح يغتاظ من ذلك غالبًا
وهذا قد اوضحهُ تعالى على الوجه المذكور في
هذا الخبر الذي نورده ❊

قد ذُكر عنهُ عزّ جلالهُ وتقدّست اسماؤهُ انّ
تراءى يومًا لاحدى عابداتهِ بصورة طفل صغير
فطلبت منهُ العابدة بسلامة قلب ان يقرأ صلا
تحيّة الملاك جبرائيل: فقرأها الطفل الالهي حالاً
غير انّهُ بعد قولهِ: مباركةٌ انتِ في النسآء، وقف
ولم يرد ان يقول ما بعد ذلك، لئلّا يذكر مدحهُ
بلسانهِ ❊ فالحّت عليهِ العابدة طالبة ان يتمم
الصلوة ❊ فغاب عن نظرها، وتركها في ساوى
عظيمة، معتقدة بغاية اليقين جزيل ضرورة
الاتّضاع، مستنتجة ذلك من مثل تواضع ابن الله

وهكذا تعلَّم انت ايضًا ان تتضع في كلّ اعمالك ملاحظًا اياها كمرآة تريك عدمك على نوعٍ عجيب ❊ لانهُ كما انّ الباري تعالى خلق في البدء ابانا الاوّل من العدم ، هكذا الآن يؤسّس كلّ الكمال الروحيّ على هذه الحقيقة التي يجب ان نعرفها غاية المعرفة : وهي انّنا من تلقاء نفوسنا لسنا بشيء ❊ ولهذا كلّما زاد تنازلنا وتواضعنا ، يتسامى فينا بناء الكمال الروحيّ : وكلّما زاد تعميقنا في الحفر بارض عدمنا وتوغّلنا في معرفته ، يضع الله الحجارة الصلبة الراهنة العقيد ان يُقام عليها هذا البناء ❊ فتامّل جيّدًا واعتقد يقينًا ، انهُ غير ممكن ان تنحدر الى الاسفل بافراط وباكثر ممّا يجب ، ولا تخف انك تتجاوز حدود الصواب بتواضعك ❊ ولو كان ممكنًا ان يوجد في خليقة

من الخلائق شيء غير متناهٍ. لكان ذلك الشيء ضعفها ودناءتها * فللّه درّ المعرفة الالهيّة التي تجعل الانسان سعيداً على الارض ومجيداً في السماء * ويا للنور العجيب الذي ينبعث من ظلمات عدمنا. فينيرنا ويرتقي بانفسنا الى الله * يا لهُ من حجر كريم وجوهر ثمين مجهول يتلألأ في مزبلة خطايانا * ويا لهذا العدم الذي بمجرد ملاحظتهِ نستولي على كلّ شي *

وانّي احبّ ان اتكلّم عن هذا الموضوع على الدوام. فلذلك اقول ايضاً: من اراد ان يكرم العزّة الالهيّة. فعليهِ ان يحتقر نفسهُ دائماً ويتمنّى ايضاً ان تحتقرهُ الناس * اتّضع مع كل احد: تنازل دون الجميع: ان احببت ان يتمجّد الله فيك وتتمجّد فيه. فقرّها ربّاً من العظمة. لكي تنضمّ اليهِ تعالى *

لانّه سبحانهُ يتباعد عن الذين يرتفعون * اختر لنفسك في كلّ محلّ المكان الاخير. فينحدر الله من عرش مجدهِ لينضمّ اليك ويعتنقك ويلاطفك بالمحبة. وذلك بمقدار ما ترغب ان تتّضع وبقدر ما تتمنّى ان تدوسك الناس بارجلهم كاحقر ما يوجد في العالم * فان كان ابن الله الذي اختار ان يكون آخر الناس واحقرهم لكي يتّصل بك اشدّ اتّصال يمنّ عليك بهذه الرغبة في الاتّضاع. فاشكر فضلهُ مرّات كثيرة. واشكر فضل الذين يساعدونك في حفظ هذه الفضيلة. بافترائهم عليك او بظنّهم فيك انك ضعيف في الفضيلة. وحاجز عن احتمال الافترآء * ولا تشتكِ منهم ابدًا مهما قذفوا بعرضك وشنّعوا على سمعتك *

الّا انّهُ اذا اتّفق بعد جميع هذه الاعتبارات

القوّة الفعّالة، انّ خبث الشيطان او ضعف معرفتك بذاتك او الانصباب الرديّ يملأ عقلك على الدوام من افكار الكبرياء، ويصدر في قلبك اشواقًا الى الارتفاع على غيرك، فاتضع لهذا الامر نفسه باشدّ اجتهاد: اي اتّضع عند نظارك واختبارك قلّة نموك في السيرة الروحيّة الحقيقية، وانّهُ يعسر عليك الخلاص من هذه الافكار الدالّة على وجود كبرياء عميقة فيك ❋ وهكذا يمكنك ان تحوّل السمّ الى ترياق، والداء الى دواء ❋

❊ الفصل الثالث والثلاثون ❊

في بعض نصائح معتبرة مفيدة للذين يرغبون قهر اماراتهم واكتساب الفضائل التي يفتقرون اليها

انّي الى الآن قد اوردتُ لك اشياء كثيرة تعلّمك ان تنتصر على اماراتك وتكتسب الفضائل: الّا انّهُ قد تبقّى شيء كثير غير ما تقدّم ايرادهُ يجب ان يورد ايضًا بستّ نصائح ❊ النصيحة الاولى: ان اردت ان تحصل على فضيلة راهنة وكمال متين. وان تنتصر على ذاتك انتصارًا تامًّا. فاذا قسمت رياضات الفضيلة على ايّام الاسبوع. فلا تخصّص بعضًا منها ليوم معيّن. وبعضًا ليوم آخر: لانّك على هذه الحال تستمرّ على حال تغيير غير منقطع بهذا النظام

الذي يجب التمسّك بهِ في هذا الامر هو هذا: وهو
ان تجتهد اوّلاً في استئصال الهوى المتسلّط عليك
اشدّ تسلّط. وان تفرغ كلّ جهدك في اكتساب
الفضيلة المضادّة لهُ على اكمل وجه يمكنك *
لانّهُ اذا حصلت على هذه الفضيلة الضروريّة .
تملك بسهولة بقيّة الفضائل من دون ان تفعل
افعالاً كثيرة من افعالها * لانّ الفضائل هي
كسلسلة متعلّق بعضها ببعض تعلّقاً شديداً .
حتّى انه من امتلك واحدة منها امتلاكاً كاملاً .
يكون قد امتلكها كلّها معاً *

النصيحة الثانية: لا تعيّن ابداً الزمان
الضروريّ لبلوغ فضيلة من الفضائل. ولا تقل
انّي اصرف في ذلك كذا وكذا من الايّام او الاسابيع
او السنين: بل كن دائماً كجنديّ حديث لم

يضاعف عدوّه بعد، ويواظبنّ الحرب ، واجتهد ان تدخل منهج الكمال بانتصار مجيد ، وسر فيه ناميًا ومتقدّمًا في كلّ دقيقة * لانّ الذي يقف في هذا الطريق ، لا يستريح ولا يتّخذ قوّة جديدة ، لا بل انّه يتقهقر الى الوراء ويزداد ضعفًا ايضًا * ويقولي : لا تقف ابدًا ، بل تقدّم الى ما قدّام دائمًا ، انّما اريد هذا ، وهو ان لا تظنّ عن نفسك انك قد بلغت الكمال المسيحيّ ، وان لا تفوتك فرصة لقضاء افعال الفضائل : وان تبغض اخفّ الهفوات * ولكي تبلغ هذا الغرض ، ينبغي لك ان تؤدّي واجبات دعوتك بغاية التدقيق والنشاط وان تعمل في كلّ فرصة ما تقتضيه دعوتك من الفضائل على الوجه الاتمّ * فاحبب هذه الفرص والاتفاقات التي توصلك الى القداسة ، واغتنمها

بكلّ حرارة قلبك . ولاسيما حينما تكون مقترنة
بصعوبة ❊ لانّ الاغتصاب الذي لا بدّ عنه
للظفر بالصعوبة يفيد جدًّا لتكوين ملكات
الفضائل فينا وتمكينها في زمن يسير ❊ احبب
ايضًا الذين يقدّمون لك هذه الفرص : وتجنّب
بكلّ ما يمكنك التجارب الدنسة ❊

النصيحة الثالثة: احسن الاعتدال والفطنة
نظرًا الى بعض فضائل قد يمكن ان تتلف صحّة
الجسد وعافيته كتعذيبه بافراط بالمخصرة والمسح
والصوم والسهر وتقشّفات اخر متجاوزة الصواب
لانّ التقدم والنموّ في هذه الفضائل الخارجيّة
يجب ان يصير شيئًا فشيئًا ❊ وامّا الفضائل الباطنة
بالكلّية . القائمة في محبّة الله وبغض الدنيا واحتقار
الذات والندامة على الخطايا والحلم والصبر

وحبّ الاعدآء . ففي هذه لا يوجد افراط : وليس لنا ان نخاف من ان نتجاوز الحدود فيها . ولذلك ينبغي لنا ان نعمل بها على اكمل وجه يمكننا ❋

النصيحة الرابعة : يجب ان تكون غاية كلّ مقاصدك واجتهادك الانتصار على الهوى الذي قد عزمت على استئصاله ❋ واعتقد انّ هذا الانتصار هو الاكثر نفعًا لك . والافضل قبولاً لدى الله ❋ فان اكلت او صمت او سهرت او نمت او اشتغلت او استرحت . وان كنت في البيت او خارجًا عنهُ . وان عملت رياضات السيرة النظريّة . او افعال السيرة العمليّة . فلا تقصدنّ في ذلك كلّهِ شيئًا سوى ان تظفر بهواك الخاصّ وتكتسب الفضيلة المضادّة لهُ ❋

النصيحة الخامسة : ابغض على الاطلاق

كل ترفه الجسد وتنعمهُ، فتخف عليك تجارب
الرذائل التي تتخذ كل قوتها من اللذات اللحمية ❊
فان كنت عند طردك لذة ما حسيّة تلتمس
لذة اخرى، وان كنت لا تجارب الارذيلةً واحدة
فانه وان سلمنا ان الجرحات المسببة لك من بقية
الرذائل تكون اقل خطرًا: الا ان الحرب تكون
قوية مستصعبة، والانتصار يكون تحت الشك
دائمًا ❊ فاذكر على ممر الاوقات هذه الكلمات
السيدية: من احب نفسهُ فانهُ يهلكها، ومن
ابغض نفسهُ في هذا العالم فانهُ يحفظها لحياة الابد ❊
اذكر ايضًا نصيحة الرسول: اننا لسنا متعبدين
للّحم حتى نعيش بحسب اللحم: فان عشتم اذًا
بحسب اللحم فانكم تموتون، وان امتم اللحم بالروح

فتحيون ❊

النصيحة السادسة : انه يحسن بك وقد يلزمك ، ان تعترف قبل كلّ شيء اعترافًا عامًّا باستعداد واجب ، لكي يكون في حال اوفر طمانينة اصطلاحك مع الله ، الذي هو معين النعم ومصدر الانتصارات وموزّع الاكاليل ❊

❊ الفصل الرابع والثلاثون ❊

في انّ الفضائل لا تُكتسب الّا رويداً رويداً درجةً فدرجة واحدة فواحدة

يجب على العابد الحقيقيّ المرتاح الى الكمال الاسمى ان لا يجعل حدودًا لنموه الروحي ، ولكن مع هذا لا بدّ من الفطنة لتخميد احتداد النشاط المنحرف ، الذي لا يستصعب في الابتداء شيئًا : لكنه بعد ذلك قد يفتر حتّى يتلاشى بالكلّيّة ❊

فلذلك ما عدا ما قلناهُ في تثقيف الرياضات
الخارجيّة يحسن بك ان تعتبر هنا انّ الفضائل
الباطنة لا تكتسب الّا شيئًا فشيئًا، وانّك لا تبلغ
اليها الّا بالتدريج * فعلى هذا النحو تستطيع ان
تضع اساس كمالٍ وطيد راسخ، وفي زمنٍ وجيز
تربح شيئًا وافرًا * ففي امر الصبر مثلًا لا تظنّ انّك
تستطيع في الابتداء ان ترغب في الصليب
وتسرّ بهِ: لكن لك اوّلًا ان تجتاز من ادنى درجات
هذه الفضيلة * وعلى حسب موجب هذه القضيّة
لا تتمسكنّ بجميع الفضائل معًا، ولا بكثير منها
جملةً: بل اعتنِ بفضيلة واحدة اوّلًا، ثمّ بالاخرى
ان اردت ان تتأصّل في نفسك الملكة، وتتعمّق
جدًّا بلا صعوبة * لانّهُ اذا اعتنيت بفضيلة واحدة
وواظبت ممارسة رياضاتها، تتعلّق بها قوّتك

الذاكرة اشدّ تعلّق . ويخترع لها عقلك بنور الله وسائط وحججاً جديدة تحثك على امتلاكها . وتصيّر ارادتك ان ترتاح اليها افضل ارتياح * ومن حيث انّ الافعال الواجب ابرازها لصيرورة ملكة الفضيلة . لا تلاحظ الّا مقصوداً واحداً وتساعد بعضها بعضًا . فتعود بهذا اسهل . وتكون عمل الافعال الاخيرة وتاثيرها في قلبك اقوى . وذلك لحسن استعداده المسبّب عن الافعال الاولى * ويتاكد عندك هذا كلّهُ ان تاملت ما اذكرهُ لك : وهو انّ من يتروّض جيّدًا في فضيلة واحدة . يتعلّم ان يتروّض في بقيّة الفضائل ايضًا : وانّهُ من المستحيل ان يحسن اتقان فضيلة واحدة بغير ان يحسن معًا اتقان بقيّة الفضائل : وذلك لسبب ارتباط بعضهنّ ببعض كاشعّة بارزة من

شمس واحلة ❊

الفصل الخامس والثلاثون

في الوسائط النافعة لاكتساب الفضائل . وفي الاعتنآء بفضيلةٍ واحلة مدّةً يسيرة من الزمان

انّي ازيد على ما ذكرتهُ في الفصل المتقدّم
واقول : من يريد ان يمتلك كمالاً راهنًا وطيدًا
ينبغي ان يكون ذا قلب نجيب شجاع . واراد
ثابتة شديدة في عزمها : لانّهُ ستدركهُ فيما بعد
صعوبات واتعاب كثيرة شاقة ❊ ثمّ انه ل
بدّ لهُ من ان يكون لهُ باطنًا انصباب خاصّ
لى الفضيلة : ويكتسب هذا الانصباب بان
يتامّل السالك مرارًا كثيرة كم يسرّ الله بالفضائل

كم هي حسنة في ذاتها ومفيدة للانسان وضرورية
ر • وان الكمال المسيحي يبتدي ويكمل بها *
يجب كثيرًا ان نقصد في كلّ يوم باكرًا ممارستها
ي ذلك النهار بحسب اتّفاق فرصتها • وان
نفحص في اوقات كثيرة هل قضينا مقاصدنا
الصالحة * ثم يجب ان نقصد مقاصد اخر
صالحة اقوى وانبت من الاولى * وقولي هذا
لاحظ على الخصوص الفضيلة التي نجتهد في
اكتسابها ونحتاج اليها اكثر احتياج • والى هذه
الفضيلة ينبغي ان نردّ كلّ ما اعتبرناهُ في امثال
القدّيسين وحياة السيّد المسيح الاهيّة المقدسة *
ولعمري انّ الاعتبارات جزيلة النفع في كل
رياضة روحيّة : فلنمرّن نفوسنا على عمل افعال
الفضائل الباطنة والخارجة الى ان نجد فيها

السهولة والسرور اللذين كنّا نشعر بهما باتّبا
اهوائنا الطبيعيّة : ولنذكرنّ ما حرّرناهُ في موض
آخر، انّ الافعال المضادّة ميل الطبيعة اش
مضادّةً هي التي تساعدنا اكثر ما يكون باكتساب
ملكة الفضيلة * وهكذا بعض من المضامين
المستخرجة من الكتب المقدّسة اذا لُفظت بنو
واجب بفمنا او بقلبنا، تفيد جدًّا لهذه الرياضة
ولهذا يجب ان نستحضر منها نصوصًا، ونستعملها
بالنهار في الوقت المناسب : ولاسيّما حينما يتّقد
الهوى المتسلّط علينا * فالذين يجتهدون مث
في البلوغ الى الحلم والصبر، يستطيعون ان
يستعملوا الكلمات، الآتي ذكرها، او ما يشبهها
احتملوا بالصبر غضب الله الذي يعذّبكم لسبب
خطاياكم * صبر الفقير لا يهلك الى الدهر * ا

الرجل الصبور افضل من القوي: ومن يستولي على نفسهِ ويضبطها، افضل ممن يتسلّط على المدن ويفتحها قهرًا * بصبركم تقتنون انفسكم * لنسع بالصبر ملاحظين يسوع * ويمكن ان تزيد على ذلك هذه النوافذ، او ما يماثلها * الاهي متى اكون متسلّحًا بترس الصبر تجاه سهام العدوّ: ومتى احبّك حبًّا شديدًا، حتّى اقبل بسرور كلّ ما ياتيني بامرك وسماحك من الشدائد * يا حياة نفسي اجعلني ان احيا لمجدك، وابتهج في الشدّة لاجلك * يا لعظم سعادتي اذا اشتهيت في اتون البليّة اشتهاءً ملتهبًا ان افنى لخدمتك *

فاستعمل هذه الصلوات الوجيزة بحسب نموك في الفضيلة، وبحسبما تحضّك عليها عبادتك: وقد دُعيت نوافذ، لانّنا نرشقها الى السماء كسهام

ءاً ملتهبة وترتقي بقلوبنا الى الله، وتنفذ قلبهُ تعالى
وذلك حينما تكون مقترنة بشيئين: اوّلهما معرفتن
الوطيدة ان الله يسرّ بمن يمارس الفضيلة ❊ وثانيهما
شوق ملتهب لاكتساب كلّ فضيلة بالكمال
بمجرّد هذه النيّة، وهي ان نرضي الجود الالهي لا
غير ❊

❊ الفصل السادس والثلاثون ❊

في ان ممارسة الفضيلة تقتضي اجتهادًا متصلًا

من جملة الاشيآء التي توصّلنا الى الفضائل
المسيحيّة، التي هي الغاية المقصودة هنا، يوجد
شيء واحد اكثر ضرورةً من الجميع: وهو الاجتهاد
في التقدّم الى ما قدّام في طريق الكمال ❊ لانّ
من يقف ولو يسيرًا يرتدّ الى الورآء حالًا ❊ على

انّنا حينما نكفّ عن عمل افعال الفضيلة ، ففي الحال يبتدئ الميل الطبيعي الذي يسوقنا الى طلب اللذّة، والاشياء الخارجة المبهجة حواسّنا، ان تصدر فينا حركات غير منتظمة * وهذه الحركات من شانها ان تبيد ملكات الفضائل اوقلّما يكون تضعّفها : مع انّ هذا التواني يعدمنا ايضًا نعمًا كثيرة قد كان يمكننا ان نستحقّها لو نعتني في نموّنا الروحيّ باجتهاد شديد * وفي هذا الامر عينه قائم الاختلاف الموجود بين الذي يسير مسافرًا على الارض ، وبين الذي يسير في طريق السمآء * فانّ المسافر على الارض يمكنهُ ان يقف بغير ان يتقهقر : وما عدا ذلك فانّهُ بالمواظبة على السير يعيا ويعجز عن التقدّم الى ما قدّام * وامّا في طريق الفضيلة فالامر

بخلاف ذلك : لاننا نزداد قوّةً بمقدار ما نزد
تقدّمًا * والسبب لذلك * وانّ القسم الادنى الذ
يقاومنا ويصدّنا عن النمو الروحي . يضعف بعم
الفضائل : وبعكس ذلك القسم الاعلى حيث
تستقرّ الفضيلة يزداد قوّةً وتمكّنًا * وعلى هذا النح
فبمقدار ما ننمو في الفضيلة تنقص الصعوبة التي
كانت لنا . وتخفّ كثيرًا : وبمقدار ذلك ايضًا تزد
فينا حلاوةً ما قد اعتاد الله ان يمزجها في سرائر ها
الحيوة * وهكذا ترتقي النفس بسرور من فضي
الى فضيلة . حتّى تبلغ الى قمّة الكمال والى ه
الحال السعيدة . اعني الحال التي بها تبتدئ
ان تباشر وظائفها الروحيّة بلاضجر . لابل بابتها
لايوصف * لانّها بعد انتصارها على اماراتها فوق
جميع الخلائق حتى فوق ذاتها ايضًا تحيا في حضر

الله، وتفوز براحة بهجة فيها بين اتعابها المتصلة ❊

❊ الفصل السابع والثلاثون ❊

في انهُ لا يجوز لنا ان نهمل فرصةً من فرص عمل الفضيلة اصلًا

قد اوضحنا بالكفاية انهُ ينبغي لنا ان نتقدم دائمًا في طريق الفضيلة الى قدام بغير توقف ❊ فاسهر اذاً على نفسك ايها السالك في طريق الكمال: واحذر ان تفوتك فرصةٌ من الفرص لاكتساب الفضيلة ❊ واياك ان تهمل ما يضادّ ميل الطبيعة الفاسدة، لاننا به نحصل على الفضائل العظمى ❊ ولايضاح ذلك نعود الى مثلنا المتقدم ذكرهُ ❊ اتريد ان تكون صبورًا: فاحذر جدًّا من ان تتجنب الناس والوظائف، حتى

الافكار التي تحرّكك غالبًا الى الحدّة والنزاقة
ومرّن نفسك على التردّد مع كلّ نوع من
الانام ، مهما كانت مذاكراتهم فظّة غليظة
مستصعبة ❊ وكن مستعدًّا دائمًا لاحتمال ما
يسبّب لك تضيّقًا وتألمًا: لانّه بدون هذا العمل
لا يمكن ان تكتسب ملكة الصبر ❊ واذا ضجرت
من وظيفة من الوظائف ، امّا لانها بذاتها لا
ترضيك ، او لانّ الذي اقامك عليها لا يحبّك
او لانّها تصدّك عن مباشرة وظيفة اخرى مناسبة
لميلك: فايّاك ان تتركها لهذه الاسباب: بل
ليتشدّد قلبك ، واقبلها بسرور ، واستمرّ عليها
الى الانتهاء: ولو انّ ثباتك عليها يسبّب لك
تحسّنًا ، وبتركها يستريح عقلك ❊ لانّه من دون
هذا لا نتعلّم الصبر ابدًا ، ولا نمتلك ذاك السلام

الحقيقيّ الذي يفوز بهِ من اماتت اماراتهِ كلّها واكتسب جميع الفضائل * وهذا عينهُ اقولهُ عن بعض افكار من شانها ان تقلقك احيانًا. فلا يفيدك ان تعوذ منها مطلقًا : لانّ الهوى الواصل اليك من قبلها يعوّدك على احتمال اكره الامور * فمن يعلّمك خلاف هذا التعليم. يجب ان تعتقد انهُ انّما يعلّمك ان تهرب من التعب الذي تكرهه. لا ان تحصل على الفضيلة التي ترغبها * نعم انّهُ يجب على الجنديّ الحديث الغير المختبر بعد ان يتصرّف في مثل هذه الاحوال بحسن الفطنة والاحتراس: وذلك بان يثب تارةً على عدوّهِ. ويتوارى تارةً عنهُ * الّا انّهُ لا يجوز لهُ ان يخرج من الميدان. ويترك الحرب بالكليّة: اي انهُ لا يجوز لهُ ان يفرّ هاربًا من كلّ ما يمكن ان يسبّب لهُ سجنًا

وحزنًا * لانهُ وان وُجد حينئذٍ ناجيًا من خطر
الحدّة والنزاقة . فانهُ لا بدّ من ان يقع بعد ذلك
في خطر اعظم من ذلك : لانّهُ لم يتقوَّ على هذ
الرذيلة بملكة الصبر * غير انّ هذا التعليم لا يخصّ
رذيلة الزنا وتجارب اللحم . التي لا نجاة منها ال
بالهرب . كما اشرنا الى ذلك قبلاً *

* الفصل الثامن والثلاثون *

في انّهُ يجب الفرح بكلّ فرصة للحرب الروحيّة
لاكتساب الفضائل

لا يكفينا ان لا نهرب من كلّ فرصة نجده
لاكتساب الفضيلة . بل ينبغي لنا ايضًا ان
نطلبها وننتهزها بسرورٍ كلّما حصلت : وينبغي
ان تكون الفرص الصعبة والشاقّة محبوبة عندنا

الاكثر من غيرها . كما هي انفع لنا * ولعمري اننا لا نجد في هذا شيئًا عسرًا مع العون السماوي . ان حرّرنا في عقولنا الاعتبارات الآتي ايرادها تحريرًا عميقًا *

فاعتبر اولًا انّ الفرص والاتفاقات هي الوسائط المناسبة . لا بل الضروريّة لاكتساب الفضائل * ولذلك حينما نطلب من الله الفضائل . نطلب منهُ ايضًا بالنتيجة الوسائط التي يريد ان نستعملها للبلوغ اليها : والّا فتكون الطلبة باطلة . ونناقض بها انفسنا . ونجرّب الله الذي من عادتهِ ان لا يعطي الصبر بدون الشدائد . ولا الاتضاع بدون الاهانات : وهكذا يجري الامر في بقيّة الفضائل التي هي اثمار البلايا المرسلة الينا من الله * ويجب علينا ان نقبلها بسرور يوازي عظم صعوبتها :

لانّ الاجتهاد الذي لا بدّ منهُ للظفر بها يعي
جدًّا لتقوية ملكات الفضائل وتمكينها فينا
فلنجتهدنَّ في ان نميت ارادتنا دائمًا . ولو في ض
نظرة واحدة او كلمة واحدة منحرفة قليلًا ٭ على
انّهُ ان كان انتصارنا على انفسنا في اشياء معتبـ
هو اوفر مجدًا : فانتصارنا على انفسنا في مثـ
هذه الاشياء الطفيفة هو اكثر عددًا بما لا يُحَدّ ٭

اعتبر ثانيًا ما قد ذكرناهُ آنفًا : وهو انّ كلّ
يحدث في العالم انّما يحدث برسم الله وتدبيرهِ
وانّه تعالى يريد ان ننتفع من ذلك ٭ لانّهُ ان كا
بعض الاشياء التي تحدث في العالم كخطايـ
وخطايا غيرنا لا يمكن ان نقول عنها على حصـ
المعنى الحقيقي انّها تاتي من الله . فانّها منهُ تعا
حقًّا على وجهٍ : من حيث انّهُ سبحانهُ يسـ

بحدوثها مع كونهِ قادرًا على منع ذلك * امّا الاحزان والشدائد التي تصيبنا، وذلك امّا بذنبنا وامّا بذنب اعدائنا ، فلا ريب في انها آتيةٌ من قبل الله، وانّهُ يسعى فيها حقًّا، مع انّهُ يرذل علّتها: غير انّهُ يريد ان نحتملها بالصبر، وذلك امّا لانها وسائط معينة لنا لتقديس انفسنا، وامّا لاسباب أخر عادلة لا يعلم بها الّا هو * فمن المحقّق المؤكّد كلّ التاكيد، انّهُ لا يمكننا ان نعمل بارادته عزّ وجل ، الّا بشرط ان نقبل بحسن الرضى كلّ ما يصيبنا من البلايا والاحزان من قبل الاشرار او من سبب خطايانا * فلقد ضلّ اولئك الذين يعتذرون في قلّة صبرهم بقولهم : انهُ من المحال انّ الاله المتّصف بالعدل الغير المتناهي يشاء ما يصدر من علّة رذيلة : ويلوح جليًّا انهم انّما يقصدون

بهذا ان يخلصوا من التعب ، وان تظن الناس
فيهم انّهم بالصواب لا يقبلون الصليب الذي
ألقاهُ الله عليهم * وازيد على ذلك واقول: انّ
اذا رآنا محتملين بالصبر اضطهادات الاشرار
ولا سيّما الذين احسنّا اليهم يُسرّ بنا افضل ممّا
رآنا قابلين بالصبر حوادث اخر مُرّة مؤلمة
والسبب الاوّل لذلك هو انّ الكبرياء التي تولد من
تُقهر باضطهادات اعدائنا بوجه اكمل جد
ممّا يكون بغير ذلك من الاتعاب والتقشّفات
الاختياريّة * والسبب الثاني هو انّنا باحتمال
هذه الاضطهادات بالصبر، نفعل ما يريد ا
منّا ، ونجديه مجدًا اوفر : وذلك لانّنا نطابق
ارادتنا مع ارادته في ما تظهر به جودته وقد
ونجتني من مادّة رديّة اعني الخطية ، اثمارًا جزيلة

اثمار الفضيلة والقداسة * فنعلم انهُ متى ما رآنا الله مستعدين لاكتساب الفضائل الراهنة. فلابد من انهُ تعالى يمتحنا بتجارب شديدة واتعاب شاقة * فاذ قد عرفنا نحن جزيل محبته لنا ورغبته لخيرنا الروحي. يجب علينا ان نقبل بالرضى الكاس المرة التي يقدمها لنا. ونشربها الى آخر نقطة: وذلك لاننا نعتقد يقيناً انهُ كلما زادت مرارتها زادت منفعتها لنا *

الفصل التاسع والثلاثون

في العمل بفضيلة واحدة في فرص مختلفة

قد اوردنا في احدى الفصول السالفة انهُ خير لنا ان نعتني في مدة من الزمن بفضيلة واحدة. من ان نجتهد في اكتساب فضائل كثيرة معاً.

وانه ينبغي ان نعمل افعال هذه الفضيلة الخصوصية
كلّما وجدنا فرصةً لعملها * فانظر الآن كم هو
سهل عليك ان تفعل ذلك : فانّهُ يمكن ان
يتفق في يوم واحد او في ساعة واحدة ان يوبّخك
واحد توبيخًا مرًّا على عمل لم تكن اذنبت فيه
او ان يتكلّم عليك لسبب شيءٍ آخر . او يردّك
عن طلبتك باحتقار . ولو كان الذي طلبته
منهُ زهيدًا لا يُعتبَر . او يشكّ فيك شكًّا باطلًا
او يامرك بما يجلب عليك غيظ الناس : او
يقدّم لك ماكلًا لا يرضيك : او يدركك مرض
او ترد عليك بغتة بلايا اخر مستصعبة : لان
حياتنا هذه الشقيّة مشحونة من هذه المصائب
والكوارث * فمع هذه الاشياء المذكورة كلّها يمكنك
ان تعمل فضائل كثيرة متنوّعة * الّا انّهُ لكي

تحفظ القانون المرسوم في هذا الشان . فالافضل لك ان تتمسّك بالفضيلة التي تحتاج اليها اكثر احتياج * فان كانت هي فضيلة الصبر . فاعتنِ في هذا فقط . وهو ان تحتمل بشجاعة وسرور كلّ ما ياتي عليك من الشرور * وان كانت فضيلة الاتّضاع فافتكر انّك مستحقّ كلّ انواع العقوبات من اجل خطاياك * وان كانت فضيلة الطاعة فاجتهد في مطابقة ارادة الله الذي يعذّبك بحسب استحقاقك : بل يجب عليك حبًّا له تعالى وطاعةً لامرهِ ان تخضع للخلائق الناطقة . لا بل للتي هي عديمة النطق والحيوة ايضًا : لانّ الله يستخدمها لتكميل قضاء عدله * وان كانت فضيلة الفقر . فافرغ جهدك في ان تعيش مسرورًا وانت معدوم من كلّ خيرات الدنيا

وترفيهاتها * وان كانت فضيلة المحبّة فافع
بتكاثر افعال المحبّة لله وللقريب . متاملّاً انّ
القريب الذي يحزنك ويغضبك يقدّم لك سب
ليزيد اجرك : وانّ الله الذي ارسل البلايا المحد
بك او سمح بورودها . لا يقصد بذلك سوى خير
الروحيّ * وما اوردناهُ هنا في استعمال الفضي
التي تحتاجها في الاوقات المختلفة يوضح لل
ايضاً كيف تستعملها في وقت واحد . مثلاً في
مرض . او في بليّة اخرى مؤلمة الجسد . او مكدّ
الروح *

❊ الفصل الاربعون ❊

في مقدار الزمان الذي يجب ان نصرفهُ في اكتساب كلّ فضيلة. وفي العلامات التي يُعرَف نموّنا فيها

لا يمكن ان نعيّن الزمن الذي يلزمنا ان نصرفهُ في عمل كلّ فضيلة تعيينًا مدققًا. لانّ ذلك متعلّق بالحال والاستعداد اللذين نحن حاصلون عليهما. وبنموّنا في السيرة الروحيّة. وبتدبير من يرشدنا فيها ❊ الّا انّهُ من المحقّق انّنا اذا اجتهدنا في اكتسابها بكلّ الاجتهاد والنشاط الذي اوردناهُ بما تقدّم نزداد في تلك الفضيلة جدًّا اسابيع قليلة ❊

واما الدليل اليقيني على اننا قد نمونا نموًّا معتبرًا فهو. (١) المواظبة على الرياضات الروحيّة

رغماً من الضجر والسجس واليبس الروحيّ وعد
كلّ سلوى روحيّة وحسّية * (٢) اذا رأينا الشهو
قد قُهرت وخضعت للعقل ، فلا تقدر ان
تمنعنا عن العمل بالفضائل : لانهُ كلّما ضعفت
الشهوة ، تتقوّى الفضائل في النفس وتتأصّل
فمن لا يشعر بتضادّ ومشقّة في القسم الادنى من
خاطره لهُ ان يتيقّن انهُ قد بلغ ملكة الفضيلة
وبمقدار ما يرى من السهولة في مداومة افعالها
يكون قياس كمال الملكة المتكوّنة * ولكن مع
ذلك لا تظنّ في نفسك انك قد بلغت درجة
سامية من القداسة ، وانك قد ظفرت باماراتك
ظفراً كلّياً من اجل انك منذ زمان مديد وبعد
حرب مستطيلة قد حصلت على هذه الحال
وهي عدم الاحساس بمقاومتها : بل يجب ان تعـ

ته . قد يوجد في هذا طغيان ابليس ومكر الطبيعة
التي تستتر الى زمن * ومن هذا يتفق اننا بكبرياء
سرية خفية نحسب ما هو رذيلة بالحقيقة انه
فضيلة * ومن جهة اخرى اذا تأملت في درجة
الكمال الذي يدعوك الله اليها تجد نفسك بعيداً
عنها بعداً عظيماً . مهما كنت قد اجتهدت في
البلوغ اليها * فعليك بمداومة رياضات الاعتيادية
كل يوم كانك اليوم ابتدات ان تعملها : ولا
تدع نشاطك يفتر اصلاً : وتذكر ان الاجتهاد
في النمو الروحي هو افضل جداً من الفحص المفرط
عن حقيقة وجوده فيك * لان الفاحص القلوب
الكلي يكشف هذا السر لبعض . ويخفيه عن
بعض . حسبما يراهم قابلين ليتضعوا من قبل ذلك
او يفتخروا * بهذا التدبير يزيل الله الصالح الحكيم

عن الضعفاء بسبب الخطيّة، ويقدّم للآخرين
واسطة للنمو في الفضيلة * فمن لا يدري بنم
الروحي، لا يجوز له ان يترك رياضات عبادته
لانّهُ سيدري بهِ حينما يريد الله ان يريدهِ ذلك
لخيرهِ ونفعهِ الاعظم *

* الفصل الحادي والاربعون *

في انّه لا يجوز ان نتمنّى بزيادة ان نخرج من المكاره التي
نحتملها بالصبر

فان حصلت في حال شدّة فاحتملها بالصبر
مهما كانت، واحذر من ان تصغي الى الشيطان
والى حبّ ذاتك، اللذين يحرّكان في قلبك اشوا
حارّةً للنجاة منها * لانّه من عدم صبرك في مثل
هذه الحال يحدث لك شرّان عظيمان : اوّلهما

حوانك وان لم تفقد حينئذٍ ملكة الصبر بالكلية ،
تكون بذلك مستعدًّا للسقط في الرذيلة المضادّة
لها * وثانيهما هو ان صبرك يكون وقتئذٍ ناقصاً ، وانك
لا تجازى الا كحسب الزمن الذي فيه صبرت ،
مع انك لو لم تشتهِ علاجًا ، بل خضعت لارادة
الله خضوعًا كليًا ، لجازاك الله كانك صبرت على
شدّة مستطيلة ، ولو انها ما دامت الّا ربع ساعة *
فاتّخذ اذاً هذا قياسًا عامًّا وقاعدة مطلقة : وذلك
ان لا تريد ان تفعل في كلّ امر سوى ما يريده الله ،
وان تتّجه الى ذلك كلّ اشواقك : لكون هذه هي
الغاية الوحيدة التي ينبغي ان تتّجه اشواقك اليها ،
وهكذا تحصل اشواقك كلّها عادلة مقدّسة *
واياما شيء عرض لك ، فاستمر معه على حال الهدوّ
والسرور ايضًا : لانه قد تحقّق انه لا يحدث شيء

الاّ بتدبير الله فان كنت لا تهوى سوى ما يريد
تعالى ، تملك كلّ ما ترغبهُ ، لانّهُ حينئذٍ لا يحدث
شيءٌ الاّ كحسب ارادتك * وقولي هذا لا يلاحظ
خطايا القريب او خطاياك ، حيث انّهُ تعالى
يبغض هذه ويشناها : بل انّما يلاحظ كلّ نوع من
الشدائد والمصائب ، سواءٌ كان امتحاناً لفضيلتك
ام قصاصاً عن خطاياك : مع انّهُ يمكن ان تكون
نادماً عليها ندامة بليغة ، بتالّم وتوجّع شديد
حتّى تكاد تموت من افراطهِ * وذلك لانّ مثل
هذا الصليب قد اعتاد الله ان يشرّف بهِ احد
اصدقائهِ * فان طلبت علاجاً لشدّتك
واستعملت لذلك وسائط اعتياديّة ، ولم تفدك
شيئاً : فحينئذٍ ينبغي ان تحتمل بالصبر الداء الذي
لم تجد لهُ دواءً * وهذه الوسائط التي هي جيّدة

ذاتها ، ويريد الله ان تستعملها في حين الضرورة ،
لا ينبغي لك ان تستعملها بحركة محبة ذاتك ، ولا
بافراط الشوق الى النجاة من شدتك : بل لهذا
السبب فقط ، وهو ان الله هكذا يريد ❊

الفصل الثاني والاربعون

في صيانة انفسنا من حيل الشيطان عندما يحثنا على عبادات منحرفة

اعلم ان المحتال اخزاه الله اذا رآنا سالكين في طريق السماء بخطوات قوية ، وان كل اشواقنا متجهة الى الله ، لا يستطيع ان يجتذبنا الى الشر بحيل كثيفة : ولذلك يستحيل الى صورة ملاك النور ، ويشرع بان يحركنا الى الكمال ويغرونا

بير • الى ان يصيّرنا ان نتوق اليه بغير افراز
ولا يدعنا ان نلاحظ ضعفنا ✻ ولكنّه يقدّم لن
افكاراً خشوعيّة • ويورد لنا مضامين الهيّة ماخوذ
من الاسفار المقدّسة : ويرينا لاقتدائنا أعظ
القدّيسين ✻ وقصده بذلك ان يسوقنا بنشاط غي
منتظم خارجاً عن حدود الصواب : فنتورّط في
هاوية مهلكة ✻ فيعرّضنا مثلاً على تقشّفات مفرط
حتّى اذا فعلنا ذلك نظنّ بانفسنا انّنا عملنا عم
عظيماً فنفتخر به • وهذه شائبة تخصّ النسآء اكثر
ممّا تخصّ الرجال : او اذا سقطنا تحت حمل هذ
التقشّفات المتجاوزة الحدّ الفائقة قوّتنا • نعو
عاجزين عن ان نعمل اعمال الصلاح : او اذا خارت
قوّتنا • وعجزنا عن احتمال اتعاب السيرة التقشّفة
نضجر رويداً رويداً من رياضاتنا الروحيّة • ونشما

من العمل بالفضيلة • ونتوق الى لذّات الدنيا وترفهاتها توقًا لم يكن لنا مثله قبلاً * فيا ما اكثر الذين هلكوا بمثل هذه الشؤون من قبل المجاسرة التي اعمتهم وصيّرتهم ان يرتاحوا الى اتعاب السيرة القشفة ارتياحًا مذمومًا : فسقطوا في الفخ الذي اعدّوهُ هم لانفسهم • وصاروا ملعبًا للشيطان وضحكةً لهُ *

ولو اعتبروا انّ هذه الرياضات القشفة لابدّ لها من نظام • ومن ملاحظة ما هو الاصوب والانسب لحال كلّ واحد واستعداده لنجوا من السقطة في الفخّ المذكور * لانهُ من المحال ان يستطيع كلّ واحد ان يعمل كلّ ما عملهُ القدّيسون من التقشّفات : الّا انّ الجميع يستطيعون ان يقتدوا بهم في اشيآء كثيرة * لانّهم يقدرون ان يرتاحوا

الى الكمال نظيرهم باشواق ملتهبة فعّالة . وان
يشتركوا في الاكاليل المجديّة التي نالها جنود السيد
المسيح الحقيقيّون في الحروب الروحيّة : ويستطيعون
ايضاً ان يحتقروا الدنيا وانفسهم كما احتقر اولئك
وان يحبّوا الانفراد والخلوة والصمت: وفي طاقتهم
ان يكونوا متّضعين نظيرهم . محبّين كلّ انسان
صابرين على الاهانات . محسنين الى الذين
يظلمونهم : ويقدرون مع القديسين ان يحيدو
عن ادنى ما يكون من الهفوات * ولعمري انّ
هذه الاشيآء هي اكثر قبولاً عند الله وفضلاً من
جميع التقشّفات الجسميّة * ويجب ان نعتبر
ايضاً هذا الامر : وهو انّهُ في الابتدآء يحسن بنا
الاعتدال في افعال التوبة الخارجيّة . لكي يمكننا
ان نزيد عليها في حين الضرورة . ولا نكون عاجزين

عنها بالكلّيّة. لسبب انّنا افرطنا في عملها ابتداءً *
وانّما اقول لك هذا الظنّي فيك انّك بعيدٌ من غلط
بعض من الغليظي الراي، والكثيفي التمييز،
الذين يدّعون بانّهم روحيّون: الا انهم من محبّة
ذواتهم منخدعون: وهم يبذلون كلّ جهدهم وجدّهم
في حفظ عافيتهم • ويخافون من ان يلهوا ولو
بادنى شيء * واكثر افكارهم واقوالهم تلاحظ ما
يختصّ حفظ صحّة مزاجهم • ويتدقّقون في تمييز
الاطعمة تدقيقًا يزيدهم ضعفًا، الّا انهم غالبًا يتناولون
ما يستلذّ به ذوقهم على ما يناسب معدتهم • ومع
هذا فيقولون انّهم لا يقصدون شيئًا سوى ان تكون
لهم قوّة لخدمة الله * الآن هذه حجّة تحتجب بها
شهوتهم الشراهيّة: وامّا قصدهم الحقيقي فهو ان
يوافقوا عدوّين غير قابلي الاتفاق: اعني بهما

الروح والجسد * ولعمري انّ هذا ينتهي الى اتلاف
كليهما : لانهم يخسرون العافية والعبادة معًا : ومن
ثمّ تكون العيشة المنزّهة عن التنعّم والاحتراس
المفرط على حفظ صحّة المزاج هي العيشة السهلة
الامينة * الّا انّ هذا الامر يقتضي احتراسًا . اي
انّه ينبغي ان نلاحظ اختلاف المزاج : لانه من
حيث ليس هو في الجميع على حدّ سوى . لا يقدر
كلّ انسان ان يحتمل الاتعاب على حدّ متساوٍ
ويحتاج كلّ واحد ايضًا الى افراز وفطنة لحفظ
الاعتدال في الرياضات الخارجة لا بل في الرياضات
الباطنة والروحيّة ايضًا . كما اوردنا ذلك بما تقدّم
حيث اوضحنا الواسطة التي نرتقي بها الى
اسمى الفضائل *

* الفصل الثالث والاربعون *

في انّ ميلنا المفرط يحركنا الى الظنّ الرديّ في القريب وفي مقاومة ذلك

انّهُ من ظنّنا الحسن في انفسنا تتولد فينا رذيلة اخرى مضرّة جدًّا: وهي الشك الباطل الذي يصيّرنا ان نظن في القريب ظنون الازدراء والاحتقار. ونجعل غيرنا ايضًا ان يظنّوا فيه مثلنا * فكما انّ الكبرياء تلد هذه الرذيلة. هكذا هي ايضًا تربّيها وتنميها: وبمقدار ازدياد هذه الشاقية تزداد فينا الجسارة والعجرفة. ونحصل على اعظم خطر من طغيان المحال * لانهُ بمقدار ما ينقص فينا حسن ظنّنا بالقريب. يزداد فينا اعتبارنا واستعظامنا لنفوسنا: وذلك لاعتقادنا بانفسنا انّنا ناجون

من الزلّات والعيوب التي ننسبها اليه ❊ فا
وجد الشيطان فينا هذا الاستعداد الرديّ يستعمل
كل حيلة ليجعلنا ان نرقب على الدوام عيوب
غيرنا، ويصوّرها لنا اعظم ممّا هي بذاتها، ولا يبرح
مجتهدًا في ان يضع بازائنا في كلّ دقيقة شائب
خفيفة قد رأيناها في اخوتنا، حينما لا يقدر ان يري
فيهم ما هو اعظم منها ❊ فاذ كان اخزاه الله يفرغ كل
جهده، ويستعمل كلّ حيلة في مضرّتنا، فلنبذلن
نحن ايضًا كلّ جهودنا في كشف حيله والفرار
منها ❊ واذا ارانا في قريبنا رذيلة من الرذائل
فلنرذلن هذا الفكر حالاً: واذا حرّكنا الى ظنّ رديّ
فلا نصغين لوسوسته الخبيثة، بل لنذكرنّ انه
ليس لنا السلطان الواجب لهذا الحكم، وانّ
لو اتخذنا هذا السلطان لما امكنا ان نعلم بيقين

أحكمنا بالعدل ام لا: لكون عقولنا مبرقعة باهوائنا ويسترطبعًا بلاحظة افعال القريب وتوبيب سيرته * واما ان رمنا ان نداوي هذا الداء مداواة موثرة فاعلة، فلنشغلن عقولنا بلاحظة شقاتنا: فنجد في داخلنا اشيآء كثيرة ناقصة تصدّنا عن دينونة الناس وملامتهم * ثم انّنا بتفرّسنا في نقائصنا تشفى عيوننا من خيانة ما، منها تنتج الظنون الباطلة * على ان الذي دون حجة كافية يحكم على اخيه انه متعرقل برذيلة من الرذائل، له سبب كافٍ لان يظنّ بنفسه انه هو ايضًا متعرقل بها: لانّه من عادة الرجل الشرير ان يظنّ في القريب انه نظيره * فاذا رايتنا انفسنا منصبّة الى دينونة غيرنا ولومهم، فلنلم انفسنا باطنًا قائلين: ما بالك ايها الاعمى الشقي تتجاسر على ان تدين افعال

قريبك ، وهبْ انك انت نفسك متّصف بعيو
وباعظم منها ❊ فاذا ردّ بنا اسلحتنا هكذا الى انفس
لانجرح بها القريب بل نشفي بها جرحاتنا ❊

وان كانت الزلّة التي نلومها حقيقيّة واضحة
فلنعذرنّ صاحبها بروح الرحمة : ولنعتقدنّ ا
يوجد فيه فضائل خفيّة قد كانت زالت وبادت
لولم يسمح الله بسقوطه بهذه الزلّة: وانّ العار الذي
شمله من سببه يزيله اتضاعًا : وانه بسقوطه
هذا يكسب اكثر ممّا خسر ❊ وان كانت الخطيـ
هي مشتهرة ، ومع ذلك هي باهظة وثقيلة ، وكان
فاعلها مصرًّا عليها بعناد غير قابل التوبة ، فلنرتفع
بالروح الى السمآء ولنلتجِ الى احكام الله السرّيّة
ولنذكرنّ انّ اناسًا كثيرين بعد الاستمرار على
الخطيّة زمانا طويلًا صاروا قدّيسين معظّمين

وبعكس ذلك اناسٌ غيرهم قد كان يُظَنّ بهم انهم متساءون في الفضيلة . تورّطوا في لجة الآثام الفظيعة * وهذه الاعتبارات تصيّر كل واحد ان يفهم ويتيقن انهُ حاصل على الخطر نظير غيره على حد سوى . وانهُ اذا شعر بميل الى حسن الظن بالقريب . فيكون قد حاز ذلك من الروح القدس * وبخلاف ذلك ان سبب ظنونهِ الباطلة واشمئزازهِ من القريب وازدرائهِ بهِ هو خبثهُ الذاتي ووسوسة المحّال * فان فحصنا عن عيوب غيرنا بروح التفتيش المعروف . يجب ان لا ندع قلبنا يسترسل قبل ان يكون محي كل شيء من بالنا *

* الفصل الرابع والاربعون *

في الصلوة

انّنا قد اوضحنا بما تقدّم انّ اليأس من ذوا
والاتّكال على الله وحسن استعمال قوانا ح
الاسلحة الضروريّة في الحروب الروحيّة * ولا
ينبغي لنا ان نتكلّم عن الصلوة التي هي السلا
الضروري اكثر من جميع الاسلحة المتقدّم ذكره
اذ انّنا بها نحوز من الله هذه الفضائل عينها. وليس
هذه فقط . بل جميع الخيرات التي نفتقر الي
ايضاً * لانّ الصلوة هي القناة التي تجري منـ
كلّ النعم التي تاتينا من فوق . بل هي التي تجع
الله نفسه ياتي لمعونتنا . وتنصر ايدينا الضعيـ
على اقوى اعدائنا * فلكي تحسن ايّها العا

تقان هذه الفضيلة اعني بها الصلوة . وتستعمل
بك الواسطة جيدًا . فاصغِ لما اوردهُ لك شارحًا *

اقول انهُ ينبغي اولًا ان نشتهي اشتهاءً
حقيقيًا ان نعبد الله بنشاط وعلى الوجه الافضل
قبولًا لديهِ * ويضطرم فينا هذا الشوق اذا اعتبرنا
ثلاثة اشيآء بتانٍ * فتأمل اولًا . ان الله يستحق
على نوعٍ غير متناهٍ ان يُعبد ويُكرم لجلال عزّ
كونهِ الغير المحدود كمالهُ : اي لجوده وبهائهِ وحكمتهِ
وقدرتهِ وبقية كمالاتهِ الغير الموصوفة * اعتبر
ثانيًا . ان هذا الاله المتجسد لم يبرح مهتمًا ومجتهدًا
في خلاصنا مدة ثلاث وثلاثين سنة . وانهُ قد
داوى بيديهِ جروح خطايانا . لا بسكب الخمر
والزيت عليها . بل بدمهِ الزكي وجسدهِ النقي
الممزق بالسياط والاشواك والمسامير * افتكر ثالثًا

انه يلزمنا جدًّا جدًّا ان نحفظ شريعته الالهيّة
لان هذه هي الواسطة الوحيدة التي بها نستطيع
ان ننتصر على انفسنا وعلى الشيطان ونكون
ابناء الله *

ينبغي ثانيًا ان نؤمن ايمانًا حيًّا ونرجو رجاء
وطيدًا ان الله لا يمسك عنا العون الضروري لحفظ
شريعته ولخلاص النفس * لان النفس المتصلة
بهذا الاتكال تشبه اناء مقدسًا تفيض فيه الرحمة
الالهيّة كنوز النعمة : وكلما كان الاناء اكثر اتساعًا
تكون البركات السماويّة المجتذبة بالصلاة
افضل وفورًا * وكيف يمكن ان الاله الذي
لا يعسر عليه شيء ، ومن الممتنع ان يغش احدًا
لا يهب لنا مواهبه : وهو الذي يرشدنا في ان
نطلبها ويامرنا بذلك : حتى انه يعدنا بروح

القدوس اذا طلبناه بحسن الايمان والثبات *

ثالثًا يجب علينا ان نصلّي بهذه النيّة فقط .

وهي ان نفعل ما يريده الله . لا ما نريده نحن *

فلنصلّ لمجرّد هذا السبب . وهو انّ الله هكذا

اوصى : ولا نشتهينّ ان يستجيب لنا الّا بمقدار

ما يشآء هو : ولا نقصد سوى ان نطابق ارادتنا

مع ارادته تعالى . لا ان نوافق ارادته الالهية مع

ارادتنا * والسبب لذلك هو انّ المحبة الذاتيّة

افسدت ارادتنا . فلا نعرف غالبًا ما نطلب :

امّا ارادة الله فلا يمكن ان تزلّ لكونها مقدسة

بالضرورة الجوهريّة : فينبغي ان تكون هي قياسًا

لكلّ ارادة صالحة . ومن ينحرف عنها يضلّ *

فلا نطلبنّ من الله سوى ما يسرّ به : واذا تقنا الى

ما لا نعلم هل هو مرضيّ لله وموافق لارادته . فلا

نطلبه الا بكمال الخضوع لرسم عنايته الالهية
واما الاشياء التي قد تأكد عندنا انه تعالى
يسر بها كالنعم والفضائل : فيجب علينا ا
نطلبها لكي نرضي بها عزته ونعبده كما ينبغي
افضل من ان نطلبها بحجة اخرى . ولو كانت
روحية حميدة ❊

رابعًا وان رمنا ان يقبل الله صلواتنا فيجب
ان تكون اعمالنا مطابقة لطلباتنا . ويلزمنا ا
نجتهد قبل الصلوة وبعدها في ان نكون اهـ
للنعمة المرغوبة ❊ لانه ينبغي لهاتين الرياضتين
اعني رياضة الصلوة ورياضة قهر النفس ا
تترافقا وتصطحبا على الدوام : لان الذي
يطلب من الله فضيلة ولا يهتم بالعمل بها فهو
مجرب لله ❊

خامسًا وقبل ان نطلب من الله شيئا يجب ان نقدّم له الشكر الواجب باتضاع جزيل على كلّ ما احسن به الينا من الخيرات قائلين له هكذا: يا الهي الذي خلقني وافتداني برحمته وانقذني مرّات كثيرة من رجز اعدائي . هلمّ الآن لمعونتي . ولا تذكر عدم وفائي القديم . ولا تردّ طلبتي * واذا طلبنا فضيلة خصوصيّة فجرّبنا برذيلة مضادّة لها . فلنشكره تعالى على انّه قدّم لنا فرصةً للعمل بها : لانّ مثل هذا الاحسان ليس هو باحسان يسير *

سادسًا ومن حيث انّ الصلوة تستمدّ كلّ قوّتها من جود الله ومن افضال سيّدنا يسوع المسيح والاسم المقدّسة . ومن وعده لنا بالاجابة . فلنختم جميع صلواتنا بوجه من الوجوه الآتي ذكرها

قائلين: اسالك يا ربّ بحقّ رحمتك الغير المتناه
ان تمنّ عليّ بهذا الاحسان ، وان تمنحني
الطلبة من جودك الالهيّ بحقّ ابنك الوحيد
اذكر يا ربّ مواعيدك واستجب صلاتي * ويفيد
احيانًا ان تطلب مرغوبك من الله بشفاع
العذرآء والقدّيسين : لانّ لهم في السمآء سلطا
عظيمًا ، ويسرّ الله بتكريمهم كما تمجّد بهم في ايّام حياته
على الارض *

سابعًا وينبغي أن نواظب على الصلوة : لا
القادر على كلّ شيء لا يقدر ان يرذل مواظب
القلب المتضرع على الصلوة * لانّه ان كانت
الحاجة الارملة الانجيليّة ظفرت بقساوة قلب
حاكم قاسٍ ، فكيف لا يحنو على طلباتنا الآ
الذي هو الجود بالذات * فلئن كان تعالى ق

ابطا في الاستجابة ، حتى لئن استبان صارفًا وجهه عنا ، فلا يجب ان يضعف اتكالنا على جوده الغير المتناهي : ولا يجب ان نمل ونرتد عن طلبتنا * لانه عز اسمه حاوٍ بالنوع الاكمل ما نحتاج اليه : لكي يريد ويقدر ان يحسن الينا * فان كنا نحن لا يصدر نقص من قبلنا ، فلا محالة اننا ننال ما نطلبه ، او ننال ما هو افضل منه ، وربما ننال الامرين كليهما * ثم اعتبر انه عندما نجد انفسنا في محل الصلوة مخذولين مطرودين ، ينبغي ان نحتقر انفسنا ونبغضها * الا انه حينئذ اي حينما نلاحظ شقاءنا هذا ، يجب ان نلاحظ على الدوام الرحمة الالهية : ولا يجوز ان يضعف اتكالنا عليها ، لا بل يجب ان يزداد ايضًا : لنعتقد ان هذا يزيدنا اجرًا * ثم انه يجب علينا

ان لا نبرح شاكرين الله ، مباركين حكمتهُ وجود
وخيريّتهُ على حدٍّ سوى ، سواءٌ استجاب
طلبتنا ام ردّها: وكيفما اتّفق الامر ، فلنستمر
على حال الهدو ، وخاضعين للعناية الالهيّة في
كلّ شيءٍ ❊

❊ الفصل الخامس والاربعون ❊

في حقيقة الصلوة العقلية

اعلم انّ الصلوة العقليّة هي ارتقاء النفس
الى الله ، وبها نطلب منهُ تعالى مصرّحًا او مضم
ما نظنّ انّهُ يعوزنا ونحتاج اليه ❊ فاوّلًا نطلب
ذلك مصرّحًا حينما ننهض نحوهُ سبحانهُ برغبة
قلب متّقد ونقول: الهي اسالك ان تنعم عليّ بهد
الاحسان اكرامًا لاسمك القدّوس ❊ او نقول

اني اعتقد يا ربّ اعتقاداً ثابتاً انك تريد ان اطلب منك هذا الاحسان . وانّ مجد اسمك يقتضي ذلك: فاقضِ فيّ مسرّتك * واذا ضايقتنا اعداؤنا جدًّا . يسوغ لنا ان نصلّي ونقول: اسرع يا ربّ الى معونتي . لئلّا تفترسني اعدآئي * او ان نقول: الاهي وملجاي الوحيد . وعنصر كلّ قوّتي . اعنّي عاجلاً لئلّا ازلّ واخطى * واذا طالت التجربة . فاستمرّ على هذه الطلبات . وقاوم اعداءك بشجاعة * ومتى خفت شدّة المعركة . فالتفت الى السيّد المسيح . واطلب منه ان ينظر من احدى الجهات قوّة عدوّك المحارب . ومن الجهة الاخرى عظم ضعفك * ثمّ قل له: هاهوذا يا ربّ خليقتك وعمل يديك : ها هوذا الانسان الذي افتديته بدمك الاقدس : فانظر ايّها المخلّص

كيف يجتهد الشيطان في اختطافه منك مهلكه
فاليك يا ربّ التجي ، وعليك اضع كلّ رجائي
لانك انت هو الجود الغير المتناهي والقدرة الضابط
الكل * ارحمني يا الهي انا الانسان الكثير
النظر باختياره : لانّي بدون عون نعمتك لا اقد
ان انجو من عدوّي : فاعِنّي يا رجائي الوحي
وكلّ قوّة نفسي *

ثانيًا نطلب نعم الله مضمرًا ، وذلك حين
نريه ضرورتنا ، ولا ننطق بشيءٍ آخر * فاذا امتثلت
تجاه العزّة الالهيّة ، فاعترف انك من تلقاء ذاتك
عاجز عن الفرار من الشرّ وعن فعل الخير
وليلتهب قلبك بحرقة الشوق لخدمته تعالى
وحينئذٍ اشخص نظرك العقلي فيه ، وانتظر عون
بحسن الاتكال والتواضع * لانّ الاعتراف بضعفك

والشوق الى خدمة الله، وفعل الايمان على الوجه المذكور، هي صلوة مضمرة، ننال بها من الله كل ما نرغبه ٭ وتزداد قوتها بمقدار ازدياد تواضع الاعتراف وحرقة الشوق والايمان ٭ وتوجد صلوة اخرى تشبه هذه، وهي نظرة بسيطة ترى بها النفس ضعفها تجاه الله: وهذا النظر ليس هو شيئًا سوى ذكر ما قد طلبناه قبلاً، ونطلبه ايضًا بغير تلفظ وبغير ايراد شيءٍ ما ٭ فلنجتهدنَّ في استعمال هذه الصلوة في كل اتفاق: لاننا سنتيقن بالتجربة انها سهلة وكاملة ومفيدة جدًا ٭

* الفصل السادس والاربعون *

في استعمال الصلوة العقلية

من اراد ان يصرف في الصلوة زمانًا ، كنصف
ساعة او ساعة كاملة او اكثر من ذلك ، يجب
عليهِ ان يقرنها بتامّل جزءٍ من حياة السيّد المسيح
وآلامهِ المقدّسة: وان يوجّه كل اعتباراته في هذ
المادّة الى الفضيلة التي يتمنّاها * فان كنت محتاج
الى الصبر ، فاتّخذ جلد ابن الله مادّة لتاملك
اِعتبر اوّلًا أنّه بعد ان حُتم عليهِ بهذا العقاب
ساقه الجند ، وسحبوهُ بضوضاءٍ وضجيج عظيم ، وافترا
واحتقار بليغ * ثمّ اعتبر ثانيًا ، انّهُ بعد ان نزع عنه
الجلّادون القساة اثوابهُ ، ظهر عريانًا امام الجميع
اِعتبر ثالثًا ، انهم ربطوا يديهِ الطاهرتين على

العمود ربطًا شديدًا * واعتبر رابعًا . ان جسد الطاهر مزّق بالسياط . وانسكب دمه الالهي على الارض من كل اجزاء جسده * واعتبر خامسًا ان الضربات المترادفة على كل جزءٍ من اجزاء جسده كانت تزيد اوجاعه . وتجدد جروحه * وفيما انت تتامل في هذا وما يضاهيه مما يحرضك على حب الصبر . استعمل اولاً حواسك الباطنة . وصيّرها تحس على قدر ما يمكنك بالاوجاع التي كابدها مخلّصك في كل اجزاء جسده : ثم تامل في تلك التي قاساها في نفسه * واجتهد في ان تفهم جزيل صبره عليها . واستعداد قلبه ورغبته لان يحتمل اكثر من ذلك ايضًا اكرامًا لابيه السماوي ولخيرك * ثم بعد اعتبارك ما ذكرناه . لاحظه ملطخًا بكلّيته بدمه المقدس . واعتقد ان الشيء الذي

يرغبه اشدّ رغبة هو ان تقبل شدّتك وتحتما
بصبر: وانّهُ يتضرّع من اجلك عند ابيه . طا
منهُ ان يعينك لتحتمل هذه الشدّة وكلّ شدّة عتي
ان تصيبك فيما بعد ايضًا * ثمّ ثبّت بافعال جدي
عزمك على احتمال كلّ شيءٍ بصبر . وار
الحاظ روحك الى السمآء شاكرًا ابا الراحم على
انّهُ ارسل ابنهُ الوحيد . لكي يحتمل هذه الاوجا
المولمة . ويكون شفيعًا لك * واسألهُ ان يعطي
فضيلة الصبر بحقّ ابنه الوحيد الحبيب *

* الفصل السابع والاربعون *

في نوع آخر من انواع الصلوة العقليّة

ويسوغ لك ان تصلّي متاملًا على وجه
آخر * وذلك ان تكون بعد ما تاملت جيّدًا: في

اوجاع السيد المسيح والسرور الذي به كان يحتمل
تلك الاوجاع . تنتقل من اعتبارك آلامهُ وصبره
الى اعتبار شيئين آخرين : وهما حقوقهُ الغير المتناهية .
وعظم السرور والمجد اللذان حصلا للآب الازلي
من قبل اطاعة ابنهِ لهُ حتى الموت موت
الصليب * فتقدّم انت هذين الشيئين لعزّته
الالهية كحجّتين جزيلتي التأثير والفاعلية لنوال
ما ترغبهُ منهُ * ويسوغ لك ان تعمل هذه الرياضة
في جميع اسرار آلام ابن الله . لا بل في جميع افعاله
الباطنة والخارجة التي فعلها في كل سرّ ايضاً *

* الفصل الثامن والاربعون *

في نوع آخر من الصلوة بشفاعة سيدتنا مريم العذرآء والدة الله

ماعدا هذه انواع الصلوة العقلية التي تكلّم
عنها، يوجد نوع آخر متّجه الى العذرآء الجليلة
وذلك بان تتصوّر اوّلاً الآب الازلي وسيّدنا يسو
المسيح ووالدته المجيدة * ثمّ تتامّل في شيئين نظ
الى الآب الازلي : اوّلهما حبّه الخصوصي من
الازل لهذه البتول النقيّة : وثانيهما عظم سموّ القداس
التي نالتها منه تعالى ، وكلّ ما عملته من الصلا
من وقت الحبل بها الى ساعة موتها * امّا في
الشيء الاول فيسوغ لك ان تصلّي الصلو
العقليّة على هذا المنوال : اي ان ترتقي او

بالروح فوق كلّ البرايا . وان تبلغ افكارك الى ما تقدّم جميع الازمنة غائصا في لجّة الازل وفي مخدع قلب الله ‡ ثمّ انظر بايّ سرور كان الله يرى في الزمن المستقبل تلك التي كان تداختارها لتكون والدةً لابنه ‡ ثمّ اطلب بحقّ سروره هذا بهذه الطاهرة ان يمنحك بقوّة تنتصر بها على اعدائك ولاسيّما على العدوّ الذي يحاربك اشدّ حرب ‡ وبعد ذلك تذكّر فضائل هذه العذراء وافعالها السامية . وقدّمها لله واحدة فواحدة او كلّها معا . واتّخذها بمنزلة جاه تنال به من الجود الالهي كل ما تحتاجه ‡ ثمّ التجئ الى السيّد المسيح . واطلب ان يذكر لك الامّ الحبيبة التي حملته في مستودعها الطاهر تسعة اشهر . وحينما ولدته . سجدت له بكمال الاحترام . معترفة بلاهوته وناسوته .

ومعلنة انه خالقها وابنها * ولما ابصرته موضوع
على مذود في اصطبل حقير، توجعت عليه بحن
اشفاق وارضعته بلبنها الزكي : واحتضنته وقبلته
مرارا كثيرة بمحبة لا نظير لها : واصابها من سبب
في زمن حياته اوجاع لا توصف * فاورد له تعالى
هذه الاشياء كلها معرضا اياه بهذه الاعتبارات
ان يستجيب صلاتك * ثم ارجع ملتفتا الى
العذراء، وقل لها : ان الله قد سبق واختارك ايتها
السيدة قبل كل الدهور، لتكوني ام الرحمة وشفيعة
الخطاة : ولذلك انا قد جعلت عليك اتكالي
الخصوصي بعد ابنك الحبيب * واذكر لها هذه
الحقيقة الوكيدة المثبتة من الآباء والمعلمين والموكدة
بمعجزات مذهلة : انه لم يلتجئ اليها احد، ولم
يدعها الى معونته الا وامدته بمعونتها ونجدتها

ثمّ اريها كلّ ما احتمله ابنها من الاتعاب والاوجاع لخلاصك . لكي تستميح لك نعمة نصيرك ان تستفيد من اتعابه، وذلك لمجده عزّ وجلّ ❊

❊ الفصل التاسع والاربعين ❊

في الالتجاء الى مريم البتول

من اراد ان يلتجئ الى الجليلة مريم البتول بطمانينة حسنة ، يجب عليه أن يروّض نفسه بهذه الاعتبارات التالية ، فاعتبر اولاً انه قد تحقق بالتجربة انّ الاناء الذي وُضع فيه مسك او بلسم يحفظ عرف ما وُضع فيه ، ولاسيّما اذا بقي فيه المسك زماناً مديداً ، او فضل منه فيه شيء ، بمقدار ما . مع انّ قوّة هذين الشيئين هي محدودة ، وهكذا قوة

النار فانّ حرارتها تحفظ عند من اصطلى عليها بعـ
ابتعاده عنها ايضاً * فان كان ذلك كذلك . فماذ
نقول عن محبّة هذه العذرآء ورحمتها . حيث انّه
حملت في مستودعها مدّة تسعة اشهر . وتحمل
الآن ايضاً في قلبها . ابن الله الوحيد الذي هو
المحبّة الغير المخلوقة التي لا حدّ لقوّتها * فان كان
من المستحيل ان لا يحمى من يدنو من نار عظيمة
انما يجب ان نعتقد باولى حجة انّ كلّ من يقترب
من العذرآء امّ الرحمة . ومن هذا القلب الملتهب
دائماً بنار المحبّة . يشعر بقوّتها بمقدار ازدياد اقترابه
منها بحسن الطمانينة والاتضاع * لانه لمن المؤكد
انّهُ ما من احد من الخلائق اضطرم بمحبّة السيّد
المسيح كمثل هذه البتول المغبوطة * والحال ان
هذا السيّد الرحمان الرحيم قد اقام والدتهُ هذ

أنّها لنا عامّة وشفيعة عند الله * فكيف لا يتعطّف
قلبها بمثل تعطّفه الالهيّ * وكيف يمكن ان تهملنا في
ضرورتنا * فلنلتجئ اليها بلا خوف * ولنستغيثنّ
بها بكمال الاتّكال في كلّ شدائدنا * لانّها ينبوع
النعم الذي لا يفرغ * ومن عادتها ان تكيل حسناتها
على حسب اتّكالنا *

الفصل الخمسون

في التوسّل بشفاعة الملائكة والقدّيسين

أنّك لكي تستحقّ معاضدة الملائكة والقدّيسين *
فها انا اقدّم لك الآن وسائط معيّنة موصلة الى
هذا الغرض * فاولًا اتّجه الى الاله الآب * واورد
له كلّ ما تقدّمه له افواج الملائكة من المدائح

التسابيح • وما اصاب القدّيسين من
الاضطهادات والعذابات على الارض حبًّا لل
واطلب منهُ بجاه كلّ ما اتوهُ لهُ من الاكرا
والامانة والمحبّة، ان يمنحك ما تفتقر اليه ❊ ثا
ادعُ هؤلآء الارواح السماويّة المجيدين الذين يشتهو
جدًّا ان تضاهيهم في الكمال، لا بل ان ترتف
فوقهم في المجد ايضًا ❊ فاطلب منهم ان يسعفو
في استئصال رذائلك والانتصار على اعد
خلاصك، وخصوصًا في ساعة موتك ❊ وتامّل
احيانًا باندهاش ما حازوا من السيّد المسيح من
النعم السامية، وابتهج بذلك كانك نلته بشخصك
بل افرح بانهُ تعالى منّ عليهم بآلآء ومواهب
اعظم من التي نلتها انت من كرمهِ، وتهنّأ بذلك
مبتهجًا، لانهُ تبارك اسمهُ هكذا شآء: واتّخذ لك

من ذلك حجّة لتمدحهُ وتباركهُ *

ولكي تعمل هذه الرياضات باوفر سهولة ونظام . اقسم افواج الطوباويّين على ايام الاسبوع * ففي يوم الاحد ادع طغمات الملائكة التسع : وفي يوم الاثنين ادعُ القدّيس يوحنا المعمذان : وفي يوم الثلاثاء آباء العهد القديم والانبياء : وفي يوم الاربعاء الرسل الاطهار : وفي يوم الخميس القدّيسين الشهداء : وفي يوم الجمعة القدّيسين المعترفين : وفي يوم السبت العذارى وبقية القدّيسين * واحذر جدًّا من ان تنسى ان تلتجئ الى مريم والدة الله ملكة القدّيسين الطوباويّة : والى ملاكك الحارس . والى رئيس الملائكة مار ميخائيل . والى القدّيسين الذين انت متعبّد لهم بعبادة خصوصية * وفي كل يوم

اطلب من العذراء المجيدة ومن يسوع ابنها الالهي
ومن الاب الازلي ان يهبوا لك القدّيس يوسف
خطّيب اطهر العذارى العفيف شفيعًا لك
خصوصيًّا ❊ ثمّ اتّجه اليهِ باتكال. واطلب منه
باتّضاع ان يقبلك تحت ستر كنف حمايته
المقتدر ❊ انّ الكتب مشحونة من العجائب التي
صنعها هذا القدّيس المعظّم . ومن النعم التي
وهبها لكلّ الذين التجأوا اليهِ في ضروريّاتهم
الروحيّة والجسديّة . ولاسيّما حينما احتاجوا
الى نور سماوي والى مرشد غير منظور يرشدهم في
الصلوة ❊ لانّهُ ان كان الله يكلّل القدّيسين بمجد
عظيم لانّهم اكرموهُ وعبدوهُ على الارض: فترى ما
يكون مجد القدّيس يوسف . وكيف لا يقبل ال
طلبات من قد اكرمهُ هو تعالى نفسهُ على الارض

اكراماً سامياً حتى ان نخضع لهُ واطاعة كاطاعة الابن لابيهِ ❊

الفصل الحادي والخمسون

في تامّل آلام سيّدنا يسوع المسيح

ان الذي قد تقدّمت واوردتهُ في كيفيّة عمل الصلوة وتامّل الام السيّد المسيح لا يلاحظ سوى طلب نعمة الهيئة ❊ والآن اوضح لك كيف تجتني منهُ اشواقاً ليّنة مختلفة ❊ فاقول . انك ان اخترت صلب ابن الله مادّةً لتامّلك ، فلك ان تستعمل من جملة الاعتبارات الملائمة هذا السرّ هذه الاعتبارات الآتي ايرادها ❊ فاعتبر اولاً انّهُ لمّا وصل يسوع الى جبل الجلجلة طفق الجنود يعرّونهُ بعزمٍ قاسٍ اغتصابيّ : فمزّقوا بذلك لحمهُ

المجرّح بالسياط . وسلخوا جلدهُ الملتصق بأثوا
بواسطة الدم الذي خرج من جروحهِ * ادنيا
ثانيًا أنّهم رفعوا عن هامتهِ تعالى أكليل الشوك
ثمّ وضعوهُ عليه ثانيةً . فكثرت بذلك جراحهُ
اعتبر ثالثًا أنّهم بضرب المطارق سمّروهُ على
عود الصليب بمسامير جافية ضخمة : ولأنّ يديـ
لم تصلا الى الموضع الذي كانوا يريدون ان
يسمّروهما عليه . شرعوا يجتذبونهما بكلّ عزمهم
فتخلّعت كلّ عظامهِ * وحينئذ تمّ كلام النبي
احصوا جميع عظامي * اعتبر رابعًا انّهم لمّا رفعو
الصليب وهو مسمّر عليه . ازدادت جراحهُ بثقل
جسدهِ واشتدّت اوجاعهُ *

فان اردت ان تحثّ نفسك بهذه الاعتبارات
او باخرى تشبهها على المحبّة لله . فاجتهد

مان تبلغ بتاملك الى نوع سامٍ من معرفة جود الله الذي احب ان يكابد حبا الك من الاوجاع الغير المدركة * لانهُ بمقدار ما تزداد فيك معرفة محبتهِ لك، تزداد محبتك له تعالى * وبعد ان تتأكد عندك افراط حبهِ لك فبلا شك انك تفعل افعال الندامة على ما صدر منك من الخيانة والخيانة مرات كثيرة مع من قدم ذاتهُ ذبيحة وفاء عن خطاياك * ثم افعل افعال الرجاء عند اعتبارك ان هذا الاله العظيم لم يقصد على الصليب شيئا سوى ابادة الخطية وانقاذ نفسك من اسر الشيطان، والوفاء عن ذنوبك، ومصالحتك مع ابيه الازلي، وان يصيّرك ان تلتجي اليه في كل شدائدك * ثم بعد تاملك في الامه، تامل في منافعها متذكرا انهُ بموته محا خطايا البشر

يسكّن غضب الديّان العادل . واخزى قوّا
الجحيم . وانتصر على الموت نفسه : فيتحوّل حزن
الى فرح * ويزداد فرحك هذا بذكر عظم الف
الذي سبّبه فداء العالم للثلاثة الاقانيم الالهي
وللعذراء المجيدة . وللكنيسة المحاربة . وللكنيس
المنتصرة *

وان اردت ان تحرّك قلبك الى ندامة شديدة
فلا تقصدنّ في تاملك سوى ان تتاكّد انّ السي
المسيح لم يحتمل هذه الاوجاع القاسية الّا لكي
يجعلك تبغض نفسك وامارتك المنحرفة . ولاس
الهوى الذي يورّطك في اعظم الذنوب . ويبغ
الله اشدّ بغض * ثمّ ان اردت ان تميل بنفس
الى حركات التعجّب . فاعتبر انّه لا شيء اعجب
من هذا . وهو انّ خالق كلّ البرايا وعنصر الح

يت بأيدي خلائقه : وانّ العزّة الغير المحدود
سوها تحصل بنوعٍ ما على حال التلاشي : وانّ
العدل بته يدان . والبهآء بالذات يفسد بدنس
البصاق . وموضع محبّة الاب الازلي يُصيَّر موضوع
غضب الخطاة : والنور الغير المدرك يسلَّم لوجوه
قوات الظلام . والمجد والسرور الغير المخلوق يُدفن
في الاهانة والشقآء * ولكي تحرّك نفسك الى
الحنو والاشفاق على اوجاع مخلصك والاهك .
تأمّل في اوجاعه التي كابدها باطنًا . وقد كانت
اعظم من الخارجة بما لا يُحدّ * فان كنت تتحيّر
عند اعتبارك تلك الاوجاع الخارجة . فكيف
لا يتمزّق قلبك توجّعًا واشفاقًا من قبل هذه الباطنة *
انّ نفس السيّد المسيح كانت ترى جوهر الله
واضحًا . كما تراينه الآن في السمآء جليًّا : ومن

ثمّ فذانت تعلم كم يستحق هذا الجلال الاله
ان يُحَبّ ✻ وكما انها كانت محبّةً تعالى
غير متناهٍ: هكذا كانت تشتهي ان يحبّهُ جم
الخلائق ايضاً من كلّ قوّتهم ✻ فلمّا راتهُ جلّ ذكر
مهاناً في العالم كلّه في اقصى غاية بخطايا
يُحصى عددها ولا توصف عظمتها، فلا شكّ ان
تألّمت على ذلك، وحزنت حزناً يساوي محبّة
وشوقها لاكرامه ✻ ولانّ هذه المحبّة وهذا الشوق
غير مدركين. فلذلك كان من المستحيل ا
نفهم افراط اوجاع السيّد المسيح الباطنة حين
كان مصلوباً ✻

وما عدا ذلك فقد كان تعالى يحبّ جم
الناس محبّة لا تُحدّ، وهذه المحبّة كانت تسيّرهُ يحز
من قبل ما كان يفصلهم منهُ، اعني الخطية، حي

صميمًا * وقد كان يعلم انَّهُ لا يمكن ان يخطئوا من دون ان يعدموا المحبَّة والنعمة التي بها يستمرّ الصدّيقون متصلين بهِ اتّصالاً روحيًّا * والحال انّ هذا الانفصال كان لديهِ تعالى اشدّ وجعًا من انفصال عظامهِ بعضها من بعض: وليس لنا ان نتعجّب من ذلك. لانّ النفس اذ كانت روحيّة بكلّيتها وافضل كمالاً من الجسد. كانت قابلة التوجّع اكثر من الجسد * غير انّ اعظم حزن السيّد المسيح كان عليهِ بخطايا الهالكين الذين لعدم امكان رجوعهم اليهِ بالتوبة. كانوا عتيدين ان يستمرّوا منفصلين منهُ الى الابد * فعند تأمّلك في هذه الاوجاع كلّها. ينبغي ان يحزن قلبك ويتوجّع على يسوع مخلّصك * ثمّ تقدّم الى ما قدّام ايضًا. فترى انّهُ تعالى احتمل اوجاعًا

قادحة. لا من اجل الخطايا التي ارتكبتها فقط
بل من اجل التي لم ترتكبها ايضًا : حيث ان
من الموكد انهُ تكلف كل دمهِ ليُنجّيك من تلك
ويصونك من هذه * ولعمري انك لتجد على الدوا
سببًا لتشترك في اوجاع ابن الله المصلوب * ث
اعلم انهُ تعالى اصابهُ كل ما وُجد وسوف يوجد
من الشرّ في الخليقة الناطقة. اعني الاهانة والافترا
والتجارب والامراض وفقد الاموال والتشففات
الاختيارية * فهذه كلها قد تالّم من قبلها تالمًا
اشدّ من تالّم الذين اصابتهم فيما مضى. وتصيبهم فيما
بعد * لانّ هذا الاب الرحيم اللطيف كان
يعلم علمًا كاملًا كل اتعابهم. عظيمة كانت ام
خفيفة. روحيّة ام جسديّة. حتى ادنى نخس
ابرة واخف وجع رأس. ولقد كان من المحال ان

لا يتحيّع من اجلها * ومن ذا الذي يقدر ان يصف
افراط حزنه وتوجعه على اوجاع والدته الحبيبة *
لان كل ما احتمله من الاوجاع والاهانات فقد
احتملته هي ايضاً معه وبنيته * فحقاً ان توجعها لم
يكن مساوياً لاوجاع ابنها : لانه كان مفرطاً
جداً وهذا عينه كان يزيد اوجاع يسوع ويجرح
نفسه اشد جرح * ولهذا قال احد الاتقياء بجلالة
مقدسة : ان قلب يسوع المتألم يتحوّل الى جحيم
من مادة اوجاعها اختيارية . ونارها نار المحبة *
فلننظرن الآن الى سبب كل هذه الاوجاع *
فسببها ليس هو سوى خطايانا * فيكون النوع
الافضل من انواع التوجع عليها . والخيار حسن
الوفاء والتشكر لمن تألم هكذا من اجلنا . هو
الندامة على خياناتنا بحركة المحبة فقط . وبغض

الخطيّة فوق كلّ شيء ، لانّها تغيظه تعالى
ومحاربة رذائلنا على الدوام لكونها اعدآءه المبغوضة
لكي نخلع بذلك الانسان العتيق ونلبس الانسان
الجديد ، ونزيّن انفسنا بكلّ الفضائل المسيحيّة
التي عليها يتوقّف كلّ حسنها ❋

❋ الفصل الثاني والخمسون ❋

في تأمّل الصليب المقدس ، وفي الاقتدآء بسيّدنا
يسوع المسيح المتألّم

يسوغ لك ان تجتني ثمارًا مفيدة جدًّا من تأمّل
الصليب ❋ وهي اوّلًا ان تبغض خطاياك السالفة
وتعزم ايضًا على مقاومة اماراتك المنحرفة التي
اماتت مخلّصك ❋ وثانيًا ان تطلب وتنال من

بيسوع المصلوب مغفرة خطاياك . ونعمة تصيّرك ان تبغض نفسك بغضًا خلاصيًا . لكي لا تخطئ فيما بعد . لكن تحبّ وتعبد من كلّ قلبك . مكافاة عمّا احتمله حبًّا لك ومن اجلك * ثالثًا ان تجتهد اجتهادًا حقيقيًّا بلا فتور في استيصال ملكاتك الرديّة . مهما كانت خفيفة *

رابعًا ان تبذل مجهودك في ان تقتدي بفضائل هذا المخلّص الرحوم الذي مات ليفي عن خطاياك فقط . ويكون لك قدوة لسيرة مقدّسة كاملة * فها انا اقدّم لك تأمّلًا مفيدًا جدًّا لبلوغ هذا الغرض * فنفترض اوّلًا انّك من جملة فضائل السيّد المسيح قد اتّخذت صبره لتقتدي به . حينما تلمّ بك البلايا وتصيبك شدائد هذه الحيوة * فافحص بتانٍ عمّا نوردهُ الآن * فاعتبر اوّلًا ما

وثانيًا ما تفعلهُ نفس يسوع على الصليب لله : وثانيًا
ما يفعلهُ الله لنفس يسوع : وثالثًا ما تفعلهُ نفس
يسوع لذاتها ولجسدها : ورابعًا ما تفعلهُ لنا
وخامسًا ما يجب ان نفعله ليسوع ❊

فاعتبر اذًا اوّلًا بنفس يسوع المستغرقة في
حضن الله والغائصة بتامّل جوهره الغير المتناهي
والغير المدرك . ذاك الذي اشرف الفضائل بازائه
ليس هو شيئًا اصلًا ❊ ثمّ اعتبر انّها من دون
تنقيص شيءٍ من عظمتها ومجدها الجوهري تتنازل
تنازلًا شديدًا : حتّى انّها ترتضي بان تحتمل
افبح الافتراء والهوان من قبل الانسان الخسيس
والعديم الوفاء : وانّها بعد ذلك تسجد لتلك العزّة
المتعالية . وتؤدّي لها شكرًا وافرًا . وتعطي ذاتها
كلّها لخدمتها ❊

اعتبر ثانيًا ما يفعله الله لنفس يسوع . بانهُ
يريد من ابنهِ الحبيب ان يرضي بان يُلطم ويُتفل
عليهِ . ويُهان بالتجاديف . ويُمزق بالسياط
ويُكلل بالشوك . ويُسمّر على صليب حبًا لنا ٭
ثمّ لاحظ بايّما سرورٍ يراهُ مهانًا معذبًا في اقصى
غاية من الاهانة والعذاب لهذا السبب الجديد ٭
اعتبر ثالثًا انّ نفس يسوع العارفة بانّ الله
اباهُ يُسرّ بنظرهِ آلامهُ . من حيث انها تحبهُ حبًّا
بالغًا لاجل كمالاتهِ الغير المتصوّرة . ولاجل
الخيرات الغير المدركة التي وهبها لهُ . تصيّرها
هذه المحبة ان تخضع لارادته في كلّ شيء بسرورٍ
وابتهاجٍ حتى انهُ لا يوجد لسان يقدر ان يصف
حرارة هذه النفس المقدّسة وشوقها الى الصليب ٭
انها لقد كانت ترغب ابواعًا اخر جديدة من

التألم: ولكن لأنها لم تجد ما ترغبهُ . فكانت تسلّم ذاتها وجسدها النقي لرجز اشدّ الناس والشياطين قساوةً *

رابعاً لاحظ يسوع حبيبك وانظر انهُ في حين شدّة عذاباته يلتفت اليك ويخاطبك بمحبة عظيمة قائلاً: ها هوذا الحال التي حصلتُ عليها من سبب شرّ ارادتك التي لم تغتصب ذاتها لتخضع لارادتي * فانظر افراط اوجاعي . وعظم سروري بها . لهذا السبب فقط : وهو لكي اعلّمك الصبر * انّي اسألك بحقّ اوجاعي هذه كلها ان تقبل الصليب الذي قدمتهُ لك . وتحملهُ بشجاعة * سلّم حسن سمعتك للنميمة وجسدك لغضب مضطهديك الذين استعملهم انا لامتحانك : ولو كانوا حقيرين وقساة بهلينات

تعلم كم تسر نفسي بخضوعك في هذا الامر وصبرك ، الا انه لا يمكن ان تشك بذلك * وها انت ناظر الجرحات التي جُرحتُ بها لكي اربح لك بثمن دمي الفضائل التي اريد ان ازين بها نفسك العزيزة عليّ افضل من حياتي * فان كنتُ انا قد احببتُ ان اكابد هذه كلها حباً لك ، فكيف لا ترتضي انت بان تحتمل وجعاً خفيفاً لكي تخفف به اوجاعي العظيمة : كيف لا تسعى في مداواة جرحاتي المسببة لي بعدم صبرك الذي هو لديّ عذاب اعظم من جروح جسدي كلها *

خامساً اعتبر من هو الذي يخاطبك هكذا : فترى انه سيدنا يسوع المسيح ملك المجد الاله الحقيقي والانسان الحقيقي * تامل عظمة اوجاعه واهاناته ، التي لو تعذب بها اشر الاثمة

لحسناها مفرطة متجاوزة حدود العدل ❊ انظ
بذهول العقل . كيف انه يحتمل هذه الآلا
بشجاعة جزيلة . لا بل بكمال السرور والابتهاج
حتى كان يوم الآمه قد كان يوم انتصاره ❊ افتكر
انه كما ان القليل من المآء . اذا أُلقي على اتو
ملتهب يزيده اضطراماً . هكذا اعظم العذابات
التي تستبين للمحبة يسيرة كلا شيء تزيدها سرو
وارتياحاً لاحتمال اعظم منها ❊ ثم تذكر انه تعالى
لم يفعل ذلك ولم يحتملهُ باغتصاب ولا بحرك
طلب فائدة تخصهُ . بل بحركة محبة محضة
كما قال هو تعالى عن نفسه ❊ ولكي تتعلم منه
ان تعمل بفضيلة الصبر . فاعقل جيداً ما يطلب
منك وكم يسر حينما يراك عاملاً بهذه الفضيلة
ثم حرض نفسك على احتمال صليبك وصليب

آخر اتثل منه بالصبر والابتهاج : وذلك لكي
اتثل ابن الله على النوع الاكمل · وتعود لديه
فضل قبولاً * ضع بازآء عينيك جميع اوجاع
آلامه واهانته · وتعجب من جزيل صبره وشجاعته
في عملها : واخجل من ضعفك ورخاوتك * وعند
تاملك اوجاعك ومقابلتك اياها مع ما كابده من
اجلك · احسبها اوجاعاً خيالية · واعتقد متيقناً
ان صبرك ليس هو شيئاً الا ظل صبره تقدست
سماوة : وخف خوفاً عظيماً من انك تابى التالم
لاجل مخلصك * واذا دهمك هذا الفكر · فاحسبه
بوسوسة الشيطان وخداعه · واطرده عنك مغضباً *
ثم اعتبر يسوع مصلوباً ككتاب روحي يلزمك
ان تهذ فيه على الدوام لكي تتعلم منه عمل اعظم
الفضائل : هذا هو الكتاب الذي يسوغ لنا ان

ندعوه بالصواب كتاب الحيوة الذي ينير العقل
برسومانه : ويضرم الارادة بامثاله * ان العا
مملوءٌ من الكتب : الّا انّ من يقراها كلّها لا يتعل
منها ان يبغض الخطيّة ويحبّ الفضيلة . ك
يتعلّم ذلك من يتامّل الاهاً مصلوباً * فاع
انّ الذين يصرفون زماناً مديداً في تامّل آلام ابن
الله متعجّبين من صبره . باكين على شد
اوجاعهم . اذا وافتهم شدّة يحتدّون ويستشيطون
كانّهم لم يتاملوا في الصليب اصلاً : فانّهم يشبهون
جنوداً غير مختبرين جالسين تحت خيامهم
جزوعين يترجّون الانتصار الّا انهم اذا اصطفّت
الاعداء تجاههم يولّون الادبار في الحال * ولعمري
انّهُ لا يوجد منظر مستحقّ ان يُرثَى لهُ اكثر من
أن نرى اناساً قد تاملوا في فضائل السيّد المسيح

وتعجّبوا من سموها · واحبّوها من كلّ قلوبهم : ولكن اذا اتّفق لهم ما يقتضي منهم العمل والاقتدآء بها ينسونها حالًا متغافلين · ويستخفّون بها مهملين ❊

الفصل الثالث والخمسون

في سرّ الاوخرستيا

انّني بما تقدّم الى الآن قد اوردتُ لك ايّها العابد اربعة انواع من الاسلحة · وارشدتك الى استعمالها ❊ فبقي لي ان اوضح لك الان العون الجزيل الذي تستطيع ان تستمدّه من القربان المقدّس لمقاومة اعدآء خلاصك وكمالك والانتصار عليهم ❊ لانّه كما انّ هذا السرّ الالهي يفوق في العظمة والقوّة على بقيّة الاسرار · هكذا

هو اقوى الاسلحة الروحية المرهبة الشياطين ·
فالاسلحة الاربعة الاولى · ليس لها قوة الّا بفضل
السيد المسيح وبالنعمة التي اكتسبها لنا بثمن دمه
الزكي ❊ امّا هذا السلاح الالهي فانهُ عبارة عن ابن
الله المتجسّد · اي عن لحمهِ ودمهِ ونفسهِ ولاهوتهِ ·
وقد وهب الله لنا هذا السلاح لنقاوم بهِ اعداءَنا
بقوة ابنهِ الوحيد : لاننا بتناول جسدهِ ودمه
الاقدسين نثبت فيهِ تعالى ويثبت فينا ❊ وا
كان يسوغ لنا ان نتناول هذا السر الاقدس على
نوعين · اعني تناولاً حقيقيًّا في كلّ يوم · وتناو
روحيًّا في كل ساعة · ونجتني بهما نفعًا وافرًا جدًّا
يجب علينا ان نتناولهُ تناولاً روحيًّا باكثر ما يمكن
من الاكثار · وتناولاً حقيقيًّا كلّ ما ياذن لنا بـ
المرشد ❊

الفصل الرابع والخمسون

في تناول القربان المقدس

انّهُ اذ كان يمكننا ان نتناول هذا السرّ الالهي بنوايا مختلفة : فلذلك ان رمنا ان نجتني ثمارها . ينبغي ان نلاحظ اشياء كثيرة في ثلاثة ازمنة مختلفة . اي قبل تناول السرّ المقدّس . وقرب تناولهِ . وبعد تناولهِ * فقبل ان تتناول هذا السرّ الالهي كيفما كانت نيّتك . يلزمك مع ذلك ان تطهّر نفسك بسرّ التوبة . ان كنت في حال خطيّة مميتة * ثمّ يجب ان تقدّم للّه نفسك وكلّ قواها بالكليّة بلا استثناء : لانّهُ تعالى يعطيك ذاتهُ في السرّ بالكليّة . دمهُ ولحمهُ ولاهوتهُ وكنز حقوقهِ * والحال انّ الذي تقدّمهُ

انت لعزّته هو شيءٌ يسير وكلا شيء بالاضاف
الى ما يعطيك اياه ❋ فاشتهِ ان يكون لك كلّ م
يمكن ان تقدّمهُ له الخليقة السماويّة والارضيّة
لكي تقدّمه انت لعزّتهِ الالهيّة ❋ وان اردت
ان تتناول هذا السرّ المسجود له بنيّة ان تنتصر على
اعدائك . فابتدي من مساء اليوم السابق
اوفي زمن آخر بتقدمة تقدّمًا معتبرًا : وافتكر متأمّلاً
كم يشتهي ربّ المجد ان يدخل في قلبك بواسطة
هذا السرّ . لكي ينضمّ اليك ويعينك لمقاومة
اعدائك والانتصار على اماراتك المنحرفة ❋
واعلم انّ ارتياحه هذا الالهيّ عظيم ومفرط جدًّا .
حتّى انه من المستحيل ان يدركهُ عقل بشريّ ❋
الّا انّه لكي تفهمهُ فهمًا ما . فاعتبر شيئين : اوّلهما
ما قيل في السفر الالهيّ : انّه تعالى جعل

تتغمّد بالسكنى فينا : وثانيهما هو انّه جلّ
جلاله يبغض الخطيّة المميتة بغضًا غير متناهٍ
وذلك لانها تصدّ عن الاختلاط معنا ولانها تضادّ
كما الاثم تضادًّا مستقيمًا بليغًا: لانهُ لا يمكن من
هو الخير الاعظم والنير بالذات والجمال المنزّه
عن كلّ عيب ان لا يبغض الخطيّة التي هي
بكليّتها خبث وظلام وقبح وفساد * حقًّا انّه
سبحانه يبغضها بغضًا شديدًا حتى انّ كلّ ما صنعه
في العهد العتيق والجديد. وكلّ ما قاساه في آلامه
المبرحة . قد كان متجهًا الى ابادتها * وقد شهد
القديسون انّه لو احتاج الامر . لكان الاب
الازلي يامر ابنه الوحيد الحبيب بان يموت الف
مرّة وفاءً عن ادنى ذنب من ذنوبنا *

وبعد ان تفهم جيّدًا بهذين الاعتبارين كم

يشتهي السيد المسيح ان يلج قلبك ٠ لكي يبيد
اعدآءك واعدآءه : حرّك نفسك لتتوق انت
ايضًا الى استقبالهِ * ولا بدّ من انّ رجآء اتيانه
اليك يشجّع نفسك : فتعزم عزمًا جديدًا على
محاربة الهوى المتسلّط عليك اشد تسلط * وحينئذٍ
يجب ان تفعل افعالًا كثيرة مضادّة لهذا الهوى
وليكن هذا اخصّ رياضاتك مسآءً وبكرةً قبل
تناول السرّ الالهي *

ثمّ قبل ان تتناولهُ بزمن يسير ردّد في عقلك
بهمّةٍ وجيزة جميع زلّاتك التي فرطت منك منذ
تناولك الاخير للاسرار الالهيّة * ولكي تندم
عليها ندامةً واجبةً ٠ فافتكر انّك قد ارتكبتها
كأنّ الله لم يمُتْ موت الصليب لاجلك : فاخجل
حينئذٍ من انّك فضّلت لذّةً دنيّة على حفظ

واسرار ربّ البريّة . وتعترف بغباوتك وتستكره
عدم وفائك * ثمّ اعتبر ايضًا . انّهُ مهما كنتَ
خائنًا . فمع ذلك يريد هذا الاله الكلّي الجود
والصلاح ان يهب لك ذاتهُ ويدعوك الى تناولهِ *
فامضِ اليهِ بطمانينة . وافتح لهُ قلبك . ليدخل
فيهِ ويمتلكهُ : وبعد ذلك اغلق قلبك . لكيلا
تدخلهُ حركة فاسدة *

ثمّ بعد ان تتناول السرّ الاقدس . اختلِ باطنًا
واسجد لربّك بكمال التواضع : وقل هكذا . الاهي
ومولاي قلبي . انك ترى سرعة ميلي الى الخطيّة .
وتعلم شدّة تسلّط هذا الهوى عليّ . واني لعاجز
عن مقاومتهِ * فانت بالخصوص مرجوّ لذلك .
وان كان يجب ان اسعى انا في هذه الحرب .
فلا ارجو الانتصار الا منك * ثمّ اتّجه الى الآب

الازلي . وقدّم له ابنهُ الحبيب العزيز الذي
اعطاك اياهُ واسكنهُ في قلبك: وقدّمهُ لهُ وفا
عن احساناته اليك * والتمس منهُ بحقه عون
للظفر بذاتك: واعزم على محاربة العدوّ الذي
يضايقك باشدّ اجتهاد: وارجُ الانتصار عليه
لانك ان فعلت ما في طاقتك . فبلا شكّ ان ال
يعينك اولاً او آخراً *

* الفصل الخامس والخمسون *

في محبّة الله

ان رمت ان يصدر فيك سرّ الاوخرستي
محبّة الله . فاذكر جزيل حبّه لك * ومن المسا
لنقدّم على تناول السرّ الالهي تامّل جيّداً ا
هذا الربّ الذي لاحدّ لعزّته واقتداره . لم يقتنع

ـه خلقك على صورتهِ ، وارسل ابنهُ الوحيد
ـي عن خطاياك باتعاب متصلة مدة ثلاث
لاثين سنة وبموتهِ على الصليب: بل انهُ وهب
ـك ايضًا في هذا السرّ الاقدس ، لكي يكون قوتًا
ـك وملجأً في كلّ شدائدك ❊ فانظر اذاً كم تكون
ان المحبة عظيمة من كلّ جهة ❊ ثم انهُ اذا لاحظت
ـوام هذه المحبة . فترى انها ازلية لا ابتداء لها ❊
انهُ كما ان الله هو منذ الازل ، هكذا هو منذ الازل
ـحب الانسان ، ومنذ الازل اراد ان يعطيهِ ابنهُ ❊
ـقل بابتهاج عظيم: انهُ من المؤكد ان الله احبني اذا
لخليقة الحقيرة ، محبة عظيمة جدًّا حتى انهُ افتكر
ـيّ قبل كلّ الدهور ، وعزم من الازل على ان
ـقوتني بجسد ابنهِ ودمهِ الاطهرين ❊ ان حبنا
ـلآن لا يبهجنا ويسرّنا مهما كان عظيمًا فهو محدود:

وانّما محبّة الله لنا فليس لها حدّ ولا قياس ❊ ولذل
لكي يشبع هذه المحبّة شبعًا تامًّا ارسل من السم
هذا الابن المساوي لهُ في كلّ شيء في جوه
وجميع كمالاته ❊ ومن ثمّة كانت هذه المحبّة وه
العطية عظيمتين على حدّ سوى ، ولم تكن العط
بأقلّ قدر من المحبّة : لكن كلاهما يفوقان كلّ قياس
وكلّ ادراك بشريّ ❊ ثمّ اعتبر انّ الله الذي احب
على هذا النحو العجيب لم يضطرّهُ بذلك شي
من الاشياء البتّه ، بل جودته الالهيّة التي تمي
طبعًا وترغب ان تفيض علينا مجاري آلائ
ومواهبها ، هي التي حرّضتهُ على ذلك ❊ تامّل
ايضًا انّهُ اذ احبّنا تعالى ، لم نكن قد عملنا عملاً صالح
يستحقّ ذلك : فالذي جعلهُ ان يحبّنا بافرا
المحبّة ويعطينا ذاته انّما هو افراط جوده لا غير ❊ ث

[وهذه المحبّة الالهيّة هي نقية في الغاية . ولا تطلب
[ا]لتها فائدة كما نرى ذلك في كل محبّة بشريّة *
[لا]نّ الله لا يحتاج الى حسناتنا وخيراتنا . اذ انه
[تعا]لى هو مصدر سعادته ومجده * فحينما يفيض علينا
[بر]كاته . لا يلاحظ شيئًا سوى فائدتنا * فقل
[في] مناجاتك الله هكذا : ايها الربّ الالهي من
[هو] الذي كان يختلج في فكره . انه يمكن الاله
[الع]ظيم ان يضع قلبه وحبّه في خليقة حقيرة مثلي :
[و]قصدك بهذا يا ربّ المجد : ما الذي ترجوه
[م]نّي انا التراب والرماد المحض * انّ المحبّة
[الم]ضطرمة فيك والمذيبة قلبك الاقدس . وهذه
[ال]نار المنيرة صبتي والمضرمة قلبي . تريني بالكفاية
[ا]نّ محبّتك هي منزهة عن كل طلب فائدة ذاتية .
[لا]نّك باعطائك اياي ذاتك بالكلية . لا تقصد

ولا ترغب سوى ان تحيلني الى ذاتك وتحيا في
وان اصير بهذا الانضمام العجيب شيئاً واحد
معك، وابدل قلبي الارضي بقلبك الالهي * و
عوض ذلك تعجب منذهلاً . وافرح متهللاً م
ان الله يعتبرك ويحبك هكذا، وتحقق متيقناً انه
يرغب بذلك شيئاً سوى ان يربح قلوبنا ويمتلك
امتلاكاً تاماً بتجريدنا انفسنا من حب الخلائق
وحب انفسنا نحن احقر الناس * ثم قدم نفسك
ذبيحة كاملة لعزته لكي لا يتحرك فيما بعد بال
وفهمك وارادتك وحواسك الا بحركة حبه وقص
رضوانه * وبعد ذلك اعتبر انه بدون نعمته لا يمك
ان تحصل على الاستعداد الواجب لاستقبا
في سر الافخرستيا * فافتح له قلبك بنوافذ وحب
ملتهبة كهذه التي اوردها لك، وقل له: يا اي

المأكل السماوي والخبز الحيّ الالهي . من ذا
يجعلني ان احيا معك وبك ولك فقط : فيا
منًّا سماويًّا عنصر حياتي . متى اكره كلّ اطعمة
الارض . واقتات منك وحدك يا خيري الاعظم
وفرحي الكلّي : متى يأتي هذا الزمن السعيد *
فاذ قد يا ربّ انقذ الآن قلبي من اسر شهواته
ورذائله : زيّنهُ بفضائلك : لا تدع فيه شيئًا غير
شوق حبّك ورضاك : فانّي حينئذ اتجاسرُ ان
اطلب منك ان تاتي وتدخلهُ * واذا دعت
الضرورة فانّي اطلب ذلك بالحاجة . وربما اتجاسر
اغتصابًا ما ان تاتي اليّ لانك يا ملكي الوحيد
تفعل فيّ كلّ ما تشاء * فهذي هي الاشواق
الليّنة التي يجب ان تحركها في قلبك مساءً
وصباحًا معدًّا بها نفسك لتناول القربان المقدّس *

واذا حان وقت تناول السرّ الالهي فاعتبر
جيدًا . من هو هذا الذي تريد ان تتناوله : فهو
حقًّا ابن الله الحيّ الذي ترتعد امام عزّته قوات
السماء : الربّ القدّوس والقداسة في الذات
المرآة النقيّة والنقاوة الغير المخلوقة الذي كلّ
خليقة بازائه فساد : الاله الذي مع انّ الحيو
والموت تحت سلطانه رام من اجل خلاص
البشر ان يصير بشبه دودة الارض وسخريّةً للقوم
وان يُحتقر ويُهان ويُداس بالارجل . ويُلطم
ويُصلب من الاشرار محبّي الدنيا . ثمّ لاحظ
من جهة اخرى انك من تلقآء نفسك لست
بشيء . وقد صرت من قِبل خطاياك احقر
الخلائق لا الناطقة فقط . بل العديمة النطق
ايضًا . وقد استوجبت بذلك ان تكون تحت

رق الشيطان * اعتبر ايضًا انهُ عوضًا عن ان
تكافي بحسن الوفآء والشكر احسانات مخلصك
الغير المحدود عددها . تجاسرت عليه . وتوطأت
ذلك الدم الزكي الذي هراقهُ لاجلك . وقدمهُ
فداء عن روحك * غير انّ عدم وفائك ليس
هو باعظم من محبته الغير القابلة التغيير والزوال .
ولذلك لا يبرح تعالى يدعوك الى وليمته . ولا
يمنعك عن الاتكاء على مائدته . لا بل يتوعدك
بغضبه وبالموت ان لم تأتِ وتاكل عنده * فهذا
الآب الرحوم لا يزال مستعدًا لاستقبالك : ومع
انك بازآء عينيهِ ابرص اعرج . مستسقٍ واعمى
ومجنون . لا بل ممتلي من الرذائل والخطايا .
لا يشمئز منك ولا يطلب منك سوى هذا فقط :
وهو اولًا ان تكون نادمًا على عصيانك ندامةً

حقيقيّة . وثانيًا ان تبغض فوق كلّ شيءٍ الخطيّة
المميتة والعرضيّة . وثالثًا ان تكون مستعدًّا لان
تفعل ارادتهُ على الدوام . وتتمّمها في حينها
بسرعةٍ ونشاط : ورابعًا ان ترجو رجاءً مقيمًا
بعد هذا كلّه انّهُ يترك لك كلّ ما لهُ عليك
وينقّي نفسك من كلّ عيوبها . ويحفظك من
جميع اعدائك ❊

فبعد ان تقوّي نفسك هكذا بتأمّل محبّته
تعالى للخطاة التائبين . تقدّم الى المائدة المقدّسة
بخوفٍ ممتزج برجاءٍ ومحبّةٍ قائلاً : انّي حقًّا يا رب
غير اهلٍ لتناولك : اذ قد اسأتُ اليك بخطايا
لاحدّ لعددها . ولاقياس لعظمتها . ولم اوفِ عنها
لعدلك وفاءً واجبًا ❊ اي نعم يا ربّ لست مستحقًّا
ان اتناولك . لانّ قلبي بعد متعلّق بالخلائق .

بالم ابتدي ان احبك واعبدك بكل قوتي *
فاذكر يا سيدي جودك وعهدك ، واجعلني
اهلاً لاتناولك * ثم بعد ان تتناول السر الالهي ،
اختل باطناً اختلاء عميقاً ، واغلق جيداً باب
قلبك : ولا تعد تفتكر الا في ان تتردد مع مخلصك *
بخاطبه هكذا او بما يشبه هذا قائلاً : يا رب
السموات المطلق ، ما الذي الزمك بان تنحدر
من السماء تفتقد خليقة حقيرة عمياء شقية نظيري *
فيجيبك تعالى حالاً قائلاً : انه هو المحبة * فقل انت
حينئذ : يا ايتها المحبة الازلية ، ما الذي تطلبينه
مني * فيجيبك سبحانه قائلاً : لا اطلب منك
سوى المحبة : وان لا يضطرم قلبك الا بنارها *
هذه هي النار التي تنتصر على حرارة شهواتك ،
وتضرم ارادتك وتصيرها الى ذبيحة ذات رائحة

ذكيّة * هذا الذي رغبتهُ منك دائمًا . وارغبهُ الآن ايضًا * انّي اريد ان اكون لك بكلّيتي وان تكون لي بكلّيتك * ولكي يتمّ ذلك ينبغي ان تكفر بارادتك المرتاحة على الدوام الى حرّيتها الذاتيّة والجد الدنيوي . وتطابقها مع ارادتي * فاعلم انّ الذي اريدهُ منك هو ان تهجر نفسك . لكي تحبّني : وان تعطيني قلبك . لكي يتّصل بقلبي الذي انفتح لاجلك على الصليب * انّك لا تجهل من انا : ومع هذا ترى انّ افراط محبّتي لك جعل تساويًا بيني وبينك * فبما انّي اعطيك ذاتي بالكلّيّة : ولستُ اطلب منك بدلًا عن ذلك سواك * فكن لي خاصّةً . هذا يكفيني * لا تطلب غيري : لا تتفكر الّا فيّ : اصغِ اليّ فقط : ولاحظني وحدي . لكي اكون موضوعًا

لجميع افكارك واشواقك * فلا تعمل شيئًا الّا في ربي، ودع عظمتي الغير المتناهية ان تبلغ عدمك بلا شبه، وهكذا ستجد في سعادتك: وانا اجد فيك راحتي * ثمّ قدّم للآب الازلي ابنهُ الحبيب: وذلك اوّلًا شكرًا لهُ، لانّهُ اعطاك ايّاهُ تعالى * وثانيًا لكي تنال منهُ عونًا لك وللكنيسة اولاقربائك او للذين انت ملتزم لهم، او لانفس الابرار الذين في المطهر * واقرن هذه التقدمة بتلك التي بها قدّم ابن الله نفسهُ ذبيحةً لابيهِ لخلاص العالم * ويمكنك ان تتقدّم لهُ على هذه النيّة جميع القداديس التي تتقدّم في ذلك اليوم في العالم باسرهِ *

❊ الفصل السادس والخمسون ❊

في تناول الاوخرستيا تناولاً روحيًّا

ان كان غير جائز ان تتناول القربان المقدّس في كلّ يوم الّا مرّة واحدة ، يمكنك (كما تقدّمنا فقلنا) ان تتناولهُ في كلّ ساعة تناولاً روحيًّا ❊ وليس شيءٌ يستطيع ان يمنعك عن ذلك سوى التواني وما يشبهه ❊ فاعتبر انّ تناول هذا السرّ الالهي روحيًّا يكون احيانًا اكثر نفعًا للنفس ، وافضل قبولًا لدى الله من تناوله حقيقيًّا مرّات كثيرة بلا استعداد حسن ❊ واعلم ايضًا انهُ كلّما كنت مستعدًّا لهذا التناول الروحي ، يكون ابن الله مستعدًّا ايضًا ليمنحك ذاتهُ على نوعٍ روحيّ طعامًا لك ❊ فان رمت ان تعدّ نفسك لتناول هذا السرّ على النوع

المذكور، فوجّه اولاً افكارك الى سيدنا يسوع المسيح:
وتأمّل يسيراً في كثرة ذنوبك: واطلب منه الصفح
والمغفرة * ثمّ اسالهُ باحترام جزيل وايمان حيّ
ان ياتي ويدخل نفسك، ويسكب فيها نعماً
جديدة يشفي بها ضعفها، ويقوّيها على اعدائها *
وكلّما استطعت ان تميت هوىً من اهوائك،
او ان تعمل عملاً من اعمال الفضيلة، فانتهز هذه
الفرصة لتعدّ بها قلبك لابن الله الذي يطلبهُ
منك دائماً * واسالهُ باجتهاد ونشاط بليغ ان ياتي
اليك كطبيب ليشفيك، وكمعضد ليحفظك: فلا
يمنعهُ شيءٌ عن ان يمتلك قلبك كلّهُ * تذكّر
حينئذٍ آخر مرّة تناولت الاسرار الالهيّة حقيقيًّا:
وليلتهب قلبك بمحبّة الربّ يسوع * وقل لهُ:
يا الهي متى تنعم عليّ بان اتناولك مرّةً اخرى:

حتى ياتي ذلك اليوم السعيد ❊

وان اردت ان تتناول هذا السرّ تناولاً روحـ
باوفر عبادة: فاعدّ نفسك لهُ منذ المساء، ولا تقصـ
شيئاً في كلّ ما تعملهُ من التقشفات وافعا
الفضيلة، سوى ان تعدّ نفسك بهِ لتتناولهُ روحياً
ثمّ عند انتباهك من النوم باكراً اعتبر سعادة النفس
التي تتناول هذا السرّ باستحقاق، لانها بـ
تكتسب الفضائل التي فقدتها، وترتدّ الى نقاوتها
الاولى وتعود اهلاً لان تشترك في اثمار الصليب
المقدّس، وتعمل عملاً يسرّ بهِ الاب الازلي جدّاً
لانّه يتوق ان يعطي الجميع بهذا السرّ ❊ فحثّ
قلبك على اشتياق مضطرم لتناول من يريد ان
يعطيك ذاتهُ: وقل لهُ: انّهُ اذ كان لا يجوز لي الآن
ان اتناول الذبيحة يا ربّي تناولاً حقيقياً، فاجعلني بجودك

الغير المتناهي وبفقد تلك الضابطة الكلّ ان اطهر من كل عيوبي، وان تُشفَى جميع جراحاتي، فاستحق الآن وفي كل يوم بل في كل ساعة ان اتناولك بالشوق تناولاً روحيًّا: لكي اتقوّى بنعمة جديدة، واظفر باعدآئي ولاسيّما ذلك العدوّ الذي احاربهُ حبًّا لك حربًا خصوصيًّا ❊

❊ الفصل السابع والخمسون ❊

في الشكر لله على نعمهِ

اعلم انّ كل ما نملكهُ او نفعلهُ من الخير انما هو من الله ❊ فيجب علينا ان نشكرهُ تعالى شكرًا متّصلاً على كلّ ما نعملهُ من الاعمال الصالحة وعلى جميع انتصاراتنا على انفسنا، وعلى كلّ الاحسانات العامّة والخصوصيّة التي ننالها من

كرمهِ * ولكي نقضي ما نحن ملتزمون بهِ من
هذه الجهة. اعتبراولاً الغاية التي من سببها يجو
الله علينا ببركاتهِ بسخاءٍ وافر: وبهذا تعلم انهُ تعالى
يريد ان نشكرهُ عليها * فالغاية الخصوصيّة لكلّ
ما يفعل الله بنا من الخير هي تمجيدهِ واجتذاب
ايانا الى خدمتهِ * فليقل كلّ منا: انّ هذا الاحسان
الالهي يظهر لي جليّاً قدرتهُ تعالى وحكمتهُ وجودتهُ
الغير المتناهية * ثمّ افتكر انّك بذاتك لا تستحق
هذا الاحسان. بل بعكس ذلك تستوجب ان
يُمسك عنك لسبب خطاياك * فقل باتضاع
كيف ترتضي يارب ان تنظر الى احقر خلائقك
وما اعجب افراط خيريّتك التي صيّرتك ان تجود
بهذه النعم على احقر الخطاة: فليكن اسمك
مباركاً الى دهر الداهرين * ثمّ تأمّل انّ الله عز

هذه الحسنات كلّها لا يطلب منك شيئًا سوى ان تحبّهُ وتعبدهُ: فاحببهُ محبّة مضطرمة ، وتشوّق بكلّ حرقة قلبك ان تقضي مشيّتهُ الالهية في كلّ شيء ٠٠ واختم ذلك بتقدمة نفسك لهُ تعالى بالكلّيّة على الوجه الآتي ايرادهُ ❊

❊ الفصل الثامن والخمسون ❊

في تقدمة الانسان نفسهُ لله

لكي تكون هذه التقدمة جزيلة القبول لدى الله ، يلزمك لذلك امران ❊ اوّلهما ان تقرنها بتلك التقدمات التي قدّمها ابن الله على الارض ❊ وثانيهما ان يكون قلبك مجرّدًا من كل انعطاف نحو الخلائق ❊ امّا في الشيء الاوّل فاعلم ان السيّد المسيح لم يزل في كلّ زمن حياته على الارض

يقدّم للاب الازلي شخصهُ وافعالهُ الخصوصيّة .
لا بل جميع الناس وكلّ افعالهم الصالحة ايضًا *
فلنقرننّ تقدماتنا بتقدماته . لكي تتقدّس
تقدماتنا بذلك * واما في الشيء الثاني . فقبل ان
تقدّم نفسك لله . احرص جيدًا بان تكون مجرّدة
من كل تعلّق بالخلائق : واذا وجدتها غير متزهّدة
بالكلية من كل انعطاف منحرف . فالتجئ الى
الله . واطلب منهُ ان يقطع عنك كلّ التعلّقات
السفلية . لكيلا يصدّك شيء عن التعبّد لهُ
بكليّتك * وهذا الامر هو مهم معتبر جدًّا : لانّ الذي
يكون اسيرًا للخلائق . ويريد مع ذلك ان يهب
لله ذاتهُ . فيكون مريدًا ان يهب لله خيرًا قد اعطاهُ
لغيرهِ . ولم يبقَ لهُ سلطان عليه * والحال انّ هذا
ضربٌ من السخريّة بالله : ولهذا مع اننا نقدّم

انفسنا لله مرارًا كثيرة لانمو في الفضيلة. بل نتورّط في عيوب كثيرة وخطايا جديدة ❊

نعم انّه يجوز لنا ان نقدّم احيانًا انفسنا لله مع انه يبقى فينا تعلّق ما بالاشياء الدنيويّة ❊ الّا انه يجب حينئذٍ ان نقدّمها له تعالى. لكي يجعلنا ان نبغض هذه الشائبة. فنستطيع ان نتعبّد له بلا عاقة ❊ فلتكن تقدمتنا انفسنا لله طاهرة جدًّا. ولا يمتزجنّ بها شيءٌ من ارادتنا: ولا نلاحظنّ خيرات الارض ولا خيرات السماء. بل لنلاحظ مشيئة الله فقط. ساجدين لعنايته وخاضعين لاحكامه. مقدّمين له كلّ انعطافاتنا. متغاضين عن كلّ شيءٍ مخلوق. قائلين: ها هوذا ايّها الربّ خالقي اقدّم لك كلّ مالي. واخضع ارادتي لارادتك خضوعًا كلّيًّا:

فافعل بي ما تشآء في زمان حياتي وبعد موتي ايضًا ※ فان قلنا هذا بقلب مستقيم . وان كان عندنا هذا الاستعداد كما سيُعرَف ذلك في زمان الشدّة . فانّنا في زمن يسير نربح اجرًا وافرًا يفوق كل كنوز الارض : لاننا سنكون لله . والله نفسه يكون لنا : اذ انّه تعالى يهب ذاتهُ دائمًا للذين يكفرون بانفسهم وبكلّ الخلائق . لكي يحبوا الله فقط ※ ولعمري انّ هذه واسطة قويّة للظفر باعدائنا : لانهُ ان كنّا بهذه الذبيحة الاختياريّة نجعل انفسنا للّه بكليّتنا . فانهُ سبحانهُ يكون لنا بكليّته . وحينئذٍ لا يستطيع عدوّ ان ينتصر علينا ※

ولكي نوضح ذلك ببيان اوضح وتفصيل افضل . نقول : انهُ اذا قصدت ان تتقدّم للّه صيامات او صلوات او غير ذلك من افعال

التوبة او غيرها من الافعال الصالحة : فاذكر اولاً ما عمله ابن الله من الصيامات والصلوات والاعمال الصالحة ، واجعل كلّ اتكالك على استحقاقها: ثمّ قدّم افعالك لله الاب * وان اردت ان تقدّم له آلام ابنهِ الحبيب وفآءً عن خطاياك ، فافعل هكذا : اي تصوّر ذنوب حياتك على وجه العموم او على وجه الخصوص * ولانّك تعلم انّهُ من الممتنع ان تسكّن غضب الله بذاتك ، او ان تفي ما عليك لعدلهِ الالهيّ ، فالتجيءْ الى حياة مخلّصك وآلامهِ المقدّسة : واذكر انّهُ تعالى حينما كان يصوم ويتعب ويسفك دمهُ ، كان يقدّم اتعابهُ واوجاعهُ لابيهِ ، لكي يسالمنا معهُ تعالى : فكان جلّت رحمتهُ يخاطب اباهُ هكذا : انظر انّي اطيع اوامرك بوفائي لعدلك كلّ ما تطلبهُ

عن خطايا فلان وفلان وفلان: فارحمهم اذاً يا ابتاه اغفر لهم، واقبلهم بين ابنائك المختارين * ويجب على كلّ واحد ان يقرن صلواته بصلوات السيّد المسيح، ويطلب من الآب الازلي ان يعامله برحمة بحق آلام ابنهِ * ويسوغ لنا ان نفعل هذا كلّما تامّلنا في حياة يسوع او موتهِ *

---

* الفصل التاسع والخمسون *

في العبادة المحسوسة وتعب اليبس الروحي

اعلم انّ العبادة المحسوسة الطيّبة تصدر امّا من قبل الطبيعة، وامّا من الشيطان، وامّا من النعمة الالهية * وتُعرَف عللها ممّا تفعلهُ في النفس * لانّهُ ان كانت هذه العبادة المحسوسة لا تصدر فينا اصلاحاً، فلنا حينئذٍ ان نخشى من ان تكون

صادرة من الشيطان او من الطبيعة: ولاسيما ان كنّا نستلذ بها استلذاذًا مفرطًا. وندع قلبنا يتعلّق بها تعلّقًا متزايدًا . ونصير من قبلها معتبرين انفسنا اعتبارًا افضل * فاذا وجدت قلبك مملوءًا سرورًا وسلوى روحيّة. فلا تتهاهل في الفحص عن السبب : واحذر من ان تتكل على هذه السلوى . وتعتبر نفسك من سببها: بل اجتهدنّ في ان لا تبرح ملاحظًا عدمك على الدوام . ملازمًا بغض نفسك. غير سامح لها بان تتعلّق بحبّ شيء من الاشياء المخلوقة . ولو كان روحيًّا : بل يجب عليك ان تطلب الله وحدهُ . وتشتهي رضاهُ لا غير * فعلى هذا النحو ان كانت الحلاوة التي تشعر بها صادرة من علّة رديّة . فتستحيل الى نوعٍ آخر . وتبتدي ان تصير مفعول النعمة *

ثمّ يجب ان تعلم ايضًا انّ اليبس الروحيّ يصدر على النحو المذكور من العلل الثلاث المتقدّم ذكرها * فيصدر اوّلًا من الشيطان المجتهد في ان يزجّنا في التراخي ، ويصدّنا عن المسير في طريق الفضيلة ، ويعرقلنا في لذّات الدنيا الباطلة * وثانيًا يصدر من الطبيعة الفاسدة التي تورّطنا في زلّات كثيرة ، وتصيّرنا بليدين متوانين ، وتميل بقلوبنا الى خيرات الارض * وثالثًا يصدر من النعمة الموهوبة لنا من الروح القدس ، لكي نتجرّد من كلّ ما ليس هو الله ، او لا يقودنا اليه تعالى ، او لكي نتيقّن تيقّنًا كلّيًّا انّ كلّ ما امتلكناهُ من الخير لا يمكن ان ياتي الّا من الله ، او لكي نعتبر النعم السماويّة اعتبارًا افضل ، او لكي نقترب اليه جلّ ثناؤهُ اقترابًا اكثر بواسطة الكفر بكل شي

حتى باللذّات الروحيّة ايضاً لئلّا نحبّها بافراط. فتحزى محبّتنا التي يجب ان تتّجه اليه تعالى وحده: او لانّهُ عزّ اسمهُ يحبّ ان يرانا في المعركة محاربين بشجاعةٍ مستفيدين من نعمه *

فاذا استحوذ عليك هذا اليبس والاستكراه الروحي. فيجب ان تختلي باطناً وتنظر الّة زلّة صدرت منك. فنزعت عنك العبادة الطيّبة الحسّيّة. فاذا عرفت الزلّة تصلحها عاجلاً * وذلك لا لكي تحصل على الحلاوة التي استحالت الى مرارة. بل لكي تنقّي نفسك من كلّ ما لا يرضي الله * وان كنت بعد الفحص الدقيق لا تطّلع على نقص ما. فلا تعُد تفتكر بالعبادة المحسوسة: بل ابذل جهدك في هذا فقط. وهو ان تكتسب العبادة الحقيقيّة القائمة في مطابقة

ارادتك مع الارادة الالهيّة في كلّ شيءٍ * ولا تهمل
رياضاتك الروحيّة ولو تبيّنت لك عديمة النفع
مملوة مرارة : بل احسن عزمك على استمرار
عملها . واشرب بقلب طيّب الكاس التي يقدّمها
لك ابوك السماوي * وان كنت مع كونك
حاصلاً على هذا اليبس الذي يصيّرك غير
قابل الرياضات الروحيّة تجد عقلك مبلبلاً مفعماً
ظلمةً كثيفة لا تدعك ان تميّز ما يجب عليك فعلهُ .
فلا يفشلنّ لذلك قلبك . بل استمرّ معلّقاً على
الصليب . وازدرِ بكلّ علاج بشري * وارذل كلّ
سلوى باطلة تقدّمها لك الدنيا والخلائق :
واخفِ وجعك . ولا تكشفهُ الّا لمرشدك الروحيّ *
ويجب ان تكشفه لهُ . لا لكي تجد علاجاً لمرضك :
بل لكي تتعلّم ان تحتملهُ بخضوعٍ كلّي لارادة

الله * وإياك ان تستعمل تناول القربان المقدس او صلواتك او بقية رياضاتك الروحيّة بنيّة ان يعتقك السيّد المسيح من هذا الصليب : بل بالعكس اسأله ان يقويك لكي تستمر عليه مصلوبًا بعدُ وإكرامًا له حتى الموت

ان كان السجس العقليّ يمنعك عن الصلوة والتأمّل بحسب عادتك . فاعملها باحسن وجه يمكنك * وان كنت لا تقدر ان تشغل الفهم . فاصنع ذلك بحركات الارادة . واقرن بها الصلوة اللفظيّة مخاطبًا تارةً نفسك وتارةً السيّد المسيح . فتجتني من هذه الرياضة نفعًا عجيبًا في شدّتك * وقل لنفسك هكذا : لماذا انتِ حزينة يا نفسي . ولماذا تقلقيني : اتّكلي على الله . لاني ساعترف له ايضًا واستجدهُ اذ انّه هو ربّي والهي * وقل

الخلّصك: لماذا يا ربّ تباعدت عنّي. ولماذا تهملني
في حين ضرورتي: الهي الهي لا تهملني اهمالًا
كلّيًّا * ثمّ اذكر ما فكرت بهِ سارة امراة طوبيا البار
في وقت حزنها * وقل معها وبروحها. لا بالقلب
فقط. بل بالفم ايضًا: ليكن اسمك مباركًا يا ربّ.
لانك بعد اظهار علامات غضبك ترينا دائمًا
رحمتك: وهو من المحقّق اليقينيّ عند عبيدك انّهم اذا
امتُحِنوا في زمان حياتهم يرون صبرهم فيما بعد مكلّلًا:
وانّهُ اذا ادركتهم الشدّة. تبهجهم التعزية سريعًا: واذا
اصابتهم اهانة. يتسلّون فيما بعد بحلاوة مراحمك.
لانّ جودك لا يسرّ بشدائدنا * ولهذا بعد
الاضطراب تعطي السكون. وبعد الحزن
والدموع ترسل السرور والابتهاج: فليكن اسمك
مباركًا الى الابد يا الاه اسرائيل *

تصوّر ايضًا السيّد المسيح في بستان الزيتون وعلى جبل الجلجلة، وانظر انّ الآب الازلي قد اهمل ابنهُ الحبيب الوحيد * فاحمل الصليب معهُ، وقل من كلّ قلبك: لتكن مشيّتك يا ربّ لا مشيّتي * فعلى هذا النحو تحصل بالصبر والصلوة على عبادة حقيقيّة بتقدمة نفسك ذبيحةً لله، اذ قد تقدّمنا وقلنا انّ العبادة الحقيقيّة تتوقّف على عزم متين نشيط، وعلى ان نقتدي بسيّدنا يسوع المسيح المصلوب ونتبعهُ الى حيث يدعونا، وعلى ان نحبّهُ افضل من كلّ شيء، لانّهُ يستحقّ ذلك، وعلى ان نكون اذا دعت الضرورة نترك الله من اجل الله * فلو انّ جميع الذين يُدعَون روحيّين وهم لا يُحصَى عددهم يقيسون نموّهم الروحي على موجب هذا القياس، لا على حسب حلاوة

العبادة الحسّيّة . لنجوا حقًّا من طغيان اوهامهم
الخادعة ومن حيل المحّال . ولم يتّصلوا الى هذا
الحدّ من عدم الشكر وهو ان يتذمّروا على الرب
ويشتكوا من انّه تعالى يمتحن صبرهم . بل كانوا
يبذلون جهدهم في اتقان خدمتهم له . لاعتقادهم
انّ كلّ شيء يصير بامره او بسماحه . وذلك لخيرنا ✻

ويوجد نوع آخر من الطغيان ينسب لنسوان
كثيرات . من شانهنّ ان يبغضن الخطيّة حقًّا .
ويفررن من اسبابها بكلّ اجتهادٍ ✻ غير انهنّ
اذا اخذ الروح النجس ان يضايقهنّ بافكار سمجة
اي بمظاهر اشباح قبيحة . يضطربن ويفشلن .
لظنّهنّ انّ الله قد اهملهنّ . وانّه غير ممكن ان يستقرّ
الروح القدس في نفس مملوّة اشباحًا دنسة :

فيستغرقن في بحر عظيم من الحزن، ويدركهن نوع
من الياس وقطع الرجآء ولانهن يبلغهن للتجربة
نصف انغلاب، فيفتكرن في ترك رياضاتهن
الروحية والارتجاع الى مصر ولعمري ان هذا
ضرب من العمى الروحي: اي عدم اشعارهن
بانّ الله يتفضّل عليهن باحسان حينما يسمح
بان يجرّبن هكذا، لئلا يتغافلن عن ضعفهن
ولكن تضطرهن معرفة شقائهن ان لا يتباعدن
عنه سبحانه فشكواهن هو مما كان يجب عليهن
ان يشكرن عليه الجود الالهي الف مرة: وذلك
ضربٌ من الكفران بالاحسان وعدم وفاء

انه في مثل هذه الاتفاقات ينبغي لنا ان
نعتبر جيدًا شر ميل طبيعتنا الفاسدة: لان الله
العارف ما يجدينا نفعًا يريد ان نعلم اننا من تلقاء

انفسنا لا تميل الّا الى الخطيّة وانّنا لولاهُ تعالى لكنّا
نتورّط في اقصى لجّة من الشرور * ويجب ايضًا
علينا ان نحسن اتّكالنا على الرحمة الالهيّة، ونعتقد
انّهُ تعالى باظهاره لنا الخطر يريد ان ينجّينا منهُ،
وان نقترب اليهِ اشدّ اقتراب بواسطة الصلوة،
ويلزمنا ان نشكرهُ على ذلك شكرًا وافرًا *
واقول اخيرًا عن هذه الافكار النجسة التي تدهمنا
رغمًا عنّا، انهُ من المحقّق انها بالصبر وتوجيه
العقل الى موضوع آخر تطرد اسهل
ممّا اذا قاومناها بقلق
واضطراب

***

*

* الفصل الستّون *

في فحص الضمير

انّهُ في فحص ضميرك ينبغي ان تعتبر ثلاثة اشياء * اوّلها الزلّات التي فرطت منك * وثانيها الاسباب التي ورّطتك بها * وثالثها استعدادك لتبتدئ كما يجب ان تستاصل تلك الرذائل وتكتسب الفضائل المضادّة لها * امّا في زلّات نهارك فاصنع ما اوردناهُ في الفصل السابع والعشرين المتضمّن كلّ ما يجب فعلهُ بعد السقوط في الخطيّة : وامّا اسبابها فاجتهد بكلّ قوّتك ان تفرّ منها وتبتعد عنها * ولكي تصلح نقائصك وتكتسب الفضائل التي تعوزك . قوِّ ارادتك باليأس من ذاتك والاتكال على الله . وبالصلوات

الحارّة المتكاثرة لاستيصال ملكاتك الرديئة و
واكتساب ما يضادّها من الملكات الحميدة ❊

وان رايت انّك قد انتصرت على نفسك
في شيء، او عملت عملاً صالحًا ، فكن حذرًا من
هذه الجهة: واياك من ان تعتبر ذاتك لذلك :
بل الخليق بك ان لا تتانّى بتامّل هذا الفكر، لئلّا
يلحقك من قبله فكر من افكار الجسارة والعجرفة ❊
فاستودع كلّ افعالك مهما كانت بين يدي
المراحم الالهيّة: وافتكر في هذا فقط، وهو ان تفعل
فيما بعد جميع افعالك بنشاط اوفر ❊ واشكر الله على
ما احسن بهِ اليك في ذلك النهار، واعترف انه
سبحانهُ هو مصدر كل خير: واشكرهُ على الخصوص
لانّه انقذك من ايدي اعداءٍ كثيرين منظورين
وغير منظورين، واعطاك افكارًا كثيرة جيّدة وفرصًا

عديك لعمل الخير، ونفضّل عليك بخيرات اخر متكاثرة لا تعلمها انت ❊

❊ الفصل الحادي والستّون ❊

في الثبات في الحرب الروحيّة حتى الموت

انّهُ من جملة الاشيآء الضروريّة للنجاح في الحرب الروحيّة هو المواظبة والثبات، اعني الفضيلة التي بها نجتهد بلا ملل في قهر اماراتنا الذميمة التي لا تزال حيّة ما دمنا احيآء، بل تنبت وتنمو دائماً في قلوبنا كانّها في حقل مخصب من الشوك والحسك ❊ وباطلاً نرغب انتهآء هذه الحرب. لانّهُ لا يمكن ان تزول الّا بزوال حياتنا ❊ فمن يابى المحاربة لا ريب في انّهُ يفقد حريّته وحياتهُ ❊ لانّهُ لا بدّ من ان تنتصر عليهِ الاعدآء

المستعدّون على الدوام لمحاربته . الاعداء الذين
اذا طلبنا مسالمتهم يشتدّون بالبغض والحنق علينا
غير انهُ يجب عليك ان لا تجزع من كثرتهم وقوّتهم
من حيث انهُ في هذه الحرب لا يُغلَب الّا من
يرضى بالانغلاب : ومن جهة اخرى ليس
لاعدائك من القوّة الّا بمقدار ما يريد قائدك الذي
تحارب اكرامًا لهُ * والحال انهُ لا يسمح ابدًا ان
تسقط في أيديهم . بل انهُ تعالى يعضدك * ولانهُ
اعظم اقتدارًا من جميعهم بما لا يُحَدّ . فانّك تنتصر
بهِ عليهم لا محالة ان كنت في حال محاربتك
لاعدائك لا تبني اتكالك على قوّتك . بل على
قدرتهِ وجودتهِ الغير المتناهية * وان بطئ الربّ
ولم يسرع الى اعانتك . بل تركك في حال الخطر
فلا يضعفنّ اتكالك ايضًا . بل اعتقد يقينًا انّ

بحسن تدبيرهِ يحوّل ما يتبيّن لك مضرًّا مخسرًا ، فيجعله نافعًا لك ومفيدًا * وهذا الاعتبار من شأنه ان يملأك شجاعةً في الحرب * فشدَّ درعك وقوّ ايمانك ، واتبع قائدك الذي عند سلّم نفسهُ للموت ، وبموته غلب العالم * حارب بشجاعة تحت رايته ، ولا تلقِ الاسلحة قبل ان تبدّد كلّ اعدائك وتبيدهم * لانّك اذا عفوت عن واحد فقط وتركته حيًّا ، اي ان اهملت مقاومة رذيلة واحدة من رذائلك ، فانّها تكون بمنزلة القذا في عينك او كسهم منشّب في قلبك يبعدك عن المحاربة ، ويبعد عنك الانتصار *

❊ الفصل الثاني والستّون ❊

في محاربة الاعداء الذين يحاربوننا في ساعة موتنا

انّه وان كانت حياتنا على الارض حرباً متصلاً، الّا انّهُ من المؤكّد انّ اليوم الاخير من حياتنا هو يوم الحرب العظيم المخطر اكثر ما يكون. لانّ الذي يُغلَب في هذا اليوم ينقطع عنهُ رجاء خلاصهِ ❊ فلكي لا تهلك حينئذٍ هلاكاً لا علاج لهُ، مرّن نفسك على الحرب الروحيّة، وتمهّر فيها الآن: لانّ الذي في زمن حياتهِ يحارب اعداءهُ بشجاعة وبسالة، يظفر بهم ايضاً في ساعة موتهِ، حيث انّهُ قد اعتاد على مقاومتهم والانتصار عليهم ❊ ثمّ يجب عليك ان تفتكر في الموت كثيرًا، وهكذا اذا اقترب منك يخف

تنزعك منه، ويحسن استعدادك للمقاومة * ان اصحاب الدنيا يبعدون عنهم هذا الفكر حذرًا من ان ينزع عنهم سرورهم بالاشياء الارضية: ولأنهم يفرّون ممّا يلم بهم من المرارة اذا افتكروا انهم عتيدون ان يفقدوا ما يحبّونه بافراط المحبّة . لذلك لا تنقص آلامهم : بل تزداد وتتقوّى يومًا فيومًا * ولهذا ايضًا نرى ان تجرّدهم هذه الدنيا وتركهم ما احبّوهُ فيها يصعب جدًّا عليهم، بمقدار ما احبّوا النعم وتمتّعوا بها زمانًا مستطيلًا *

الآن لكي تحسن استعدادك لهذا الانتقال المرعب ،اي الانتقال من الزمن الى الابد: فتصوّر احيانًا انّك وحيدٌ مجرّد من كلّ مساعد ومعين ، وانت في اوجاع الموت * وتامّل بتانٍ ما سياتي ذكرهُ ، ولا تنسَ الادوية التي اقدّمها لك لكي

تستطيع ان تستعملها في هذه الشدة الاخيرة ❊ لانهُ يلزمنا ان نتعلّم اتقان العمل الذي نحن عتيدون ان نعملهُ مرّةً واحدةً لا غيره وذلك لئلا نزلّ زلّةً لا اصلاح لها البتّة . ويلحقنا الهلاك الابدي ❊

❊ الفصل الثالث والستون ❊

في مقاومة التجربة ضدّ الايمان في ساعة الموت

اعلم انّ اعدآء خلاصنا من عادتهم ان يمتحنونا في ساعة الموت باربعة انواع من التجارب ❊ اولها بشكوك مستحسنة في ما يخصّ الايمان : وثانيها بافكار اليأس وقطع الرجآء : وثالثها بافكار الكبريآء والعجرفة : ورابعها بحيل يستعملها روح الظلام الذي يستحيل حينئذٍ الى ملاك النور لكي يطغينا ❊

فنقول في التجربة الاولى : ان قدّم لك العدوّ بحثًا اخلاطيًا في الايمان . فاياك ثمّ اياك ان تناضلهُ بمباحثة ايضًا : بل قل لهُ بغيظ مقدّس : اغرب عنّي يا شيطان يا ابا الكذب ، لانّي لستُ اريد ان اصغي لك ، يكفيني ان اعتقد كلّ ما تعتقدهُ كنيسة المسيح الكنيسة الكاثوليكيّة * واحذر ايضًا من ان تشخص بناظر عقلك الى افكار تخالجك ، وتستبين انها معينة لك ومقوية لتمكينك في الايمان : لكن اطردها عنك ، وانبذها كوساوس الشيطان المتقصد بهذا الوجه ان يستجلبك مجتذبًا اياك رويدًا رويدًا الى المجادلة * وان عجزت عن طردها وامتلأ عقلك منها : فكن في عزمك ثابتًا ، ولا تصغ الى دلائل مقنعة ، او شهادات مقدّسة يقدّمها لك العدوّ * لانهُ مهما تبيّنت لك حينئذ انها

موكلة واضحة . تكون امّا ناقصة . او محرّفة عن معانيها الحقيقيّة * فان سألك الروح الخبيث عمّا تعتقدهُ الكنيسة القاثوليقيّة فلا تجبهُ بكلمة : لانهُ اخزاهُ الله لا يقصد بذلك سوى ان يستجلبك ويعرقلك بكلمة موهمة ذات معنيين : بل يكفيك حينئذٍ ان تفعل فعل الايمان على وجه العموم * واذا رمت ان تخزيهِ وتوعبهُ خجلاً فقل لهُ : ان الكنيسة القاثوليقيّة تعتقد الحقّ * وان لجّ عليك وسألك : ما هو هذا الحقّ . فاجبهُ قائلاً فقط : ان هذا الحقّ هو ما تعتقدهُ الكنيسة الرومانيّة * واحترس على ان لا يبرح قلبك متعلّقًا بالصليب المقدّس * وقل في مناجاتك ابن الله هكذا : يا خالقي ومخلّصي اسرع الى اغاثتي . لا تتباعد عنّي لئلّا احيد عن الحقّ الذي تعلّمتهُ منك : واذ قد

انعمت عليَّ بان اولد في كنيستك ، فاجعلني بنعمةٍ اخرى ان اموت فيها لتمجيدك الاعظم *

* الفصل الرابع والسبعون *

في مقاومة تجربة اليأس وقطع الرجا

انَّ التجربة الثانية التي يمتحننا بها العدوّ المغتال في ساعة موتنا ، هي خوف باطل يريد ان يقلقنا به : فيضع تجاه اعيننا ذنوبنا السالفة ليلقينا في اليأس وقطع الرجاء * فان اصابك هذا الخطر ، فتدبّر بحسب هذه القاعدة المطّردة ، وهي : ان كان ذكر خطاياك يصدر في قلبك التواضع والندامة والاتّكال على رحمة الله ، فهو حقًّا فعل صادر من النعمة ، مفيد لنفسك جدًّا * ولكن ان سبّب لك قلقًا واضطرابًا وفشلًا ويأسًا : فانّه

يكون من الشيطان ❊ فاذا تبيّن لك ان لك حججًا قويّة لتعتقد انّك مرذول من الله وممنوع عن الخلاص . فافتكر حينئذٍ في هذا فقط . وهو ان تتّضع وتتّكل على رحمة يسوع المسيح الغير المتناهية اكثر ممّا كنت تفعل من قبل : لانّك على هذا النحو تنجو من كلّ حيل الشيطان ، وتستعمل اسلحته ضدّهُ وتمجّد الله ❊ فحقًّا انّهُ ينبغي كلّما ذكرت خطاياك ان تندم على انّك اسأت الى هذا الجود الالهي الاعظم ، وتطلب المغفرة باتّكال متين على افضال المخلّص ❊ الّا انّك ولو توهّمت انّ الله نفسهُ يخاطبك باطنًا ويقول لك بانّك لست من خرافهِ ، فلا تبرح من ان تتّكل عليهِ : بل قل لهُ باتّضاع : حقًّا يا ربّ انّ لك سببًا عظيمًا لترذلني وتعذّبني الى الابد : الّا انّ لي حجّة اقوى

منذ لا ارجو انك تعاملني بالرحمة ، فلذلك انا اضرع اليك ان ترحم هذه الخليقة الشقية المستحقة الهلاك الابدي التي افتديتها بدمك الكريم ، اني ارغب الخلاص لكي اباركك الى الابد في مجدك ، فعليك يارب وضعت كل اتكالي ، وبين يديك اسلم ذاتي بالكلية ، فافعل بي ما تشاء : لانك مولاي المطلق : الا انه اياما شيء فعلته بي ، فاني لا ازال متكلاً عليك ولو حكمت الآن بالموت عليّ ✻

✻ الفصل الخامس والستون ✻

في تجربة الاستكبار

اما التجربة الثالثة التي يجرب بها المؤمن في ساعة موته ، فهي تجربة الاستكبار ✻ ويجب عليك ان تحذر جداً حذراً كلياً من ان تستلذ بنفسك

او باعمالك اخف استلذاذ: وإياك ان تفتخر الّا بسيّدنا يسوع المسيح . معترفًا انّ كلّ ما لك من الخير قد اخذتهُ بجاه حياتهِ وموتهِ ❊ وما دمت على الارض فاحتقرن نفسك وابغضها ❊ اتّضع كل يوم اكثر واكثر: واشكر الله دائمًا على ما فعلتهُ من الخير بنعمتهِ: واطلب منهُ ان يمدّك بمعونتهِ . ولا تلاحظنّ عونهُ الالهي كشيء يحق لفضلك ❊ وان انت انتصرت على نفسك انتصارات عظيمة . فاستمرّ على حال الخوف معترفًا بسلامة قلب انك لو لم يسعفك الله عنصر رجائك لكان كلّ اجتهادك باطلًا ❊ فتدرّب على موجب هذه النصائح . واعتقد يقينًا انّ اعداءك لا يقوون عليك ❊

❊ الفصل السادس والستون ❊

في حيل مختلفة يستعملها الشيطان المريض في ساعة الموت

ان كان عدوّ خلاصنا المجتهد دائمًا في ضررنا يتمثّل لك بزيّ ملاك النور، وقصد ان يطغيك بخيالات وهمية او حسّية، فاستمرّ ثابتًا في معرفة ذاتك ❊ وقل له بشجاعة: ابعد عنّي يا شقيّ، وارتجع الى الظلام الذي خرجت منهُ، لانّي خاطئ لا استحقّ رؤيا، ولا احتاج الّا الى يسوع مخلّصي وشفاعات العذرآء المجيدة ومار يوسف وبقيّة القدّيسين ❊ وان تبيّن لك بدلائل قريبة من الوضوح انّ هذه الاشيآء صادرة من الله، فمع ذلك احذر من ان تصدّقها سريعًا، بل ارفضها حالاً ❊ فلا شكّ في انّ هذا الفعل المتاسّس على معرفتك

بشفاعتك يكون مقبولاً عند الله. وانه ان كان هو تعالى
مصدر هذه الاشياء. فيوضح لك حقيقتها من دون
ان يلحقك منها ضرر: لانّ الذي يعطي نعمتهُ
للمتضعين. لا يمنعهم اياها حينما يتضعون ❊

فهذي هي الاسلحة التي قد اعتاد العدوّ
ان يستعملها ضدّ الجميع حينما يجدهم قد قربوا
من الموت ❊ الّا انهُ ما عدا ذلك يحارب كلّ واحد
من الجهة التي فيها يجدهُ ضعيفًا. ويترقب ميلنا
وبهِ يسقطنا في الخطيّة ❊ فلنتمنطقنّ بالاسلحة قبل
ساعة الحرب. ولنقاومنّ الاهوية الملتوية والامانات
المنحرفة المتسلّطة علينا. لكي يهون علينا
الظفر بها في ذلك الزمن المخيف. الذي فيه
مقاومتها ينتهي علينا كلّ زمن ❊ فلنحارب
الآن الى ان نظفر بها ظفراً كلّيًّا ❊

ملحق بكتاب الحروب الروحيّة

في سلامة النفس وفي سعادة قلب المؤمن الذي يموت عن نفسه لكي يحيا لله . ويشتمل على سبعة عشر فصلاً

❊ الفصل الاول ❊

في طبع القلب البشريّ وتدبيره

اعلم انّ الله لم يخلق القلب البشريّ الاّ لهذا فقط . وهو لكي يحبّ هذا القلب ويحبّهُ هو ❊ وانّ عظم شرف الغاية التي خُلق قلبنا لاجلها يقتضي منّا ان نفضّل قلبنا على اعظم اعمال الخالق ❊ وعلى مجرّد تدبير هذا القلب تتوقّف الحيوة الروحيّة والموت الروحي : ومعرفة ذلك ليست

باسرعِ سيرِ لانَّ هذا القلب طبعاً يفعل كلّ شيءٍ بالمحبّة . ولا يصنع شيئاً بطريق الاغتصاب والاضطرار . فيكفينا ان نحترس بلطافةٍ وبلا اغتصاب على الحركات التي نباشر بها اعمالنا . وننظر من اين تأتي والى اين تتجه . اتصدر من القلب الذي هو مصدر المحبّة الالهية . ام تصدر من الروح الذي هو مصدر المعرفة البشريّة . ونعلم انّ القلب هو الذي يحرّكك الى العمل بحركة المحبّة اذا ظهر لك كلّ ما تفعلهُ لله كلا شيء . وكنت بعد ما تفعل كلّ ما يمكنك تخجل من القليل الذي صنعتهُ . وبخلاف ذلك يجب ان تعتقد انّ الروح هو الذي حرّكك الى العمل بنوايا ومقاصد بشريّة . ان كنت بعد ما عملت الاعمال الصالحة التي ينبغي ان تنتج فيك فضائل حليّة

اتضاعية سكونية . تجد نفسك مملوءة من ابخرة الاستكبار التي تتصور لك ، وتصيّرك ان تعتقد انك قد فعلت كثيرًا ، مع انّك لم تفعل شيئًا ❊ ولعمري انّ الحرب الروحيّة التي تكلّم عنها ابوب الصدّيق هي قائمة في هذا الاحتراس الدائم على انفسنا : وهذا الاحتراس ينبغي ان يكون منزّهًا من كلّ غمّ واضطراب . بل ان تكون غاية هذا الاحتراس الخصوصيّة هي راحة النفس وتسكين حركاتها ، حينما تكون مضطربة في عملها او في صلاتها ❊ لانّه من الاكيد انّ النفس لا تقدر في هذه الحال ان تحسن صلاتها ان لم ترتدّ الى حال سكونها الاوّل ❊ واعلم انهُ لكي تبلغ هذا الغرض فلا تحتاج الاّ الى روح الحلم ، وانّ هذه الفضيلة وحدها تستطيع ان تردّ نفسك من سجسها وضلالها

الى حال هدوّها الاوّل وسكينتها *

* الفصل الثاني *

في اكتساب سكون كامل للنفس

انّ هذا الاحتراس اللطيف الهادئ المتّصل على قلبنا يبلغنا بسهولة الى امور عظيمة * وهو يصيّرنا نصلّي صلاتنا ونعمل اعمالنا بهدوّ وسهولة · لا بل يجعلنا ايضًا ان نحتمل بلا غيظ ما يكون سببًا لغيظ جميع الناس وغضبهم · كالشتائم والافترآء والظلم * واما اكتساب هذا السلام الباطن فانه يقتضي حقًّا تعبًا جسيمًا · ولعدم اختبارنا نتضيّق مرارًا كثيرة من قبل اعدآء اقويآء يوجدون في باطننا * غير انّه اذا رمنا ان نقاومهم · فمن الاكيد انه لا يعوزنا في هذه الحرب عون ولا عزآء · وانّ اعدآءنا

يضعفون وتزول قوّتهم . واننا نتسلّط على حركاتنا وتحصل انفسنا على هذه الراحة الكريمة القائمة فيها سعادتها في هذه الحيوة ❊

فاذا اتّفق ان تكون الحركة متزايدة جدًّا حتى انّنا لا نستطيع ان نضبطها وننتصر عليها . او الشدّة ثقيلة حتّى انّه لا يكون في طاقتنا الذاتيّة ان نحتملها: فلنلتجئ حينئذٍ الى الصلوة ونواظبها ❊ انّ السيّد المسيح صلّى ثلاث مرّات في بستان الزيتون . ليعلّمنا بذلك انّ الصلوة هي للنفس الحزينة ملجأً وتعزية ❊ فلنستمرّ في الصلوة ثابتين الى ان نرى باطننا خاضعًا وارادتنا مطابقة لارادة الله . ونفسنا حاصلة على سكونها الاوّل ❊ ثم لنحذرنّ من ان ننجّسها بتلهوجنا في اعمالنا ❊ بل اذا عملنا عملاً اما جسديًّا كان او روحيًّا . فلنعمله

بتأنٍّ وهدوٍّ . ولا نرسمنّ زمانًا لاتمامه ولا نشتهينّ انتهاءه بافراط ✻ على انّه يجب ان يكون لنا قصد واحد ونيّة واحدة خصوصيّة . وهي أن تحفظ فينا ذكر الله باتضاع وسكينة . ولا يهمّنا شيء غير رضاهُ سبحانهُ ✻ فاذا امتزج بذلك شيء آخر . تمتلئُ حينئذٍ نفوسنا من التحسّس والقلق . وربّما نزلّ ويصعب علينا القيام من زلّاتنا ✻ ونختبر في انفسنا انّ سبب شرّنا يصدر من انّنا نريد ان نفعل كل شيء على حسب هوانا ✻ فاذا انقضت اعمالنا على مرامنا . نتحوّف لذلك : واذا انقضت خلاف مرادنا . يستحوذ علينا الحزن والتحسّس والاضطراب ✻

* الفصل الثالث *

في انّه ينبغي ان نبني هذا المسكن السليم شيئًا فشيئًا

فدع عنك كل ما يمكن ان يرفع روحك او يخفضها ويقلقها ويسجسها، واجتهد بلطافة في ان تبقيها او تحفظها في حال السكينة * لانه قد قال يسوع المسيح: طوبى للسليمين: تعلّموا منّي انّي حليم ومتضع القلب * فلا ريب ان الله يكلّل اجتهادك، ويجعل في نفسك مسكن التنعّم * يطلب منك شيئًا واحداً فقط، وهو ان تكون اذا سجّستك حركات الحواسّ والامارات، تبذل جهدك في تبديد هذه الابخرة وتسكين هذه الزوابع، وردّ الهدو والسكون لاعمالك * انّهُ كما لا يُبنَى البيت بالكلّية في يوم واحد، هكذا

اكتساب هذا الكنز الباطن ليس هو عملاً ينتهي في زمن يسير * واما كمال هذا العمل فيقتضي شيئين ضروريين جداً: اولهما ان يكون الله هو الذي يبني مسكنهُ في باطنك: وثانيهما ان يكون اس هذا البنيان هو الاتضاع *

---

* الفصل الرابع *

في التجرد من كل ملذة

ان العالم لا يعرف الا معرفة يسيرة جداً المنهج الموصل الى هذا الهدو. الذي لا يستطيع ان يقلقهُ شيء اصلاً * فمن حصل عليهِ يقبل الشدائد كما يقبل اصحاب الدنيا اللذات. ويرتاح الى الافتراء والاهانة كارتياح اولئك الى الاستكبار والكرامة * وكما يجتهد اولئك ان يكونوا معظمين مرغوبين

عند الناس معتبرين محبوبين، كذلك وبمقدار ذلك يجتهد هذا في ان يتجنّب الناس وتتجنبه الناس؛ وفي ان يهملهم ويهملوه ❋ الآن انّ الاتضاع بصيرة يشتهي بكبرياء مقدّسة ان يكون معروفاً عند الله وحده ومتسلياً به تعالى لا غير ❋ وفي حال هذا الهدوّ والسلام تتعلّم النفس التردّد مع الله وحده، وتتخذ من حضوره الالهي قوّة عظيمة، حتى انها ترغب أن تحتمل اكراماً له وحباً له كلّ نوع من التعب والعقاب ❋ وهاهنا يتعلّم المؤمن انّ التألّم يمحو الخطيّة، وانّ الصبر على الشدّة هو كنز الابديّة: وانّ من يريد ان يشترك بمجد التشبّه بالسيّد المسيح، يجب عليه ان يجعل كلّ افتخاره في التألّم معه عزّ وجلّ ❋ وهنا يتعلّم انّ حبّ الانسان نفسه واتّباع اهوائه وحركات حواسّه واشباع شهواته

وزج ذاته في الهلاك الابديّ هي شيء واحد *
وهنا يتعلّم انّه لا يجوز لذاتٍ يفعل الخير الذي تميل
اليهِ ارادتهُ قبل ان تكون قد خضعت لارادة الله
بسلامة الروح واتضاع القلب * فلنفعلْ منهُ
اي من الخير ما ترسمهُ لنا العزّة الالهية لا اكثر من
دون ان نلتمس انفسنا *

انّنا ربّما نميل الى الاعمال الصالحة لننال معارف
كاذبة او بحركة غيرة منحرفة: وقد تجد فيما بيننا
انبياء كذبة وذئابًا خاطفة تحت نظائر الخراف:
غير انّ النفس تميّزهم من قبل اثمارهم في حين السخص
والقلق . حينما ينثلم تواضعها . ويتبلبل اختلاؤها
الباطن وهدوّ سلامتها . وتفقد في دقيقة من الزمان
ما كانت قد ربحته في زمان مديد وتعب جسيم *
ولعمري انّه قد يزلّ الانسان في هذا الطريق . ألّا

انّ زلّاتهِ تجعلهُ يتواضع ويحترس على نفسهِ فيما بعد احتراسًا افضل * وقد يسمح الله ان نسقط : وذلك ليبيد شائبة من الكبرياء تتربّى فينا خفيًّا من قبل محبّة نفوسنا * وقد يصيب النفس ضيق من جرى تجارب الخطايا : فلا يجوز ان تضطرب لذلك بل الخليق بها ان تطردها بسهولة من دون افراط الاجتهاد . وان ترتدّ الى هدوِّها الاوّل من دون افراط الحزن او الفرح * واقول انّهُ يجب علينا ان نفعل شيئًا واحدًا . وهو ان نحفظ نفسنا على حال السكينة والطهارة امام الله . فانّنا سنجدهُ تعالى في داخلنا . ونعلم بالتجربة انّ ارادتهُ الالهيّة تتّجه على الدوام الى خير خليقتهِ ونفعها *

❊ الفصل الخامس ❊

في ملازمة الانفراد والتجرّد

ان كنّا قد علمنا كم يجب علينا ان نعتبر نفسنا
اي كاعتبارنا هيكلاً مختصًّا لسكنى الله: فلنحذرنّ
من ان يشغلها شيءٌ من اشياء الدنيا، ولنتّكل
على الله، وننتظر بحسن الرجاء اتيانهُ اليها ❊ انهُ
تعالى سيدخل فيها اذا وجدها وحيدةً مجرّدة لا
شوق لها الّا الى حضورهِ، ولا محبّة لها سوى محبّتهِ،
ولا ارادة لها غير مسرّتهِ ❊ فلا نفعل شيئًا خارق
العادة لكي نستحقّ ان يسكن فينا ذلك الذي
لا تستطيع كلّ الخلائق ان تدركهُ ❊ ولنقتدين
بقائدنا خطوةً فخطوةً : ولا نختار بغير اذن مرشدنا
تعبًا او عملاً نقدّمهُ للّه باختيارنا : بل يكفينا ان نحفظ

على الدوام داخلنا على حال استعداد واجب لنحتمل من اجل عبادته ما اراد وكيفما شآءهُ ❊ انّ الذي يفعل ما يشتهيه يكون الافضل لهُ ان يكفّ عنهُ ويستريح، ويدع الله ان يفعل فيه ما يرغبهُ تعالى ويشآءهُ ❊ انهُ لا يحسن بارادتنا ان تربي ضمنها تعلّقًا ما: بل يجب عليها ان تكون دائمًا على حال الحرّيّة والتجرّد ❊ ومن حيث انّهُ لا يجوز لنا ان نصنع ما نشتهيه، فيجب علينا ان لا نشتهي شيئًا: وان اشتهينا شيئًا فلنشتهه بهذا الوجه اي بان لا نقلق من جرى نهايته اذا صارت خلاف مرامنا، بل ندع قلبنا في حال الهدوّ والسكون كانّنا لم نشتهِ شيئًا ❊ انّ امانينا هي قيودنا: فمن ارتبط بها يكون اسيرًا: ومن كان ناجيًا منها، او غير مرتبط بها، فهو حرّ على الحقيقة ❊ ثم انّ الله

يريد ان تكون نفسنا وحيدة مجرّدة معتوقة على هذا النحو: لكي يصنع فيها عظائمه ويكلّلها في هذه الحيوة باكليل مجد يشبه المجد السماوي ❊ فيا للوحدة المقدّسة: ويا لحسن سعادة هذه البرّية: ويا لهذا الكوخ المجيد الذي فيه تستطيع النفس بسهولة ان تحظى بالاهها ❊ فلنذهبنّ اليه متراكضين: بل لنطلبنّ اجنحة الحمامة لنمضي اليه مطايرين: ونرقد هناك رقادًا مقدّسًا ❊ فلا نبطأ في الطريق، ولا نلتهينّ بالتحيّة والسلام على احد: بل لندع الموتى يدفنوا موتاهم: اننا ذاهبون الى ارض الاحياء، ولا نصيب لنا مع اهل الموت ❊

* الفصل السادس *

في ترتيب محبتنا للقريب

ان الله لا يسكن في نفسٍ الّا ويضرم فيها المحبّة له تعالى وللقريب * هذه هي النار التي قال عنها السيّد المسيح بانه اتى ليلقيها ويضرمها على الارض * امّا محبّتنا لله فيجب ان تكون غير محدودة: واما محبّتنا للقريب . فيجب ان يكون لها حدّ وقياس * لانه غير ممكن ان نحبّ الله بالزيادة: واما القريب فقد يمكن ان نحبّهُ بافراط * وهذه المحبّة ان كانت غير مرتّبة فيمكن ان تهلكنا : ويمكننا ان نهلك عند اهتمامنا في افادة الناس وخلاصهم * فلنحبّنّ القريب على وجه لا يلحق بنا ضررًا : ولبلوغ هذا الغرض . فالافضل والآمن لنا ان

لا نفعل شيئًا بمجرّد هذه النيّة اي بنيّة ان نكون
للناس عبرةً وقدوةً . لئلّا نهلك ونحن مهتمّون
بخلاصهم : بل لنعمل اعمالنا بسلامة قلب وبداسة
بهذه النيّة فقط . وهي ان نرضي الله * اذا كنّا
متّضعين وعرفنا حقيقة افعالنا الصالحة . فانّنا
نستخفّ بها لا محالة * فلا نعتقدنّ انّ ما يفيدنا
يسيرًا يمكن ان يفيد القريب كثيرًا : ولا يليق
ان تكون الغيرة على خلاص النفوس تعدمنا
سلامة انفسنا * فانّنا سنهلك هذا العطش
الاحتراقي لافادة النفوس متى ما اراد الله ان يصدرَ
عنّا : ولذلك يلزمنا ان ننتظرهُ منهُ تعالى * ولا نظننّ
انّه يمكننا ان نكتسبهُ باجتهادنا وتدبيرنا المصرفة *
فلنحفظنّ نفسنا في حال السلام والهدوّ وفي راحة
الوحدة المقدّسة : لانّهُ هكذا يريد الله لكي يقتني

يرتبط بها ❊ ولنستمر جلوساً في باطننا الى ان ياتي
ربّ الكريم ويستاجرنا ❊ انّ الله يلبسنا ذاته اذا
وجدنا متعرّين مجرّدين من كلّ همّ وشوق ارضي .
ويذكرنا اذا رآنا متغاضين عن ذواتنا ومتناسينها
وعلك سلامه فينا : ومحبّته الالهيّة تجعلنا ان نعمل
اعمالنا بلا معنّص . ونديّر جميع حركاتنا بحسن النظام
والاعتدال : فنفعل كلّ شيء في حال هذه الراحة
والسلامة ، التي فيها الصمت هو عين التكلّم .
وعمل كلّ شيء هو عدم العمل ، ما عدا العمل
الذي بهِ يحفظ الانسان نفسهُ حرّاً ليناً الذي افعال
الله لانّهُ يخصّ جودهُ الالهي ان يفعل كلّ شيء
فينا ومعنا ، غير طالب منّا سوى ان نستمرّ متضعين
امامهُ مقدّمين لهُ منيةً واحدةً ، وهي ان تنقضي
مسرّتهُ الالهيّة فينا على اكمل وجه ❊

* الفصل السابع *

في تجرد النفس من ارادتها

قال الرب في كتابه المقدس : تعالوا الي ايها المتعوبين والثقيلوا الحمل وانا اريحكم * هلم ايها العطاش ، وتعالوا الى نبع المياه ، وارووا ظمأكم * فلنتبع هذه الدعوة الالهية بغير احتداد عزم وتلهوج ، بل بروح السلامة والدعة ، مسلمين انفسنا باحترام وطمانينة بين يدي لطف القدرة الضابطة الكل التي تدعونا * ولننتظر بروح السلام الروح المانح السلام ، ولا ننتظر ولا نفتكر في غير الذي يجب ان نتمناه ونحبه من اجل ذاته ، ولكن مستعدين خاضعين لما يريد ان يفعله فينا * ولا نغصبن قلبنا اصلاً لئلاّ ينصدّ بعناد يقسيه فيعود غير قابل

الرقاد المقدّس الذي قد امرنا بتحصيلهِ * بل لنعوّدهُ بسهولة ولطافة على ذكر جود الله وحبّهِ واحساناتهِ الى خلائقهِ ذكرًا متّصلًا . وعلى ان يقتات بهذا المنّ اللذيذ الذي ينزل في نفوسنا بحلاوة غير موصوفة بواسطة المواظبة على هذا التأمّل * ولا نجاهد في ان نذرف الدموع ونحرّك فينا حركات العبادة : بل لندع قلبنا يستريح باطنًا في الله كانهُ في مركزهِ * ولا نزل راجين ان تتمّ فينا ارادة الله . فهو تعالى يوليناِ دموعًا في حينها . فتكون لنا حلوة مائلة بنا الى الاتضاع والمحبة والهدو * وبهاتِ العلامات نعلم مصدرها وينبوعها . ونقبلها كندى سماوي بكمال التواضع والتهيّب والشكر * ولا نجعلنّ انفسنا نعلم شيئًا او نمتلك شيئًا او نريد شيئًا * ان ابتدآء البناء الروحي وانتهآءهُ يتوقّفان على

ان لا نعتمد على انفسنا ولا على ما نعرفهُ ونريدهُ ونملكهُ : بل لنمكث في حال التجرّد الكلّي جالسين مثل المجدليّة عند رجلي يسوع غير مهتمّين الّا بان ننظر مرتاً *

وان طلبت الله بنور العقل النطقيّ لكي تستريح فيهِ ، فلا تستعملنّ لذلك تشابيه حسيّة وكلّ ما هو محدود : لانّهُ تعالى فائق على كلّ تشبيه ، وهو موجود في كلّ مكان بغير تجزّؤ ، وكلّ شيء موجود فيه * فتصوّر اذاً اتّساعًا غير محدود لا يقدر ان يحدهُ شيء ، وقدرةً قد فعلت كلّ شيء وتحفظ كلّ شيء * وقل لنفسك : انّ هذا الملك فتامّلهُ تعالى دائمًا ، واذهل من عظمته متعجّبًا من انّهُ تعالى في كلّ مكان وفي نفسك ، وبها يريد ان يجعل تنعّمهُ بحسب قولهِ : مع انّهُ سبحانه

غير مفتقر اليها يريد ان يصيّرها اهلاً لهُ ۞ وعندما تطلب هذه الحقائق بتفلسف العقل ، فصيّر الارادة ان تتحرّك حركات هادئة ليّنة ، ولا تهمل رياضات العبادة ، ولا تضع لها حدودًا كمن يلزم ذاتهُ بان يفعل او يتامّل او يقرا كذا وكذا من المقدار ۞ بل احفظ قلبك حرًّا ، لكي يستقرّ حيث يجد راحتهُ ، ويكون مستعدًّا للتمتّع بالربّ متى شآء هو جلّ جلالهُ ، غير مبالٍ من انك ما فعلت كلّ ما قصدت ان تفعلهُ : لكن دع ما بقي جانبًا : ولا تصغَ لفكر آخر من جميع الافكار ۞ لانّ غاية رياضاتك الروحية هي الحظوة بالله: فمتى بلغت هذه الغاية يجب عليك ان تترك كلّ الوسائط ۞ واعلم انّ الله يريد ان يهدينا في الطريق الذي يشآءهُ : فان افترضنا على انفسنا ان

نفعل هذا او ذاك، وجعلنا الشيء الوهميّ ضروريًّا
لازمًا، نكون قد طلبنا الله ونحن فارّون منهُ، ونقصد
رضاهُ ونحن متغاضون عن العمل بارادته، غير
جاعلين انفسنا في حال يمكن الله فيها ان يفعل
بنا شيئًا* فان اردت ان تسير في هذا الطريق سيرًا
سعيدًا، وان تبلغ بامن الى الغاية التي يؤدّي اليها
هذا الطريق، فلا تطلب ولا تشتهِ سوى الله: فاذا
وجدتهُ واعطاك نفسهُ فامكث هناك، ولا تسِرْ
خطوةً الى قدّام دون اذنهِ تعالى* وتمتّع معهُ براحة
القدّيسين* واذا انصرفت عنك حرّتهُ، فواظب
على رياضاتك، واطلبهُ تعالى ثانيةً: فان وجدتهُ
فاترك كلّ شيء لتتنعّم بهِ* انّ هذه النصيحة جزيلة
النفع جدًّا، ويجب عليك ان تحفظ ذكرها وتتدرّب
على موجبها* لانّهُ يوجد اكليريسيّون كثيرون

يغنون منغلبين من تعب رياضاتهم التي لا يجتنون منها نفعًا ولا راحة: اذ يتوهّمون دائمًا انّهم ما فعلوا شيئًا ان لم يأدّوا ما الزموا انفسهم به، وانه في هذا قائمٌ الكمال * ولعمري ان هذه عيشة فعلة قد تعيّن عليهم العمل في كلّ يوم قبالةً: وهم اسرى لارادتهم، لا يبلغون ابدًا السلام الباطن الحقيقيّ الذي هو مسكن الربّ ومقدس السيّد المسيح *

* الفصل الثامن *

في الايمان بسرّ القربان المقدّس وفي تقريب انفسنا لله

لا يليق ان يبقى ايماننا بسرّ الاوخرستيا ومحبّتنا لهُ على حال واحدة. بل يجب ان ينميا ويقويا فينا في كلّ يوم ويصيرا لنا كشيء طبيعي. لكي نتقدّم الى هذا السرّ بارادة مستعدّة لاحتمال كل

انوع من الاتعاب والاحزان والشدائد التي له ★
لا نطيق ان يستحيل البلا . بل ان نستحيل اليه
تعالى ★ لا نسيهنّ ان الالم معدٌ . بل يجب ان تمتلي
نفسنا كالكاس العجب والابتهاج . ونشغل كل
قواها امام عزته : فينفصل العقل عن هذا السر
الغير المدرك . وينبسط القلب بالسرور تجاه هذه
العزة المتعالية المختفية تحت هذه الاعراض
الصغيرة . ولا نشتهينّ ان يظهر لنا بوجه آخر . بل
لنذكر انه تعالى قال : طوبى للذين لم يعاينوني
ويؤمنون بي ★ ثم انه يجب فوق كل شيء ان
نستمر ثابتين في رياضاتنا مواظبين على استعمال
وسائط تطهير النفس وتنقية نواياها وذلك بهدوء
وسكينة ★ فما دمنا نعمل هذه الرياضات لا يعدمنا
الله نعمة الثبات ★ وانه من المحال للنفس التي

ذاقت لذة هذا الرقاد الروحيّ ان ترتدّ الى عيشة اصحاب الدنيا لانها تجدها عذاباً غير محتمل *

* الفصل التاسع *

في ان راحة النفس وسرورها في الله وحده

انّ النفس التي لا تبتغي من العالم شيئاً غير اضطهاداته واهاناته . ولا تحبّ شيئاً من كلّ خيراته . ولا تجزع من شروره : بل تفرّ من خيراته كفرارها من السمّ المميت . وتلتمس شروره كالتماس تنعّمها اللذيذ . تكون قابلة ومستعدّة لنوال تعزيات عظيمة من الله . اذا جعلت كلّ اتكالها عليه . ولم تعتمد على ذاتها البتة * انّ شجاعة بطرس الرسول قد كانت عظيمة جدًّا حينما قال للمسيح : انا مستعدّ لان اموت معك * والظاهر انّ عزمه

هذا كان جيّدًا جدًّا . غير انّه كانت توجد في عزمه هذا رذيلة. وهي ارادته الذاتيّة . وهذه الرذيلة سبّبت سقطته * فحقًّا حقًّا انّنا لا نقدر ان نفعل شيئًا حسنًا دون عون القدرة الالهيّة * فاجتهد في ان تحفظ نفسك ناجيةً من كلّ اشتهاءٍ . ولكن في عملها بكلّيتها حاضرةً لما تفعله وتفكّر فيه * ولا تدع ان يلهيها عنه اهتمامها بما هي عتيدة ان تفعله وتفكّر فيه بعد ذلك . مع انه يجوز لكلّ احد ان يهتمّ بامور الدنيويّة باجتهادٍ وفطنةٍ وافرار حسب ضرورة تدبيره * لاننا اذا باشرنا هذه الامور كما يجب فلا نضادّ النظام والتدبير الالهي . لاننا في السلام الباطن والنموّ الروحيّ *

ولكن لكي نستعمل الزمان والعمل الحاضر استعمالًا جيّدًا ونتصرّف به تصرّفًا حسنًا .

فالافضل لنا ان نقدّم لله دائمًا ارادتنا عريّة مجرّدة من كلّ شوق . ونستمرّ ممتلين امام حرّيته بزيّ فقير ضعيف مفلس عاجز عن العمل والكسب * لانّ جوهر الكمال يتوقّف على هذه الحريّة حرّية الروح المتنزهة من كلّ تعلّق بما يوجد فينا وخارجًا عنّا لكي نكون متعلّقين بالله تعلّقًا مطلقًا . ولعمري انّه من المستحيل ان يوصف بل ان يدرك جزيل اهتمام الجود الالهي بخليقة متعبّدة له كهذا بكليتها * لانّه تعالى يسرّ بتقدمتها له فلبها بحسن الانفعال . يجب ان يحلّ لها مشكلاتها . ويقيمها بعد سقوطها . ويغفر لها ذنوبها كلّما ندمت عليها : لانّه لم يزل هو الكاهن الى الدهر * لانّه وان كان قد اعطى القديس بطرس وخلفاءه سلطانًا مطلقًا ليحلّوا ويربطوا . لم يعدم نفسه هذا السلطان : فاذا ابى

الكاهن ان يناول النفس الاسرار المقدسة حتى ما اشتاقت الى ذلك يقبلها اخوه ويجود عليها بالمغفرة كلما اتت اليه بروح الابتهال والندامة والمحبة * فهذه هي الاثمار الناتجة من المعري والتجرد المقدس المتقدم ذكره *

* الفصل العاشر *

في التحذير من الموانع والصعوبات التي نجدها في هذا السلام الباطن

ان الله ربما يسمح ان يتخلّل هذا السلام ويعترض اختلاء النفس الروحي وهدوها المقدس بحركات محبة ذاتها . وبالاخبار الصادرة عنها وعن اهوائها المنحرفة الآن لا من حيث ان جودة الالهي

يسمح بهذا الخير لنا الاعظم، فانهُ سيروي يبس قلبنا بطل تسلياته: وهذا المطر الالهي يبدد هذا الغبار. لا بل يثمر فينا اثماراً مقبولة لله ايضاً * فبهدو هذا الهدوات الباطن وبهذا السجس المسبب عن حركات الشهوة الحساسة حصل القديسون على انتصارات عظيمة قد اكتسبوا بها اكاليل المجد السماوي * فاذا الم بك هذا الضعف والكره الروحي والسجس والحزن الباطن. فقل لله بقلب محب ومتخشع: الاهي اني الخليقة التي جبلتها يداك، والاسير الذي افتديته بدمك الزكي: فتصرّف فيَّ بحسب تصرّفك بما هو لك وقد خلقتك فقط: يكفي ان اتكل عليك * طوبى للنفس التي تقدّم ذاتها هكذا لله في يوم الحزن * فان كنت لا تستطيع ان ترتّب نفسك سريعاً، وتطابقها مع ارادة الله، فلا تحزن لذلك:

فهذا هو صليبك . ويريد ابن الله ان تحمله وتقتدي به * انه تعالى قد حمله لكي نتعلم منه ان نحمله ايضاً * تذكر معركته في بستان الزيتون وضايقه باسره وضعفه الذي حمله تعالى ان يقول: يا ابتاه ان كان الامر ممكناً فلتعبر عني هذه الكاس * ثم لاحظ شجاعة نفسه التي تسامت فوق ضعف الجسد . فاستقلت حالاً قائلة: لتكن ارادتك لا ارادتي * فربما الضعف البشري يجعلك تفر من كل شدة . واذا اتتك تشمئز منها وتتمنى ان تكون بعيدة عنك * الا انه يجب عليك حينئذٍ ان تواظب على الاتضاع والصلوة الى ان لا تريد ولا تشتهي شيئاً سوى ان تتم فيك مسرة الله * اجتهد في ان يكون مسكن قلبك لله وحده . ولا تدع فيه مرارة او اشمئزازاً وفكرها اختيارياً من

ايّاً شيء كان * لا تشخص بنظرك او بفكرك في افعال القريب الرديّة. بل جزمتغافلاً عنها . وسِر في طريقك متفكرًا مهتمًّا بهذا فقط . وهو ان تحيد عمّا يمكن ان يسبّب لك الضرر . لانّ من اعظم الوسائط مجاوزة كلّ شي وتركهُ وراءه . وعدم الاستقرار في شيء من الاشياء *

* الفصل الحادي عشر *

في الحيل التي بها يروم الشيطان ان يكدر سلام النفس

اعلم انّ عدوّ خلاص البشر يجتهد على الخصوص في ان يخرجنا من حال الاتضاع وسلامة القلب المسيحيّة * ولكي يملك اربه هذا بقوة جهدهُ في ان يصيّرنا معتمدين على انفسنا . اي

على حسن ربطها واجتهادنا . متقلدين بالفكر ذواتنا على غرورنا فتسلّلنا بصيرتنا الى محبة الشريب محتاجين نحن له . فحينئذٍ يدخل فينا خفياً باحدى هذه الوسائط . الّا انّ الباب الذي يمكن اشدّ ما يكون ان يدخل منه الغاوي هو باب الاستكبار واعتبار نفسنا . فالواسطة الآيلة للنجاة من هذه الحالة . هي المكث في ملجأ الاتضاع المقدّس بلا خروج منه وتحصيله . فانّا ان خرجنا من هذا الملجأ الامين . لا يمكن ان نخلص من هذا الروح المتكبّر . وان انتصر على ارادتنا بهذه الطريقة . فانّه يملكها . ويسلّط عليها جميع الرذائل *

ولهذا لا يكفينا ان نلازم الحذر على الدوام فقط . بل يلزمنا ان نلتجئ الى الصلوة ايضاً .

لانهُ قد قيل : اسهروا وصلّوا * على انه لا يمكن ان يُحفظ كنز سلام النفس الاّ بهذين الحارسين * فلا ندعنَّ عقلنا يقلق ويتحمَّس لايّ شيءٍ كان * انّ النفس المتّسعة الهادئة تفعل كلّ شيءٍ بسهولة ، ولا تبالي من الموانع : بل تعمل الخير وتستمرّ عليهِ مواظبةً * واما النفس المتحمّسة المضطربة ، فانّها تصنع خيرًا يسيرًا ، وتصنعهُ بوجه غير كامل : وترتخي سريعًا وتتعب دائمًا ، وتعبها لا يجديها نفعًا البتّة * ثمّ انّه يجب ان تميّز الافكار الواجب قبولها من الافكار التي يجب طردها ، وذلك بهذا القاعدة وهي : اذا كانت الافكار تحثّ على زيادة الاتّكال على الله اتّكالاً مقترنًا بالمحبّة ، فاقبلها كرسالات واردة من السمآء ، وردّدها في عقلك

كثيرًا . واجعل فيها تنعمك به واذا كانت الافكار تضعف اتكالك على مراحمه الغير المتناهية . فاطردها كوساوس شيطانية . لانّ مجرّب النفوس الطاهرة يريها زلاّتها الاعتيادية اعظم جدًّا ممّا هي في ذاتها . ويصوّر لها انّها لا تقضي ابدًا ما هو مطلوب منها . وانّها لا تعترف جيّدًا . وتتناول الاسرار الالهية بعبادة باردة . وانّ صلواتها مشحونة بعيوب باطلة : وهكذا يجتهد بهذه الشكوك ان يحفظها دائمًا في حال السجس والاضطراب بالحقّ : ويحثّها على ترك رياضاتها الروحية كانّ كلّ ما تعمله هو باطل غير نافع . او كانّ الله قد اهملها . مع انّ جميع هذه التخيّلات كذب محض . لانّ الفوائد الناتجة من طيابة العقل واليبس الروحي ومن الزلاّت الباردة في العبادة

هي كثيرة جدًّا . وذلك عندما نعلم ونفهم جيدًا
ما يريده الله منّا في هذه الحال ونحسن الصبر
ونواظب العمل ۞ قال القديس غريغوريوس
المعظّم: انّ الله يسرّ بالنفس التي تصلّي او تعمل
عملاً آخر مع الخاطر بتكدُّر . ولاسيّما اذا كانت تستمرّ
على العمل مع كونها باردة يابسة غير حاسّة بعبادةٍ
فصبرها حينئذٍ يصلّي عنها بكفاية . ويجعل
امورها امام الله افضل جدًّا ممّا يمكنها ان تصيّرها
ناجحة صلواتها الحلوة ذات العبادة المحسوسة ۞
وقال ايضًا هذا القدّيس المتقدّم ذكرهُ: انّ هذه
الظلمة الباطنة المدلهمّة المحيطة بالنفس في زمن
صلاتها هي نورٌ مضيءٌ لامع امام الله: وانّنا لا نقدر
ان نفعل شيئًا اكثر تأثيرًا وفاعليّةً من هذه
لاجتذاب عزّته الينا: وانّ هذا يضطرّهُ اضطرارًا

ما ان يمنّ علينا بانعامات جديدة * فلا تهملنّ ابدًا عملًا ما جيدًا مهما كنت تستصعبهُ وتستكرههُ : لانك اذا اهملتهُ تكون قد ارضيت الشيطان بذلك * وتعلم بقراءة الفصل التالي جدول الفضائل التي تستطيع ان تحصّلها من المواظبة على رياضات العبادة بروح الاتضاع في حين اليبس الروحي *

---

* الفصل الثاني عشر *

في انهُ يجب على النفس ان لا تعرض وتخبر عنه تجاريبها الباطنة

ان الخيرات الصادرة من يبسنا الروحي بل من الزلات البادرة في رياضاتنا هي كثيرة جدًا : غير اننا لا نستطيع ان نكسبها الا بالاتضاع

والصبر ٭ فلو فهمنا هذا جيدًا لنجونا من شيء كثير من الحزن والتأسف ٭ فيا لجزيل غباوة الذين يظنون في الله انه يشمئز منهم ويكرههم وهو يظهر لهم محبته ٭ وانه يعذبهم بغضب وهو يلاطفهم بجوده الالهي ٭ كيف لا يدرون بان شعورهم بالتعب الواصل اليهم من قبل هذا اليبس الروحي ٭ لا يمكن ان يحدث الا من قبل رغبتهم وشهوتهم ان يكونوا مقبولين لدى الله مستيقظين نشيطين في خدمته تعالى ٭ اذ ان احد الامور التي تحزنهم هو سلب العبادة وكراهيتها يستنتجون منه ان الله يشمئز منهم كاشمئزازهم من انفسهم ٭ مع ان هذا هو شيء جيد جدًا صادر من علة جيدة ٭ وذلك لانه لا يحدث الا للذين يريدون ان يعبدوا الله عبادةً حقيقية ٭ وان يبتعدوا عما يغيظه تعالى ٭ لا بل عما لا يرضيه

ايضاً • فترى الخطاة الاثيمين • والذين يعيشون
على حسب هوى الدنيا • لا يشكون كثيراً من هذه
التجربة • فحقاً انها الذات كريهة تنفر منها [illegible] •
الا انها تنفعنا نفعاً وافراً لا ندري به • حتى انه مهما
كانت هذه التجربة ثقيلة • فانها كما تحزننا
تسبب لنا نفعاً وفائدة • وعندما لا تتهيأ النفس
لهذا لا تريد ان تسير في طريق لا ترى فيه سوى
ما يكرهها ويحزنها • وما ذلك الا لانها لا تريد ان
تكون ابداً خالية من لذة وسلوى • ولان كل ما
ما كان خالياً من هذه الحلاوة تحسبه فارغاً من
كل خير ونفع ※

* الفصل الثالث عشر *

في انّ الله يرسل لنا هذه التجارب لخيرنا

انّنا اذ كنّا بالطبع متكبّرين . فلذلك نلاطف انفسنا في كلّ شيء ونداريها ونعتبرها اكثر من الصواب والحقّ * الّا انّ هذه المجاسرة تضادّ النمو الروحي تضادًّا شديدًا . حتى انّ من يستنشق رائحتها ويستعذبها ولو يسيرًا . لا يقدر ان يبلغ الكمال الحقيقي * وهذا هو الداء الذي نجهلهُ * غير انّ الله محبّنا العارف به يجتهد دائمًا ان يزيل عنّا هذا الغشّ والخداع . وينجّينا من ضلال هذه المحبّة الذاتية المذمومة . ويردّنا الى معرفة ذواتنا * وهذا هو ما فعلهُ ببطرس الرسول حينما انكر ربّهُ ولم يعترف بما كان . وذلك لكي يرتدّ الى معرفة ذاته .

فينجو من مجاسرتهِ * وهذا ما فعلهُ تعالى ايضًا
برسولهِ الآخر. اعني بولس الذي اوقع على راسهِ
تجربةً كريهةً تحملهُ. ضدّ ارادتهِ ان يشعر كل يوم
بضعفهِ الطبيعي * فلنتعجبنّ من جودة الله وحكمتهِ.
لانّهُ يجاربنا بقصد نفعنا وخلاصنا. ويحسن الينا
بغير ان ندري بذلك. اذ نظنّ فيهِ تعالى انّه يعذبنا
ويضرّنا * ونحن نخال انّ برودة قلبنا دليل على
انّنا عديمو الكمال وغير قابلين لما يحقّ عبادة الله.
ونعتقد بسهولة انّهُ لا توجد نفس اكثر تعسًا
واقصى بعدًا من الله من نفسنا. وانّهُ ليس لله عبدٌ
يخدمهُ بتوانٍ وكسل نظيرنا. وانّ الافكار التي
تمتحننا لا تصيب سوى الذين اهانوا الله *
وهذا الدواء المرسل الينا من السماء. يصيّر من كان
متكبرًا ان يحسب نفسهُ اشرّ من يوجد في العالم.

غير اهل لان يدعى مسيحيًّا * ولولا هذا الدوآء ،
لكان يتنازل من نساهت افكارهُ الى العلوّ الذي
اليه رفعتهُ كبرياءة الطبيعة ، ولما شفي من انتفاخ
استكبارهِ ، ولما خرجت من راسه وقلبه ابخرة
صلفهِ واضمحلّت *

ولعمري ان الخير الذي يحصل لنا من قبل
هذه التجارب والاحزان الباطنة التي تجعل انفسنا
في حال اليبس الروحي ، وتنافي كلّ حلاوة العبادة ،
ليس هو الاتضاع فقط : بل ان هذه الحال تضطرّنا
ايضًا بالارتداد الى الله ، وبالفرار عن كلّ ما يمكن
ان يغيظهُ ، وبعمل الفضائل باجتهاد زائد * واذا
قبلنا هذه الشدّة بالصبر، تكون لنا بمقام نار مطهريّة ،
لانها تطهّرنا وتعدّنا لاخذ الاكليل * فاذا تبثت
عند النفس هذه الحقيقة ، فلتنظر هل يكون لها

سبب لتتمجّس وتفقد سلامتها، لأنها اضاعت حلاوة العبادة، وحصلت على تجارب روحية * على يليق بها ان تنسب الى الشيطان ما اتاها من قبل الله، وان تتوهّم في ما دبّره الجود الالهي وارسله اليها حتّى تظنّه انه فعل من افعال غضب الله، انه في هذه الحال يجب عليها ان تفعل شيئًا واحدًا لا غير، وهو ان تتضع امام الله وتواظب على رياضاتها، وتحتمل بالصبر كراهيتها، وتطابق ارادتها مع ارادته تعالى، وتجتهد في حفظ سكونها وارتضائها بكل ما يأتي من قبله، اي من قبل ابيها السماوي * ولا تغتم بالحزن متضيقة: بل يجب عليها ان تفرح وتشكر وتنبسط وتستمر في حال سلامتها وتسليمها للرسوم الالهية راضية *

❊ الفصل الرابع عشر ❊

في دفع الحزن من جرى ذنوبنا

اذا اتّفق ان تخطئ بالفعل او بالكلام: كأن تحتدّ بالغيظ والحنق لحادثة من الحوادث. او تهمل رياضاتك الروحيّة بحركة روح البحث والتفتيش. او تطلق العنان لفرح مفرط. او تشكّك القريب او تزلّ بنوع آخر من الزلّات. ولو جرى ذلك مرّات كثيرة بنوع واحد. وبذلك النوع الذي قصدت ان تحذر منه. فليس لك ان تضطرب وتتحمّس لذلك: بل لا يجب عليك ايضاً ان تردّد في فكرك كثيراً ما قد مضى مضايقاً بذلك نفسك ومسبّباً لك فشلاً. متخيّلاً في عقلك انّك لا تصلح سيرتك ابداً ولا تعمل رياضاتك كما يجب. وانّك لو كنت

قد عملتها جيداً لما رجعت الى ذاتك هكذا مرات
كثيرة ۞ لانّ هذا تضيّق روحي • وتضيّع زمن
يجب عليك ان تحترس منها ۞ ثمّ احذر من
ان تفحص بالتدقيق عن اعراض زلّتك •
اجديداً كان ام وجيزاً: او ارتضيت بها ارتضاءً تاماً
ام لا: لانّ هذا من شانه ان يملأ عقلك من التحيّر
والاضطراب قبل الاعتراف وبعده. اذ يوهمك انك
لم تقل ما كان ينبغي ان تقوله ولا قلته بالوجه
الواجب ۞ فان كنت تعرف ضعفك الطبيعي •
وشروط تردّدك مع الله بعد زلاتك • تنجو من ذلك
القلق كله ۞ لانّه لا ينبغي ان تتردّد معه تعالى
بهذا الحزن والملل اللذين يقلقانك ويضعفان
نفسك: بل يجب ان تردّ الى جودة الالهي الابوي
بروح الاتضاع والهدوء والمحبة ۞ ويقول هذا بلا احط

الزلات الخفيفة والباهظة . تلك التي تحدث من الكسل والتواني . والتي تحدث من الحبانة ايضًا . وهذا ما لا يفهمهُ كثيرون * فهولاء عوضًا عن ان يتدرّبوا على موجب الاتكال الولديّ على جود الله ورحمتهِ . تبلغ بهم جبانة روحهم الى انّهم بالكاد يستطيعون ان يفكروا فكرًا حسنًا . فيعيشون عيشًا متقبضًا . لانّهم يفضّلون تخيلهم على التعليم الحقيقيّ الخلاصي *

※ الفصل الخامس عشر ※

في أنه يجب علينا ان نهتدي انفسنا ولا نضيع الزمان في حين ورود السجس

فتدرّب على حسب هذه القاعدة كلّ مرّة تزلّ وتخطئ خطيّة باهظة او خفيفة . ولو ارتكبتها

متعمدًا الف مرّة في النهار ٭ فاذا اطّلعت على ما فرط منك، فتذكر ضعفك والتجئ الى الله بروح متضع، وقل له تعالى: قد رايت يا ربّ اني فعلت ما قد كان في طاقتي: ولكن الخطيئة لا تقدر ان تصدر سوى الخطيئة: وقد تفضّلت عليَّ بنعمة الندامة ٭ والآن اطلب من جودك ان تجود عليَّ بالمغفرة وبنعمة ان تحفظني دائمًا من الرجوع الى الخطيئة ٭ وبعد ان تفرغ من هذه الصلوة، لا تتعب باطلًا بالفكر، هل غفر الله لك، وعفا عنك: ولا تذكر ما قد مضى، بل ارجع الى رياضاتك بتواضع وهدوّ كما من قبل، ولو سقطت واذنبت في النهار مائة الف مرّة ٭ فيجب ان تفعل بعد السقطة الاخيرة كما فعلت بعد الاولى: لانك ما عدا انك بهذا ترتدّ الى الله المستعد على الدوام

لتبوالك باحشاء رحمة الابوة. فانك تجد فيه فائدة اخرى. وهي انك لا تضيع الزمان بتحمس وحزن يقلقان العقل. ويصدانه عن الارتداد الى السكينة والامن * فيا ليت هذا يفهمه اولئك الذين يتحمسون ويفشلون لسبب زلاتهم. ليعلموا الفرق العظيم بين حالهم وبين حال النفس المتضعة الهادئة. التي فيها يملك التواضع مع السلام. يضياع الزمان الذي يصيبهم من تحمسهم *

---

* الفصل السادس عشر *

يشتمل على مضامين عقلية في شان الموت

اننا في كل دقيقة من حياتنا واقفون على باب الموت. ونحتمل من ذكره اثنتي عشرة فائدة *

الفائدة الاولى هي انّ الموت يصيّرنا ان نحكم عن كل شيء حكمًا مستقيمًا خاليًا من كل غشّ وطغيان: وهو مدرسة الحكمة الحقيقيّة * انّ دخول الانسان الى العالم وخروجهُ منهُ عريانًا يدين انهماكهُ بربح خيرات الارض: وكذلك خروجهُ وحيدًا مجرّدًا يخزي تعلّقهُ باصطحاب الخلائق * وفساد اللحم وتناتنهُ في القبر، حيث يُلقَى طعامًا للدبيب، يشفيان غباوة الذين يحبّون اللذّات الجسديّة * وحال اجسادنا الموضوعة في قلب الارض بين بهائم لا تستاهل ان تبصر الشمس وانطراحها تحت اقدام الناس، يريانا جليًّا خسافة الذين يرغبون الارتقاء فوق رؤس الناس * الفائدة الثانية هي انّ الموت هو معلّم مدرسة هذه الحيوة، ولا يوصينا الاّ بشيءٍ واحد فقط، وهو ان

نوجه كل اعمالنا الى غايتنا * وهذا الاعتبار هو
للانسان كالذنب لحيوانات الارض ولطيور السمآء
وسمك البحر * فحيوانات الارض تحرس بهِ انفسها
من لدغ الزنابير والذبان : وطيور السمآء وسمك
البحر يقدن به اجسادهن في الجوّ والمآء * الفائدة
الثالثة هي انّ الموت يجعلنا ان نحتقر الاشيآء
الارضيّة الزمنيّة ويبعثنا الى البراري والاديرة *
الفائدة الرابعة هي انّ الموت يعرّف الانسان
بنفسهِ : وهذه المعرفة هي اخصّ اركان الحكمة *
الفائدة الخامسة هي انّ الموت هو تجليد يبرّد نار
الشهوة الجسديّة ويخمّدها ويطفيها : وهو كعنان
يضبط اهوية الجسد * الفائدة السادسة هي
انّ الموت هو نبع حيّ ينبع الاتضاع ، وهو الدوآء
الوحيد لتعظّم العقل وانتفاخ القلب * الفائدة

السابعة هي انّ الموت هو دواء عظيم لحفظ النفس من الخطيّة: ولهذا قال الحكيم: اذكر اواخرك في كل افعالك فلن تخطي * الفائدة الثامنة هي ان الموت يردّ النفس المحزنة بالغيظ الى حال الحلم والمسالمة * ولعمري انّ الذي يتأمل جيدًا انّ الموت الذي لا فرار منه ولا تعرف ساعة اتيانه يجعل الانسان امّا قابلًا لرحمة من لا يغفر الّا للذين يغفرون، او قابلًا لعدله. لا يستصعب ان يغفر لقريبه * الفائدة التاسعة هي انّ الموت هو ترياق شافي يدفع سمّ لذّات الدنيا وصفاتها * وبالحقيقة انّ ذاك الامير الذي اجلس رجلًا على كرسي عتيق مسوّس، وكانت تحته نار ملتهبة، وراءه حزينًا مكتئبًا لخوفه من ان ينكسر الكرسي تحته فيسقط في النار، لقد اصاب بقوله: انّه يجب ان اعتبر

جسدي ككرسيّ ممدود يمكن ان ينكسر بي في كلّ ساعة، بل في كلّ دقيقة، وجهنّم كنار متّقدة تحته، يجب عليّ ان اخشى من ان اسقط فيها ❋ الفائدة العاشرة هي انّ الموت هو وكيل حياتنا ومدبّرها: لانّه يضع تجاهنا هذه الحقيقة: وهي انّ لنا مسكنًا ابديًّا لا في هذه الدنيا العابرة، بل في موضع آخر ❋ وهذا يجعلنا ان نكثر افعالنا الصالحة، ونجمعها كزاد للحيوة العتيدة ❋ الفائدة الحادية عشرة هي انّ الموت يصيّرنا ان نفعل باختيارنا افعال التوبة ❋ الفائدة الثانية عشرة هي انّ الموت يجعلنا مواظبين على عمل هذه الافعال

❋

❊الفصل السابع عشر❊

في التوبة

انّ التوبة هي الطريق الوحيد الذي به يستطيع الانسان ان يرجع الى الله تعالى الذي انفصل منه بالخطيّة ❊ وتقسم الى نوعين: وهما توبة القلب وهي التوبة المتعطفة، وتوبة العمل وهي التوبة الفاعيلة ❊ ويلزمنا ان نستعمل النوعين نظرًا الى دعوتنا ❊ امّا توبة العمل وهي التوبة الفاعليّة فتؤدّى في حين المرض والشدّة التي تاتينا دون اختيارنا، وفي الاتعاب والمشقّات التي نختارها بهذه النيّة اي بنيّة الوفاء عن خطايانا ❊ فتعمل هذه التوبة في حال الشدائد الملمّة بنا اذا قبلناها لاعتقادنا انّنا مجرمون امام

الالسبب خطايانا، وانّهُ تعالى يرسل هذه الاتعاب والشدائد كأب مؤدّب، او كديّان معذب في هذه الحيوة ليغفر لنا في الحيوة العتيدة * وتُعمَل ايضًا حينما نعترف بذنوبنا نادمين، ونقبل القانون عنها خاضعين * ولكي يؤثّر في قلبنا هذان الفعلان الباطنان تأثيرًا اشدّ تفيدنا الاعتبارات الآتي ذكرها *

اعتبر اولًا انّهُ لو وضع الله في ميزانٍ خطايانا التي يعذّبنا من سببها والعذاب الذي نقاسيه من جراها. لظهر لنا ذلك كلا شيء بالنسبة الى خطايانا *

اعتبر ثانيًا انّ الشدّة التي تدركنا هي بامر الله: وانّهُ تعالى يريد ان ننتفع منها بقبولنا اياها وفآء عن خطايانا * وقصدهُ بذلك هو ان يجعلنا

نفتكر في سيرتنا الرديّة: لانّنا لا نفتكر في خطايانا، الاّ حينما يبتدئ الله بتعذيبنا ❊

اعتبر ثالثًا انّهُ اذا رجعنا الى حال النعمة بواسطة سرّ التوبة، يبلونا الله بالشدائد، لكي نفي بها عن آثامنا بعد الاعتراف بها ❊

اعتبر رابعًا انّ الهلاك الابديّ هو ذهاب الخطيّة المميتة، وهو عذاب النار المؤبّدة وسلب معاينة الله والحظوى بهِ الى الابد ❊ ويمكن انّهُ يوجد الوف الوف وربوات ربوات من الهالكين لم يخطئوا بعد المعموديّة سوى مرّة واحدة، وانّهُ لا يُحصى عدد الذين بعد فعل الخطيّة ماتوا حالاً ❊

فردّد في عقلك هذه الاعتبارات في حين شدائدك ❊ ويحسن بك ان تختلي لكي تتأمّلها، وتقنع نفسك بهذا البرهان قائلاً: انّهُ من المؤكّد

على موجب اركان الايمان انهُ منذ سقوطي
في الخطيّة المميتة الاولى التي ارتكبتها بعد المعموديّة
كان يجب ان أُسلَب من هذه الحيوة وأُطرَح
في دركات جهنّم مع الخطاة : وكنتُ مستحقًّا منذ
سنين كثيرة ان اكون في وسط هذه النار الآكلة .
معذَّبًا فيها الى الابد ❊ واعترف انّي انّما نجوتُ
من هذا العذاب السرمدي بنعمتك يا ربّ .
وانت لم تفعل بي ما قد فعلتهُ بجميع الخطاة
الهالكين : بل بدّلت هذه العذابات الهائلة
الابديّة بهذه الشدّة الزمنية الوقتيّة ❊ فكيف يجوز
لي ان اتذمّر متنازقًا واشكو متضيّقًا : لانّ
العذاب الذي اصابني يعبر سريعًا : وامّا العذاب
الذي استحقّهُ عن خطاياي فلا يزول ابدًا ❊

ويجب علينا ان نعمل توبة العمل بالامتناع

الاختياري عن بعض ترفُّهات يستطيبها الروح او الجسد بنيّة ان نفي بذلك ما يجب للعدل الالهي وان نحتمل اضطهادات الناس وافتراءهم ونقدّم ذلك للعزّة الالهيّة وفآءً عن خطايانا *

واما توبة القلب اي التوبة المتعطّفة ، فاننا نكتسبها بالنعمة وبسعينا معها كما قال الرسول * والحال انّ الواسطة التي رسمها الله لاكتساب النعمة هي طلبها ، كقوله تعالى : اطلبوا تعطَوا * فلنصلِّ ولنسعَ في نيلها * ويجب ان نطلبها اولاً بافعال الطلبة التي نفعلها مرارًا كثيرة في النهار : وثانيًا بالكلمات بحسب الاشواق التي يصدرها الله في قلوبنا ، قائلين : الهي كيف تجاسرتُ انا ان اسيءَ اليك : وكيف لا اندم بعد فعل المعصية ندامةً اشدّ من ندامة اعظم

الخطاة التائبين * اني افهم الآن يا الاهي وابي السماوي صبرك الغير المدرك : لانك لم تعدمني بعد اني تجاسرت بان اتمرد عليك * ويمكنك ويفيدك ايضًا ان تستعمل كلمات القديسين التائبين المذكورة في الكتب المقدسة قائلًا مثلًا : ارحمني يا ربّ انا الخاطي : يا ابتاه اخطأتُ الى السمآء وامامك ، ولستُ استحقُّ ان ادعى لك ابنا : اليك يا ربّ اخطأتُ ، والشرّ قدامك صنعتُ * الآن اني اسالك ان لا ترذل قلبي المنسحق المتواضع ، وما يضاهي ذلك * ولكي تحصل على هذه التوبة المنعطفة ردّد في عقلك الحجج المؤثرة اكثر لاجتذاب القلب * فتامّل الجود الالهي الذي قد اختبرت عظمتهُ بما صنع معك وفيك ، وجلال عزّتهِ الالهيّة الغير المتناهية

الينا . وصرامة عدله المتقم الذي يقدر ان يهلكنا الى الابد * ولكي تبلغ اربك هذا اثل الكتب المتضمنة ايرادهُ الحجج والمناسبة لاصدار هذه الحركات في قلبك * واذا الان قلبك يتعطف بقرآءة هذه الكتب فدعهُ يتوجع ويحزن امام الله * واذا بقي على حال اليبس والصلابة . فاتضع واحزن على صلابتهِ : واطلب من جودهِ تعالى ان يعطيك ذلك المآء الخلاصي الذي طلبتهُ تلك المراة السامرية . قائلًا معها : اعطني يا رب نقطة واحدة من هذا المآء . اي من هذه الندامة التي تسكّن غضبك وتسلب من يدك اسلحة عدلك * واذا طلبت من ابيك السماوي خبزك اليوميّ . فاطلب خبز الدموع الذي هو خبز الخطاة اليوميّ * والتمس هذه النعمة

بالقلب والعمل * واذا حرّكك الله الى ان تعمل عملاً صالحًا كالصدقة او الصوم او غير ذلك من افعال التقشّف : فقدّمه لله لكي ينيلك ما لا يمكنك ان تحصل عليه بقوّتك، اعني روح التوبة والندامة الحقيقيّة على خطاياك * اقرا في كلّ اسبوع هذا التعليم الوجيز في يوم معيّن : وان اردت ان تستفيد من ذلك، فخصّص لله في كلّ يوم نصف ساعة تقرأ فيها كتابًا روحيًا * واختر من هذه الكتب ما يحثّك على روح الندامة اشدّ ما يكون * واحسن اعتبار المضامين التي من شانها ان تؤثّر فيك افضل تاثير، وتحرّكك اشدّ تحريك الى هذه الندامة ندامة القلب الباطنة المتعطّفة * احضر القدّاس الالهي كل يوم : لأنّه هو مصدر الندامة الحقيقيّة وموضوعها الاخصّ : اذ انّهُ فيه

يقدّم ابن الله نفسهُ ذبيحةً عن خطايانا ، لكي
يستحقّ لنا نعمة التوبة ❊ فقدّم لله هذه الذبيحة
الالهيّة ، لكي تنال ذلك النعمة ❊

تم

* شكران *

المجد للآب والابن والروح القدس الثالوث الاقدس الآله الواحد الذي اعطى المومنين الايمان والرجا والمحبّة كسلاح غير مغلوب للظفر بالجسد وبالدنيا وبالارادة الذاتيّة في الحرب الروحيّة * والحمد لمريم العذرآء التي باركها الرب بقوّته لكي نقهر على يدها اعدآءنا * والطوبى للذين يثبتون الى المنتهى في الحرب الروحيّة لكي يتكلّلوا بسعف الانتصار مع يسوع غالب العالم ومريم ساحقة راس الشيطان والقدّيسين المحاربين النصوحين

من اجل البرّ الى الابد

امين

فهرست كتاب الحرب الروحية

يشتمل على ستة وستين فصلاً

وجه

ملحق بكتاب الحرب الروحية

في سلامة النفس وفي سعادة قلب المؤمن الذي يموت عن نفسه
لكي يحيا لله ويشتمل على سبعة عشر فصلا